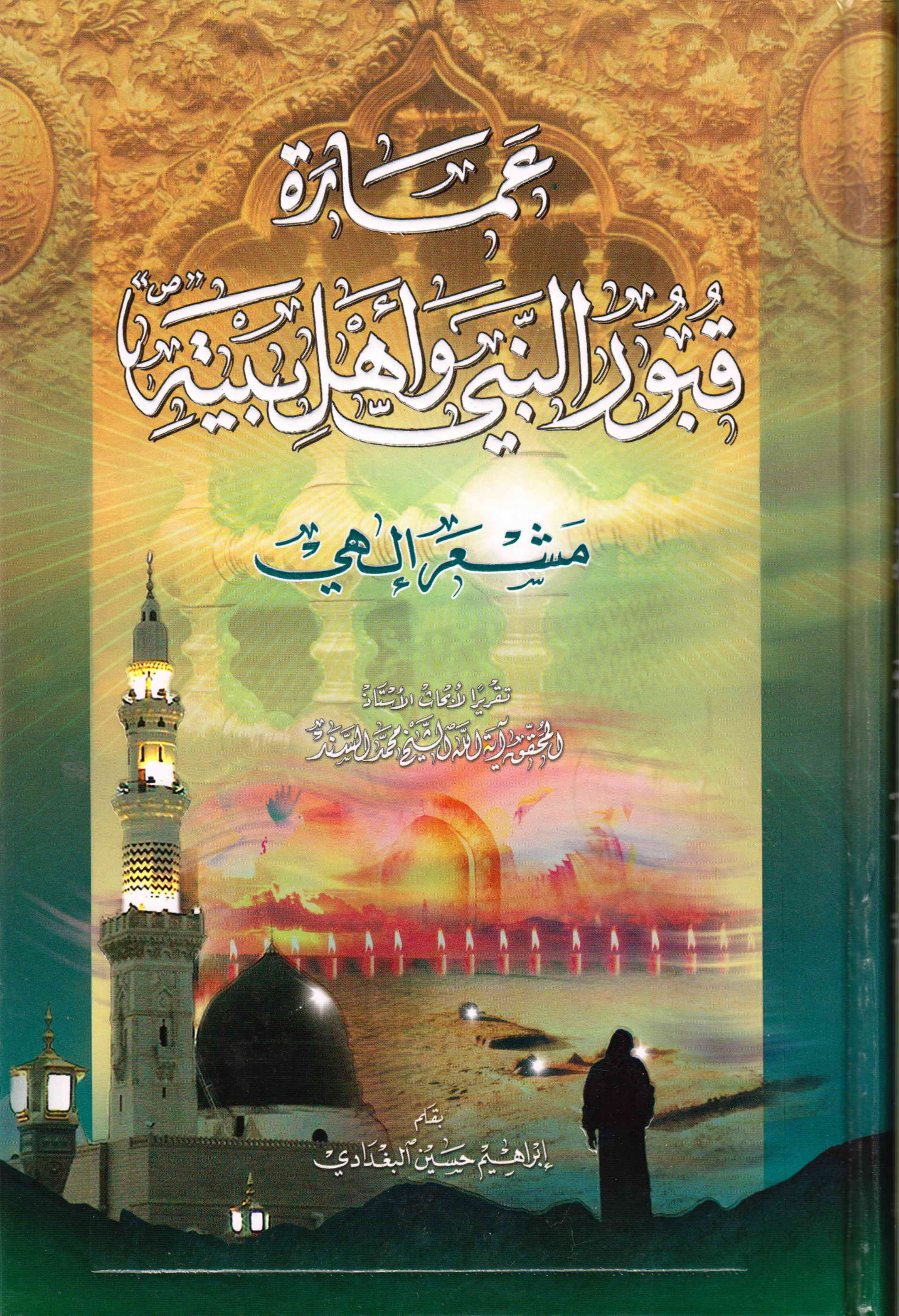
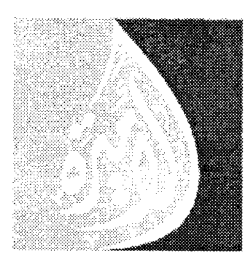

عمارة
قبور النبي وأهل بيته (ص)
مشعر إلهي
تقريراً لأبحاث الأستاذ
المحقق آية الله الشيخ محمد السند
بقلم
إبراهيم حسين البغدادي


شبكة الفكر
alfeker.net


عمارة
قبور النبي وأهل بيته
مشعر إلهي

الكتاب:	عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام إلهي
تقريراً لأبحاث	المحقق آية الله الشيخ محمد السند (دام ظله)
بقلم:	إبراهيم حسين البغدادي
الطبعة:	الأولى
سنة الطبع:	١٤٣١هـ / ٢٠١٠م
الأخراج الفني:	محمد الخزرجي



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨

http://www.Dar-Alamira.com

e-mail:info@dar-alamira.com



مشعر الهي

تقرير لأبحاث الأستاذ
المحقق آية الله الشيخ محمد السند

بقلم
ابراهيم حسين البغدادي

الأميرة
للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على اعدائهم من الأولين والاخرين إلى قيام يوم الدين.

وبعد....

إن قضية بناء قبور النبي وآله (صلوات الله عليهم) وتقديسها والتبرك بها من القضايا المهمة بل من معالم أركان الدين لدى الطائفة الشيعية، بل وبعض الطوائف والمذاهب الأخرى، وفي المقابل هي أيضاً من القضايا المهمة لدى الفرقة السلفية والوهابية ولكن من ناحية أخرى وهي هدمها وطمسها، والحكم بالكفر والشرك بالله على من سعى إلى عمارتها وتقديسها، والأمـر ليس بجديد علينا، فإن بني العباس بحقدهم قد هدموا قبر الحسين عليه السلام لأكثر من مرة فالقوم أبناء القوم، ولكن في الوقت الحاضر أخذت هذه القضية المهمة إتجاهاً سياسياً بين الدول الإسلامية، ودخلت ضمن قضية عالمية وهي ما يعبر عنها بـ (الإرهاب).

إن الإرهابيين أو السلفيين أو الوهابيين، ما شئت فعبر، دورهم الرئيسي والمهم - خصوصاً في هذه الفترة - هو فصل الأمة الإسلامية عموماً، والشيعة خصوصاً، عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار، وبأي طريقة أو وسيلة، ولذا نراهم يفجرون ويقتلون بإسم (الدين) و(التوحيد)، حتى خرجت فتاواهم بقتل الشيعي وهدر دمه، وتهديم قبور الإئمة عليهم السلام، بل حتى هدم الكنائس ودور العبادة للأديان الأخرى، حتى أن بعض رجال الدين من السلفية كـ (أبن جبرين) أفتوا مراراً وتكراراً بهذه الفتاوى الشيطانية والزندقية.

إن قضية هدم قبور البقيع، وما تبعها من هدم قبور سامراء، من أعظم الجرائم في حق أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) وهتك حرمتهم، وهم يعملون كل هذا بإسم (التوحيد لله)، والله بريء منهم ومن أفعالهم الشريرة.

إن أصل التوحيد هو أخذ كلام الله تعالى والعمل به، وهو القائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، وجعل مودتهم أجراً لرسالة النبي ﷺ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]، بل جعلها من تمام الحج: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[3].

فإدعاء التوحيد الذي يطبلون به، هو غير التوحيد الذي يريده الله لنفسه، وغير التوحيد الذي دعا إليه رسول الله ﷺ والإئمة الأطهار عليهم السلام، وعليه فتوحيدنا غير توحيدهم، فتوحيدهم يدعو إلى وثنية التجسيم وأصالة الحس والمادة وأنكار كل ما هو غيب وخفي عن الحس والى الجاهلية الأولى، وتوحيدنا هو التوحيد الذي دعا اليه رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام، بل الذي دعا إليه خليل الله إبراهيم عليه السلام وهو العبودية الخالصة لله عز وجل وهذا ما سيتضح لك في طيات هذا الكتاب، وبأدلة قرآنية عقلية، وأدلة روائية ومن الفريقين، ناقشها سماحة الشيخ الأستاذ (دام عزه) في خمس وعشرين محاضرة ألقاها سماحته لبيان هذا البحث المهم والحساس.

حيث عالج فيها هذه الشعيرة المقدسة وبأدلة لم تطرح وتَرَ النور سابقاً، وهذا هو ديدنه (حفظه الله) في علاج مثل تلك القضايا الحساسة، وبأدلة وبراهين قاطعة، قلّ من يناقشها بشكل مفصل، وموسع، حيث لم يترك أي نكتة من النكات إلا وناقشها نقاشاً علمياً وعقلياً بشكل دقيق، كما بحث ذلك في الشهادة الثالثة، أو العولمة والأرهاب، أو العقل العملي وغير ذلك كثير.

نسأل من الله تعالى أن يمد في عمره الشريف، خدمة لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وأن لا يحرمنا من بحر علومه العذبة، التي لم يذقها أحد إلا وأحس بطعمها وشعر بأنيس معه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

وأخيراً وليس آخراً، نحمده ونشكره على هذا الرزق الذي أساقه إلينا، ونحن بحاجته، وأسأله أن يتقبل مني هذا العمل ليكون لي ذخراً يوم رحيلي عن هذه الدار الفانية.

ولا يفوتني أن أشكر فضيلة الشيخ محمد رجب البحراني على تدوينه البحث الروائي من الفصلين الثالث والرابع، إلا أني رغم ذلك قد قمت بجملة من التنقيح لنسق الأستدلال وتقويم العبارة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ذكرى وفاة الصديقة الشهيدة عليها السلام
١٤٣٠هـ ـ النجف الأشرف
إبراهيم حسين البغدادي

المدخل

يقع الحديث في قاعدة «مشاهد وقبور أئمة أهل البيت عليهم السلام مشاعر إلهية» وهي قاعدة فقهية عقائدية مسلمة، لم يتناولها فقهاء الإمامية (رضوان الله عليهم) بشكل مستقل ومنفرد ومركز، وإنما تناولوها عبر طيات أبحاثهم المتعددة، مما جعلها قاعدة متصيدة من كلماتهم، وقبل الخوض في هذه القاعدة نشير إلى ثلاث نقاط مهمة لها صلة ببحثنا هذا:

الأولى: إن التعبير بالمشاعر عبر به الشيخ كاشف الغطاء[١]، بأن الله تعالى شَعَر مواضع أو قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام، أي جعلها مشاعر، ومن ثم تجري عليها أحكام المساجد. بل أحكام المشاعر الأخرى كالحرم المكي والحرم المدني ومنى والمزدلفة والتي هي أشد حرمة وعظمة من أحكام سائر المساجد والمشاعر من مشعر الذي يشعر من شعيرة[٢]، لكــن بخصوصه وبنص منه تعالى، فيكون في حرمته ووقفيته أشد من بقية

(١) كشف الغطاء: ٥٤.

(٢) (الشعيرة): ما ندب الشرع إليه وأمر القيام به. وفي كتاب (العين) للخليل: أنت الشعار دون الدثار: تصفه بالمودة، وأشعر قلبه: ألبسه، وليت شعري: علمي، وشعرته: عقلته وفهمته، والمشعر: موضع النسك، والشعار والشعيرة: أعمال الحج، والشعيرة: البدنة، وأشعرتها لله نسكاً: جعلتها شعيرة تهدى، وأشعارها: أن يوجأ سنامها بسكين فيسيل الدم على ضبيها فيعرف أنها هدي.
الجوهري في الصحاح: كل ما جعل علماً لطاعة الله، والمشاعر: الحواس، وشعار القوم في الحرب: علامتهم ليعرف بعضهم بعضاً، أشعرته فشعر: أدريته فدرى.
ولم يزد الراغب في المفردات عليهما.
القاموس: أشعر الأمر: أعلمه، أشعرها: جعل لها شعيرة، وشعار الحج مناسكه وعلاماته، المشعر: موضعها أو معالمها التي ندب الله إليها. أبن فارس: الإشعار: الإعلام من طريق الحس ـ وهي لفتة مهمة ـ، المشاعر: المعالم وهي المواضع ـ الحسية ـ التي أشعرت بالعلامات، ومنه الشعر لأنه بحيث يقع الشعور ـ العلم الحسي ـ، ومنه الشاعر لأنه يشعر بفطنته بما لا يفطن له غيره.
القرطبي نقلاً عن بعض اللغويين: كل شيء لله فيه أمر أشعر به وأعلم يقال له: شعار، الشعار: العلامة، أشعرت: أعلمت. الشعائر الدينية: ١٥ ـ ١٦.

الأوقاف الأخرى، مثل إن الله شعر وحرم البيت الحرام، وشعر النبي ﷺ حرم المدينة وهلم جراً.

الأقسام القرآنية:

وقد قسم الله تعالى بأربعة مواضع في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾[١]، والمراد بالتين أي بلد التين، وهو بلد المدينة المنورة، وبالزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، ولعل إطلاق إسم الفاكهتين على الموضعين لكونهما منبتيهما، ولعل الإقسام بهما لكونهما مبعثي جم غفير من الأنبياء، وقيل غير ذلك.

والمراد بطور سينين، الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام، والمراد بهذا البلد الأمين مكة المشرفة لأن الأمن خاصة مشرعة للحرم[٢]، وهي فيه قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾[٣].

وقيل إن طور سينين يعني ظهر الكوفة، فهنا القسم من الله تعالى بهذه المواضع الأربعة يدل على عظمتها، والتعظيم يعني جعل حرمة لها، فالآية الكريمة في صدد التعظيم، ولعظمتها قسم الله تعالى بها، وبالدلالة الإلتزامية يدلل على أن الله تعالى يعظم هذه المواضع الأربعة وبالتالي يشعرها، فمن القسم يستفاد منه عدة مقدمات التي منها تشعير هذه المواضع.

إذاً هذه القاعدة الفقهية لها جذرٍ عقائدي، فبالتالي هي قاعدة دينية ومعلم ديني هام وله حرمات في قبال من ينتهج هتك هذه الحرمات والذي ينعتها بنعت الوثنية، والذي هو أحق بأن يوصف بهذا النعت، وسوف يأتي أن القائلين بهذه المقولة هم أصحاب أوثان بنص القرآن الكريم.

وهؤلاء الذين يحاربون هذه المشاعر المشرفة هم في الواقع يدعون الناس إلى الجاهلية الأولى وبنص من القرآن كما سيتضح.

---

(١) سورة التين، الآية: ١ ـ ٣.

(٢) الميزان ج٢٠: ٣٦٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٧٦.

القاعدة والفقهاء:

وقد بحث الفقهاء هذه القاعدة الشريفة في باب الصلاة بلحاظ القصر والتمام، وكذلك بحثوها في كتاب الحج بلحاظ أبواب الزيارة من توابع الحج، وبحثوها أيضاً في باب الشهادة والقسم بأعتبار أنها تغيير الشهادة أو تغيير القسم، وما شاكل ذلك.

فقد أفتى السيد المرتضى وابن جنيد وغيرهما من المتقدمين وتبعهما الشيخ حسين العصفور، بأستحباب التمام للمسافر في كل مشاهد المعصومين عليهم السلام[١]، نظراً لما ورد من روايات متواترة ومستفيضة على تضاعف ثواب الصلاة في تلك المواضع المقدسة، وقد عللا العَلَمين ـ المرتضى والعصفور ـ ذلك لأجل مضاعفة الثواب كما سيتضح ذلك بشكل مستقل.

وذكر الشيخ الطوسي في المبسوط[٢] أن الصلاة عند أمير المؤمنين عليه السلام من ناحية القصر والتمام كالمساجد الأربعة التي يتخير فيها المسافر بين القصر والتمام، وعلل ذلك أن إتمام الصلاة في مسجد الكوفة لأنها حرم أمير المؤمنين عليه السلام والقبر هو موضع الحرم ومركزه[٣].

والروايات صحيحة السند ومتعددة في آداب زيارة أمير المؤمنين عليه السلام والتي

(١) قال السيد المرتضى: لا تقصير في مكة ومسجد النبي ومسجد الكوفة ومشاهد الإئمة: جمل العلم والعمل: ٨٣. وبهذا القول قال أيضاً أبن الجنيد كما نقله العلامة في المختلف ج٢: ٥٥٦.

(٢) المبسوط ج١: ١٤١.

(٣) روي الشيخ الطوسي في التهذيب بسنده عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من مخزون علم الله الإتمام في أربع مواطن: حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين وحرم الحسين ابن علي عليهما السلام / التهذيب ٥: ٤٧٥/ ١٤٩٤.
وأيضاً بسنده عن زياد القندي قال: (قال أبو الحسن عليه السلام: يا زياد أحبُّ لك ما أحبه لنفسي وأكره لك ما أكرهه لنفسي أتم الصلاة في الحرمين، وبالكوفة، وعند قبر الحسين عليه السلام. نفس المصدر: ١٤٩٧.
ثم قال الشيخ الطوسي معلقاً على هذا الحديث: ولم يقل بمسجد الكوفة.
وقال صاحب المدارك حول الرواية الأولى معلقاً: وهذه الرواية معتبرة الأسناد، بل حكم العلامة في المختلف بصحتها، وهو غير بعيد، وفي معناها أخبار كثيرة فلا بأس بالعمل بها إنشاء الله تعالى: مدارك الأحكام: ٤: ٤٦٨.

توصف البقعة أنها حرم أمير المؤمنين عليه السلام، هي مسجد الكوفة والقبر الشريف وما بينهما.

إذاً مواضع وقبور المشاهد المشرفة مشاعر إلهية يندب الصلاة فيها، وتندب كل أشكال العبادة إيضاً.

الثانية: وفي قبال ذلك المذاهب الإسلامية الأخرى كالأحناف والشوافع والحنابلة فإنهم يذكرون في آخر كتاب الحج زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم[(١)].

ونقل السمهودي[(*)] في وفاء الوفاء: قد أنعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة، حتى على الكعبة المنيفة[(٢)].

وقال في خطبة الكتاب: وتشرفت بالخدمة في إعادة بنيانها، وتجنبت شهود نقض أركانها، وحضيت بالوقوف على عرصتها، وتمتعت باتشاق تربتها، ونعمت العين بالأكتحال بأرضها الشريفة، ومحال الأجساد المنيفة، فامتلأ القلب حياء ومهابة، . . . . .[(٣)]

فإذن هو يتشرف ببناء الحجرة الشريفة، ويفتي بالإجماع على أن أعضاء جسد الرسول أفضل حتى من الكعبة، وسوف نستشهد بأكثر من هذا كما سيأتي في طيات هذا الكتاب.

فقد روى الحسن عن أبي حنيفة أنه إذا كان الحج فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم يثني بالزيارة جاز، وهو ظاهر. أذ يجوز تقديم النفل إذا لم يخش الفوت بالإجماع.

ثم يقول: فإن مَرَّ بالمدينة كأهل الشام بدأ الزيارة لا محالة، لأن تركها مع قربها

---

(١) أتجه إلى القبر الشريف، مستقبلاً له ومستدبراً القبلة، فيسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: السلام عليك يا رسول الله.. فقه السنة ج١: ٥٢٣.

(*) هو الإمام الحجة نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها، ولد في سمهود (بصعيد مصر) سنة ٨٤٤هـ (١٤٤٠م) ونشأ في القاهرة، وأستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ. توفي في المدينة المنورة سنة (٩١١هـ) وفاء الوفاء ج١: ٥

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج١: ٣١.

(٣) نفس المصدر: ص٧.

يعد من القساوة والشقاوة، وتكون الزيارة حينئذ بمنزلة الوسيلة وفي مرتبة السنة القبلية للصلاة[١].

بل في مورد آخر يقول أنها قريبة ـ زيارة قبر النبي ﷺ ـ من الوجوب لمن له سعة.

وهنا يتضح أن من ترك زيارته ﷺ فهو قاسٍ وشقي، بل جعلها واجبة لمن له سعة، وهل من يذهب إلى مكة ويمر بالمدينة ليس له سعة؟!

والمهم نحن لا نريد أن نكون من القساة أو من الأشقياء ولذلك لا نترك زيارته ﷺ، بل لا نترك زيارة ذريته الطاهرة أيضاً.

الثالثة: العقائد والفقه:

إن فهم الفقه وربطه بالعقائد يعطي للإنسان بصيرة وعمقاً، و إلتفاتاً إلى أنه كيف الفروع تتفرع عن الأصول، وهذا الفهم بهذا النمط يعطي للإنسان معرفة ونظرة منسجمة عن أن الفروع لا تبتر عن الأصول، فالأشتغال بالفروع والأصول ضروري، فإن الإشتغال بالعقائد يستلزم الأشتغال بالفقه، فيصبح هناك نوع من الموازنة بين بحث العقائد وبحث الفروع.

ومن باب المثال، نحن لدينا أن القضاء لا يصلح إلا لنبي أو وصي أو شقي[٢]، ومعنى هذا أن من يقضي لا بد أن يكون بالنيابة عن الوصي لأن القضاء ولاية، فإذا قلنا أنه في زمن الغيبة أن الأمة هي التي تنصب القاضي ـ كقاضي التحكيم مثلاً ـ فهنا حدث بتر للولاية في باب القضاء عن ولاية المعصوم، أو لا سامح الله نجري في باب الفقه تنظير في باب الحسبة، بمعنى أن الأذن الخاص من الإمام المعصوم غير موجودة فنأخذ الأذن من الله عز وجل، وهذا أيضاً بتر للولاية.

فكل الأبواب الفقهية جذورها وخيوطها ترجع إلى ولايتهم عليهم السلام.

وهذا أيضاً نظير ما ذكر في باب الأجتهاد والفتيا، من أنه هل يشترط أن يكون المجتهد أثنى عشرياً أو لا؟

---

(١) حاشية رد المختار لأبن عابدين ج٢: ٦٨٩.

(٢) إشارة إلى قول الإمام علي لشريح: يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي أو شقي، الكافي ج٧: ٤٠٦.

فإن الفتيا سلطة تشريعية ترجع إلى ولاية المعصوم التي هي في طول ولاية النبي ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾[2]، فالأحبار هم في طول الربانيون لا أنهم مستقلون ومستفردون.

إذاً كل باب من أبواب الفقه يرجع إلى ولاية المعصوم، يعني إلى أصول عقائدية، فمن الخطر جداً تنظير أبواب فقهية بمعزل عن الأصول العقائدية، ولذلك نرى جملة من الفقهاء الذين لديهم منشأ عقائدي تكون لديهم صبغة فقهية أثبت وأمتن كالكليني وغيره، ولذا نرى الشيخ الكليني عندما بحث مبحث الخمس بحثه في الأصول[3] وليس في الفروع، لأنه مرتبط بولايتهم، فمثلاً أن البعض يرسم أن سهم الإمام مجهول المالك، فنحن من باب وظيفة الشارع وأذن الشارع في كيفية صرف مجهول المالك، نصرفه في المصارف التي رسمها الله لنا، وهذا التصرف فيه تخطٍ على ولاية المعصوم.

ولذلك نرى أن الشيخ الكليني وغيره كالشيخ الصدوق والشيخ المفيد في المقنعة دائماً عندهم مزج بين البحوث الفقهية وجذورها وقواعدها العقائدية، وأن هذا البحث الفقهي من أي قاعدة عقائدية نشأ، وتكون تلك القاعدة العقائدية هي المهيمنة على ذلك الباب الفقهي، وإلا يكون الفقه فقهاً عامياً أو أباضياً أو زيدياً، فعدم الألتفات خطير جداً، كالنائب في البرلمان الذي لا يعرف المواد الدستورية.

«إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل»[4]، فالفريضة العادلة هي إشارة إلى فقه الفروع، والسنة القائمة إشارة إلى تهذيب

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) الكافي، ج١: ٥٣٨.

(٤) الكافي ج١: ٣٢، باب صفة العلم وفضله، سنن أبي داود ج٢: ٣، باب ما جاء في تعليم الفرائض.

النفس والأخلاق، والآية المحكمة تعني العقيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

فعزل الأصول أو القواعد العقائدية عن القواعد الفقهية يوجب الإرباك في البحث الفقهي، فإن ملاحظة الأدلة ومناسبتها مع العمومات الفوقانية أثبت في أستنطاق الأدلة. إذاً فالقواعد العقائدية بمنزلة عمومات فوق الفوقانية لتأثيرها في الدلالة.

أدلة القول بحرمة بناء القبور وعمارتها:

أستدل الوهابيون أو السلفيون بجملة من الأستدلالات، التي أستدلوا بها على حرمة زيارة تلك القبور الطاهرة وعمارتها والتبرك بها، وهي عبارات زندقية وشيطانية، وإنما ننتهج بالتعبير بمثل هذه الألفاظ معهم، لأن الأمر خطير وهذه القاعدة الشعيرية خطيرة جداً، والأمر الأكثر خطورة أنهم لا زالوا إلى الآن تطبع لهم تلك الكتب التي يتجرأون فيها وبصريح الكلام على حرمة قبر النبي ﷺ حيث يقولون أنهم لو أوتوا القدرة لهدموا القبة النبوية، وفعلاً لو وقع هذا الأمر بأيديهم لجعلوا قبر النبي ﷺ كقبور أئمة البقيع عليهم السلام.

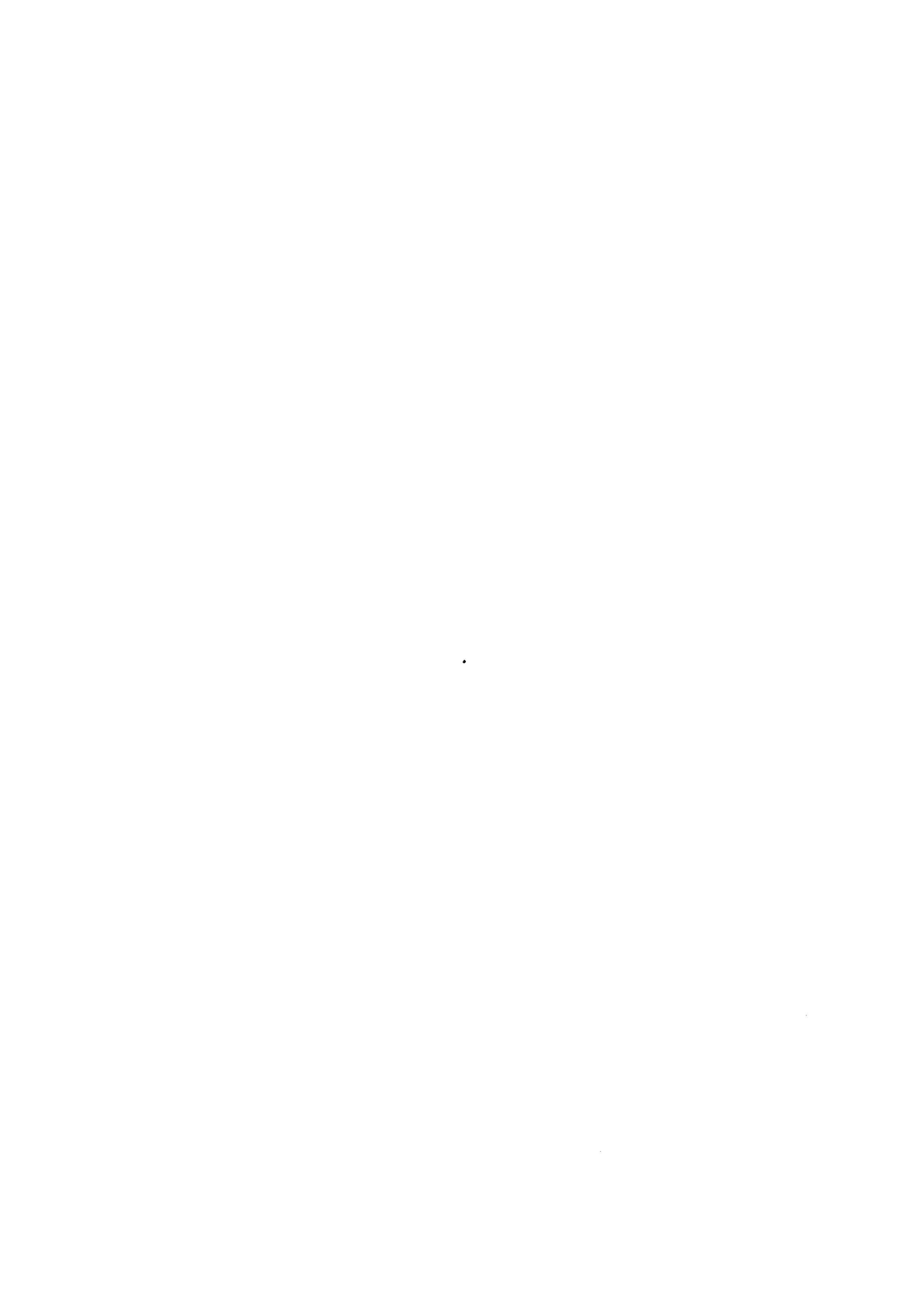
والآن نستعرض جملة من الأدلة التي استدلوا بها على حرمة هذه الشعيرة المقدسة:

الدليل الأول: وهو الذي استندوا إليه الوهابية أو السلفية في جحد شعيرة زيارة القبور، أو قبر النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وقبور الإنبياء والأوصياء

والأولياء بشكل عام، هو كون زيارة القبور والبناء عليها وتشييدها هو من التوسل والأستشفاع بهم إلى الله في قضاء الحاجات، وهو عين الشرك بالله، فهم يجحدون التوجه والأستشفاع بهم (صلوات الله عليهم)، ليس فقط يجحدون ركنيته في الدين بل يجحدون التدين به ومن ثم يسوغون لأنفسهم هدم قبور الأنبياء والأوصياء.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.



الفصل الأول

البحث القرآني العقلي:
الأدلة العامة

البحث القرآني العقلي:

إن الأستشفاع والتوسل والتوجه بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ليس أمراً مشروعاً وراجحاً ومرغباً فيه فحسب، بل قد دلت جملة من الآيات القرآنية على كونه شرطاً لقبول الأعمال، بل لقبول الأيمان، وذلك للبراهين التالية:

البرهان الأول: قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[1].

ذكرت قضية إباء إبليس عن السجود لآدم في القرآن الكريم عدة مرات وفي عدة سور[2]، وهذه الحادثة هي بداية الفاتحة لخليقة البشرية منذ أن قال الله عز وجل ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]، وهذه الحادثة عظيمة جداً تحمل في طياتها جملة من المعاني الجمة جداً، وقد أستعرضها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة حيث ركّز فيها على بيان هذه القصة، وإليك بعض ما قاله عليه السلام:

(ثم أختبر بذلك ملائكته المقربين، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب، ومحجوبات الغيوب: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾، أعترضته الحمية فأفتخر على آدم بخلقه... إلى أن يقول عليه السلام: ألا ترون كيف صغره الله بتكبره، ووضعه بترفعه، فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعد له في الآخرة سعيراً؟!.

ثم قال عليه السلام: فأعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٢) ص: ٧١ ـ ٧٨، الأعراف: ١١ ـ ١٣، الحجر: ٢٨ ـ ٣٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يدرى أمِنْ سِني الدنيا أم سِني الآخرة، عن كِبْر ساعة واحدة فمن ذا بعد أبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمرٍ أخرج به منها ملكاً إن حكمه في السماء وأهل الأرض لواحد. وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه على العالمين)[1].

إبليس يقترح:

والمهم أن الله تعالى قد بين في هذه الواقعة أن عبادة إبليس ـ ستة آلاف سنة ـ كفر من دون التوجه بولي الله وخليفه الله، واللطيف أنه ورد في روايات الفريقين أن إبليس أقترح على الباري أن يعفيه من السجود لآدم.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال: أمر إبليس بالسجود لآدم فقال: يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله عز وجل: إني أحب أن أطاع من حيث أريد. . . .[2].

فلو كان العابد يريد أن يعبد المعبود من حيث يشتهي لما كان المعبود معبوداً والعابد عابداً، ولكان العابد هو المعبود لأنه يعبد هوى نفسه على هوى خالقه، ولهذا نعت الباري تلك العبادة ـ ستة آلاف سنة ـ بأنها كفر: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، مع أنه على منطق هؤلاء الشرذمة أنها عبادة خالصة جداً لأن فيها نفي الواسطة، لأن كل تحسسهم وزندقتهم هي نفي الواسطة، والحال أن الباري تعالى قال أن هذه وثنية وكفر، فالتوحيد إذاً هو أن يتجه في سجوده وعبادته بآدم إلى الله.

الخطاب لم يختص بآدم عليه السلام:

إن خطاب السجود هذا، لم يكن مختصاً لآدم فقط، بل لكل من يتحلى بمنصب الخلافة الإلهية: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ..﴾، فالسجود لآدم بصفته خليفة، ولم يقل إني جاعل في الأرض نبياً أو رسولاً، بل قال خليفة يعني ذو قدرة تصرف وصلاحية تصرف، وهي الإمامة بعينها: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١٣: ٧٥.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ٤٦، بحار الأنوار ج٢: ٢٦٢.

بِٱلْحَقِّ﴾[١]، ولو خاطب الباري تعالى هؤلاء الشرذمة وقال أسجدوا ل ـ (محمد) ﷺ أي أتجهوا في طاعتكم وعباداتكم بسيد الإنبياء فهم أول أنصار لإبليس في ذلك: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[٢]، فالأمر هنا عام وليس خاصاً بآدم، بل لإبراهيم ويعقوب ويوسف وسليمان وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، فهذا الخليفة الطيني مأمورون أنتم بالسجود له وبطاعته. وهل يوجد من هو أشرف المخلوقات كلها من آدم إلى يومنا هذا غير النبي محمد ﷺ وذريته الطاهرة؟!

﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، فعهد الله ﷻ للإمامة والخلافة سارٍ للمصطفى ﷺ لأنه من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ومن بعد المصطفى ﷺ المرتضى عليه السلام والأئمة من ولده: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٥].

فعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يصف فيه يوم القيامة، قال عليه السلام:

يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلق، فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً فيقام الرسول فيسأل فذلك قوله ل ـ (محمد) ﷺ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل[٦].

البرهان الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٢) سورة ص، الآية: ٧١ ـ ٧٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٥) سورة الحج، الآية: ٨٧.
(٦) تفسير العياشي، ج٢: ٢٤٢.

ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1].

قبل الولوج في بحث هذه الآية نذكر هذه المقدمة:

إن أي موضوع دينياً كان أو غيره كعنوان الصلاة مثلاً، أو عنوان الحج أو فعل الحج، أو الصوم وما شاكل ذلك، لا يتم أستكشاف هوية ذلك الفعل من نص واحد أو نصين من القرآن أو السُنّة، بل لا بد من تجميع كل النصوص الواردة في الصلاة مثلاً، ومن ثم يستجلي الفقيه ماهية أو هوية الصلاة، كأولها التكبير وآخرها التسليم وما بينهما من قراءة وسجود وركوع وهلم جراً، وإلا فلو أكتفى الفقيه أو المجتهد بنص دون بقية النصوص لما وصل إلى حقيقية الصلاة، وكذلك الحج، وكذلك الصوم، وكذلك التوبة وما شاكل ذلك.

فإذا كانت هناك آيات تتعرض لماهية الحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[3]، وغيرها من الآيات العديدة التي تتعرض إلى أجزاء ماهية الحج، وكذلك النصوص الروائية أيضاً تجمع لكي يعرف ماهية الحج.

وأن الآية التي تضمنت البرهان الثاني التي نحن بصددها هي أيضاً من آيات الحج، ولهذا ينبغي على الفقهاء أن يجعلوها من مجموع آيات ونصوص الحج، فإنها تتعرض لبيان هذا الركن الهام من مناسك الحج والعمرة.

تفسير الآية: إن الآية الكريمة تشتمل على ثلاث أمور وهي:

الأول: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾.

إن إبراهيم عليه السلام جاء بذريته وأسكنها البيت الحرام بكل ما أحاط بذلك الإسكان من ملابسات وعناء ومشقة ووحشة وغربة وجوع وعطش وبلا أنيس أو كفيل لتلك الذرية الطاهرة سوى الله تعالى، وأمتثالاً لأمر الله عز وجل، مع هذه الشدائد التي لاقتها هاجر

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٥، ٣٦، ٣٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

وطفلها الرضيع إسماعيل عليه السلام، وهذا التكليف مع كونه شاقاً أو غير مقدور للفهم عند البشرية، كيف أن نبياً من أنبياء الله يأخذ ذريته ويسكنهم في وادي غير ذي زرع وغير مأهول بحيث أن الأدراك القاصر البشري يعترض بأنه كيف أستجاب وأمتثل إبراهيم لهذا الأمر، وهذا نظير تكليفه عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام والذي هو أعظم من التكليف الأول، فالبشرية لا تستطيع أن تفهم ذلك بمداركها المحدودة ولا تعلم حكمة الله تعالى في هذا الأمر الإلهي الذي هو مستمر.

الثاني: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وهذا يعني ليقيموا الطواف والصلاة والحج وكل أشكال العبادة، وهذا مثل خطاب الله تعالى لإبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[1] وتكون هذه العبادة سارية إلى يوم القيامة وخصوصاً لذرية النبي إبراهيم عليه السلام وحاصل هذا هو جعل المركزية للكعبة المشرفة في التوجه إلى الله تعالى لإقامة الدين ومناسك العبادة، وهذان الأمران أقترنا وشيد البيت الحرام لغاية وهي:

الثالث: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾.

فالفاء في قوله تعالى: (فاجعل) للتفريع، وذلك لبيان أن لعمارة المسجد الحرام وإقامة الصلاة والحج وشعائر الدين غاية أخرى لا بد من تحققها، فإن الناس إذا أتجهوا إلى الكعبة التي هي مركز عباداتهم فالغاية هي أنهم يتوجهون بالذرية وبالكعبة إلى الله عز وجل، أي تدين الله بمودتهم والهوي إليهم ومن هنا يتضح المراد من قول الإمام الباقر عليه السلام: (تمام الحج لقاء الإمام)[2]، وكذا قول الإمام الصادق عليه السلام: (أبدؤوا بمكة وأختموا بنا)[3].

وعن أبي عبيدة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام - ورأى الناس بمكة وما يعملون - قال فقال: فعال كفعال الجاهلية أما والله ما أمروا بهذا وما أمروا إلا أن يقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٢) الكافي ج٤: ٥٤٩.

(٣) نفس المصدر: ٥٥٠.

(٤) نفس المصدر ج١: ٣٩٢

وهنا يبين الإمام الباقر عليه السلام الفارق بين عبادة المسلمين وعبادة المشركين، نعم تفاصيل شرائط العبادة فيها بحث طويل ولكن الركن الركين هو كون عبادات المشركين طقوساً موروثة من النبي إبراهيم عليه السلام، ومنتمية إلى الملة الإبراهيمية، ومع ذلك جعلت هذه العبادة عبادة وثنية كما نص القرآن على ذلك، بينما صارت عبادة المسلمين من التوحيد، لأنهم أقروا بولاية النبي محمد ﷺ ولهذا السبب شبهها الإمام الباقر عليه السلام بفعال الجاهلية لأنهم لم يقروا بولايتهم، وهذا أمر تتحاشاه تلك الشرذمة في فهم حقيقة الشرك الذي كان عند مشركي قريش، وأن المشركين هكذا كانوا يطرحون وينبذون الشهادة الثانية وبالتالي نبذ الولاية للنبي ﷺ، فإن الأمور الثلاثة التي ذكرت في الآية هي أوامر إلهية، مقترنة بعضها البعض وغير مجزئة، وهذه الأوامر ليست هي من آيات الحج فحسب، بل من آيات الصلاة ومن آيات أستقبال الكعبة. فالمشركون قطعوا صلتهم مع النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فكانت عبادتهم من العبادات الوثنية التي ذمها القرآن، لأن التوجه إلى الكعبة في جميع العبادات كالصلاة والحج والطواف لا يتم إلا بصلتهم، والصلة لا تتم إلا بالهوي إليهم ومحبتهم وبالوفادة الجسمانية لهم، وهذا إنما يتم بزيارتهم عليهم السلام، كما يقول الإمام الباقر عليه السلام: (فيخبرونا بولايتهم)، وهو نوع من تجديد العهد بهم، وهذا لا يتم إلا بزيارة قبورهم.

البرهان الثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[١].

أن معنى الحج هو القصد إلى الله، وفي هذه الآية تبين أن الذي ينطق عن الله كناطق رسمي في الندبة إلى حج بيت الله الحرام هو النبي إبراهيم عليه السلام، فهو يأمر الناس بحج بيت الله الحرام، كما نصت على ذلك روايات الفريقين.

فقد روي عن الفضل بن موسى الكاتب عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أسكن أسماعيل عليه السلام وهاجر مكة ودعهما لينصرف عنهما بكيا، فقال لهما إبراهيم: ما يبكيكما فقد خلفتكما في أحب الأرض إلى الله وفي حرم الله؟ فقالت له هاجر: يا إبراهيم ما كنت أرى أن نبياً مثلك يفعل ما فعلت؟ قال: وما

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧.

فعلت؟ قالت: إنك خلفت إمرأة ضعيفة وغلاماً ضعيفاً لا حيلة لهما بلا أنيس من بشر ولا ماء يظهر، ولا زرع قد بلغ، ولا ضرع يحلب؟ قال: فرق إبراهيم ودمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتى أنتهى إلى باب بيت الله الحرام فأخذ بعضادتي الكعبة ثم قال:

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾.

قال أبو الحسن: فأوحى الله إلى إبراهيم أن أصعد أبا قبيس فناد في الناس: يا معشر الخلائق إن الله يأمركم بحج هذا البيت بمكة محرماً من أستطاع إليه سبيلاً، فريضة من الله، قال: فصعد إبراهيم أبا قبيس فنادى في الناس بأعلى صوته يا معشر الخلائق إن الله يأمركم بحج هذا البيت الذي بمكة محرماً من أستطاع إليه سبيلاً فريضة من الله، قال: فمد الله لإبراهيم في صوته حتى أُسمع به أهل المشرق والمغرب وما بينهما من جميع ما قدر الله وقضى في أصلاب الرجال من النطف وجميع ما قدر الله وقضى في أرحام النساء إلى يوم القيامة، فهناك يا فضل وجب الحج على جميع الخلائق، فالتلبية من الحاج في أيام الحج هي أجابة لنداء إبراهيم عليه السلام يومئذ بالحج عن الله[1].

إذاً الذي أمر بالحج هو النبي إبراهيم عليه السلام لأنه لسان الله الناطق، ومن العاصمة الدينية وهي مكة المكرمة، ولهذا فإن التعبير في الآية بكلمة (يأتوك) ولم يقل (يأتوني) وهذا الأتيان الذي هو أتيان إلى بيت الله الحرام هو تلبية لله، ولهذا عندما يعقد الحاج إحرامه فإنه لا ينعقد إلا بالتلبية وهو قوله (لبيك اللهم لبيك) هذه التلبية التي هي تلبية لله عز وجل أن يجيئوا إلى النبي إبراهيم عليه السلام إجابة لندائه لنص الآية الشريفة (يأتوك) وليس (يأتون) إلى بيت الله الحرام فقط، بل المجيء إلى بيت الله الحرام يضم إليه المجيء إلى النبي إبراهيم عليه السلام.

ولذلك يُستحب[2] عند الدخول إلى بيت الله الحرام أن تُسلّم أولاً على سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ثم على النبي إبراهيم عليه السلام فالإتيان إلى بيت الله ليس هو الإتيان إلى بناء

(١) تفسير العياشي ج٢: ٢٤٩.

(٢) الحج فضائله، أحكامه آدابه: ٥٥.

مبني من الأحجار، بل الإتيان هو إتيان إلى إبراهيم عليه السلام وهو الإتيان إلى الله عز وجل بطبيعة الحال، ففرق كبير بين أن نجعل الكعبة هي مجرد أحجار ـ وهذا هو الوثن بعينه ـ وبين أن نجعل الكعبة هي بيت الله وبيت لأولياء الله، وزيارتهم في بيت الله هي زيارة الله عز وجل.

فالوفادة إذاً هي وفادة إلى نسك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وزيارتهم وبالتالي هي زيارة إلى النبي محمد ﷺ وأهل بيته فإنه ﷺ من ذرية إبراهيم عليه السلام. فقد روي عن زيد الشحام قال: قال أبو جعفر عليه السلام لقتادة[١]:

من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، ولم يعن البيت فيقول إليه، فنحن والله دعوة إبراهيم ﷺ التي من هوانا قلبه قبلت حجته، وإلا فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم إلى يوم القيامة...[٢].

وهم عليهم السلام أهل البيت بنص القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]، ومن هنا فإن الروايات التي يروُنها أهل البيت عليهم السلام في ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأن من زاره كمن زار الله في عرشه[٤]، هي من نفس هذه الآية.

الترابط بين الآيات:

إذاً هذه الآية تدل على نفس النغمة ونفس النظرة ونفس المفاد الذي أعطته الآية في سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

---

(١) قتادة بن دعامة من مشاهير محدثي العامة ومفسريهم روى عن أنس بن مالك وابي طفيل وسعيد بن المسيب والحسن البصري وغيرهم.

(٢) نور الثقلين ج٢: ٥٥٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) فعن صاحب كامل الزيارات عن بشير الدهان، قال: كنت أحج في كل سنة فأبطات سنة عن الحج، فلما كان من قابل حججت ودخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: يا بشير ما أبطأك عن الحج في عامنا الماضي، قال: قلت: جعلت فداك مال كان لي على الناس خفت ذهابه، غير أني عرَّفت عند قبر الحسين عليه السلام، قال: فقال لي: ما فاتك شيء مما كان فيه أهل الموقف، يا بشير من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه. كامل الزيارات: ٢٨١.

لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾، واللطيف أن الآية التي قبلها: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ...﴾[١] هي متناظمة ومتناسبة ومتلائمة مع هذا المعنى في هذه الآية التي نحن بصددها، ومع المعنى الذي مضى في سورة إبراهيم (آية ٣٥ ـ ٣٧) المتقدمة في البرهان الأول.

وهذا نظير ما ذكر في وصف القرآن الكريم من سورتي الواقعة والبروج، ففي الأولى تصف القرآن الكريم بـ: ﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾[٢]، وفي الثانية: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[٣]، فالمجد وصف لدرجة من درجات القرآن الكريم الغيبية، وهو مجد تكويني، وبهاء قدرة، واللوح المحفوظ هو نفس كلمة مكنون، فهو ترادف في اللفظ وأتحاد في المعنى، وهنا أيضاً نشاهد نفس الموازات في التعبير بين الآيتين من سورة الحج وبين الآية (٣٧) من سورة إبراهيم، فوجوب تبوئة إبراهيم عليه السلام للبيت وأسكان ذرية إبراهيم عليه السلام في البيت، هو جعل من البيت مكاناً يقصد لإقامة العبادة.

البرهان الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٤].

وردت كلمة (مقام إبراهيم) في القرآن مرتين، الأولى في هذه السورة، الثانية في سورة آل عمران، والتعبير في كلا الآيتين للدلالة على التفخيم والتعظيم لذلك المكان وهو حجر من الأحجار.

وهذا المقام هو موضع قدم إبراهيم عليه السلام، حيث أمرنا الله تعالى بأتخاذه مصلى أي قبلة، يعني نجعل الكعبة ومقام إبراهيم قبلة قبلة في صلاة طواف الحج والعمرة، فأصبح أحد الأتجاهات التي نتجه بها إلى الله تعالى، ومن دون أتخاذه مصلى يكون من الوثنية عند الله عز وجل، فماذا يقول هؤلاء الشرذمة في حجر لامس النبي إبراهيم عليه السلام جعله الله تعالى أحد المواضع التي نتجه إليه جل وعلا.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٨.

(٣) سورة البروج، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

إذاً نفس هذه الآية تفتح لنا الباب لقاعدة دينية شريفة أخرى وهو التبرك بمواضع الأنبياء، ومن هنا يتضح أن نبذ ذلك ورفضه هو من صميم الوثن.

ومن ثم قال الإمام الصادق عليه السلام: يا زرارة لا تدع مشهداً من مشاهد رسول الله إلا وأشهده وصلِّ فيه وهو قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

ورب قائل يقول: إن أتخاذ مقام إبراهيم عليه السلام مصلى إنما هو خصوص صلاة الطواف؟

والجواب: نعم، صحيح هذا، ولكن هذا كما يقولون بيان المقاصد الشرعية أو بيان المناسبات الشرعية، فإن الباري تعالى هو في صدد بيان أن يكون مواضع آثار الأنبياء أماكن للقربات فكيف بقبورهم الشريفة التي فيها أبدانهم الطاهرة، وبغض النظر عن الأمر الشرعي بإتخاذ مقام إبراهيم مصلى، فنفس أستعمال القرآن الكريم، وإطلاق قوله تعالى على الصخرة أنها مقام إبراهيم فهذا جعل للحقيقة الشرعية، وجعل الباب الشرعي الذي يصب بنفس القاعدة التي نحن في صددها، وهو أنه ليس فقط أن مقاماتهم هي مواطن بركة وقربات لله عز وجل، فالمورد لا يخصص الوارد، وإنما هذا تبيان وتعليم من القرآن الكريم.

وكما يقول علماء الأصول فرض الموضوع متقدم على فرض الحكم، فالموضوع إذاً آخذ في دليل أو نص شرعي أو حكم شرعي يدل على أنه في جعل آخر غير هذا الجعل، فهذا متقرر شرعاً وإلا فكيف أخذ الموضوع صادقاً ليترتب المحمول، لأن المحمول يحمله الموضوع، فلا بد أن يكون الموضوع في رتبة سابقة، ولذلك عندما يقول الباري: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، لا بد أنه مفروغ عنه، فالشارع جعل مقام إبراهيم للعبادة والتقرب، حينئذ يأتي المحمول وأتخذوا منه مصلى، فهذا ـ وأتخذوا من مقام إبراهيم ـ أتى بعد الفراغ من جعل سابق مقدر دل عليه هذا الدليل وترتب عليه هذا الجعل.

إذاً هذه الآية المباركة لها دلالات من المعاني، أو معانٍ من الدلالات أو دلالات ومعانٍ من الوجوه.

شواهد قرآنية:

الأولى: قال تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾[١].

وهذا يعني أن عيسى عليه السلام جعله الله عز وجل مصدر البركة والتبرك أين ما حل، فما بالك بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار ومن يصلي عيسى خلفه عند نزوله ويكون وزيراً له؟! فهذه الآية من سورة مريم تناغم ما في سورة البقرة: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

الثانية: قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[٢].

كان السامري على مقدمة قوم موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه فنظر إلى جبرائيل وكان على حيوان في صورة رمكة[٣] وكانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى فأخذ التراب من حافر رمكة جبرائيل وكان يتحرك، ومن خواص هذا التراب أنه لا يلقى على شيء إلا حلت فيه الحياة ودخلت فيه الروح، فصرة في صره فكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل فلما جائهم إبليس وأتخذوا العجل قال للسامري: هات التراب الذي معك.....[٤].

إذاً إذا كان تراب وطأه حافر فرس جبرائيل يكون ينبوع الحياة ببركته، فكيف بخاتم الأنبياء وعترته.

وهناك مواضع عديدة تدل على أن الأنبياء والملائكة بركة في هذه الدار.

الصحابة تتبرك بالنبي صلى الله عليه وآله:

كان مبعوث مشركي قريش في صلح الحديبية هو عروة بن مسعود الثقفي، ولاحظ

---

(١) سورة مريم، الآية: ٣١.
(٢) سورة طه، الآيتان: ٩٥ ـ ٩٦
(٣) الفرس تتخذ للنسل.
(٤) تفسير الميزان ج٤: ٢٠٠

عروة خفيةً مقدار ما يكّنه أصحاب رسول الله ﷺ لنبيهم من إحترام وإكبار، فرجع عروة إلى أصحابه وقال:

أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً، إذا أمرهم أبتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له[١].

ويروى عن أنس قوله: حلق النبي ﷺ شعره، فأجتمع الصحابة على ما تخلف من شعره المقصوص يتخاطفونه حتى وصلت كل شعره منه إلى يد أحدهم[٢].فلو لم يكن هذا الفعل من صميم التوحيد وكان هذا التبرك الذي يتبركون به الصحابة شركاً وكفراً لنهى عنه رسول الله ﷺ، وهذه الروايات يرويها الفريقان في مصادرهم.

فضل التمسك بـ (علي) عليه السلام:

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في أبن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة[٣].

وهذا قول صريح من الرسول ﷺ إلى الإمام علي عليه السلام ببركة تراب قدميه فكيف بأجسادهم الطاهرة.

البرهان الخامس: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

---

(١) منتهى الآمال ج١: ١٠٩.
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) الإمام علي للهمداني: ٩٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

ورد في بعض الأخبار عن الإمام العسكري عليه السلام: أن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد الله أن يبين متبع محمد من مخالفيه بأتباع القبلة التي كرهها، ومحمد يأمر بها و.....

ثم قال: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إن كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت لكبيرة إلا على من يهدي الله، فعرف أنَّ لله أن يتعبد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه(١).

إذاً الغرض من أستقبال بيت الله الحرام، أو بيت المقدس، هو طاعة وديانة وتدين بولاية النبي صلى الله عليه وآله وليس لأجل الكعبة بما هي هي.

وهذه واقعة قرآنية بيّنة ناصعة تدل على أن التوحيد في العبادة أو في الأتجاه هو بطاعة النبي صلى الله عليه وآله التي هي تؤدي بدورها إلى طاعة الله وتوحيده.

الفرق بين العبادتين:

لقد جاء في تاريخ أبن كثير وغيره ممن كتبوا في السيرة النبوية، أن القرشيين تشددوا في تعظيم البيت وتقديسه، وقالوا نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت، وقطان مكة، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، وتواصوا بينهم أن لا يعظموا شيئاً من الحل كما يعظمون الحرم.

وكانوا لا يتركون الطواف والسعي وتقبيل الحجر الأسود بأعتبار أنها عبادات إبراهيمية وهم حسب أدعائهم كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام، ولما تحولت القبلة إلى بيت المقدس، فكانوا أشد المعارضين لذلك، وكانوا يقولون للمسلمين لِمَ تقولون نحن على ملة إبراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون إلى قبلة اليهود، لأنه لم تعرف مكة ديناً غير دين إبراهيم عليه السلام في أول عهدها بالدين، فكانوا يحجون البيت ويقيمون المناسك، ويعظمون الأشهر الحرم، ولذلك أعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وآله عندما جعل القبلة إلى بيت المقدس، وقد بيّن سبحانه وتعالى سبب ذلك: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، إن هذه الأحكام والتشريعات ليست إلا لأجل مصالح تعود إلى تربية الناس

---

(١) الأحتجاج ج١: ٤٩.

وتكميلهم وتمحيص المؤمنين من غيرهم، وتمييز المطيعين من العاصين، والمنقادين من المتمردين.

ولذلك أصبحت كل عباداتهم وثنية، لأنهم لم يدينوا بنبوة وولاية النبي ﷺ ومن ثم خاطبهم الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[1].

إذاً تعظيمهم للكعبة والحجر الأسود أعتبره القرآن من الوثن بل منع من دخولهم إلى المسجد الحرام لأنهم نبذوا التسليم والإقرار بولاية خاتم الأنبياء، وبالتالي كل من ليس لديه واسطة بينه وبين ربه في إستحلال أوامر ربه يكون من الوثن، لأن السلطة التشريعية بيد النبي ﷺ وحده دون أن يتدخل فيها أحد سواه، وأما المرجع الأساسي له ﷺ كان هو الوحي من الله تعالى.

ومن ثم من يجحد ولاية أهل البيت عليهم السلام بعد النبي حاله حال من جحد ولاية النبي ﷺ، لأن من بعد النبي ﷺ من أين يستعلم أوامر ربه وأرادته، ومن ثم يخاطب الإمام الباقر عليه السلام ببرهان تاريخي أدياني حيث يؤكد فيه أن الفرق بين حج المشركين وحج المسلمين هو أن المسلمين يدينون بولاية النبي ﷺ والمشركين يرفضون ذلك (فعال كفعال الجاهلية أما والله ما أمروا بهذا....): ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾.

فالتوحيد في العبادة مقابل الوثنية، وهذا التوحيد لا يتم إلا بولايتهم عليهم السلام، وبالتالي مصداق التولي بولايتهم عليهم السلام هو زيارتهم والتوسل بهم، ومن يحارب هذا الركن يريد أن يرجع إلى عبادات مشركي قريش الوثنية الذي ينعتهم القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

البرهان السادس: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٥٨ ـ ٥٩.

هاتان الآيتان حسب مورد النزول فيهما دلالة على أن القرية التي أمر الله تعالى بني أسرائيل بالدخول فيها كانت قرية ومنطقة مقدسة ومباركة وذلك لأمرين:

الأول: عَبر الباري تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ وهذا يدل على أن تلك القرية فيها بركات عظيمة إضافة إلى تلك النعم السابقة التي ذكرتها الآية السابقة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[١].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾[٢] وهذا يدل على أن القرية مكان عبادة وتعظيم حيث يتعبد فيها لله تعالى، ويغفر فيها الذنوب، ولذلك أمر الله تعالى بالدخول سجداً.

ومن خلال هذين الأمرين يتضح أن هناك بقاعاً معظمة ومقدسة، ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾[٣]، وفيها من البركات الدنيوية العظيمة ويندب عبادة الله فيها لغفران الذنوب.

إن الدخول إلى هذه القرية أو البقاع المقدسة له آداب خاصة وهي:

أ ـ ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، وهذا أمر وتكليف كما ذهب إلى ذلك الفخر الرازي[٤] وأستدل بوجهين على ذلك.

ب ـ ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، وهو الأستغفار والخضوع والتذلل لله تعالى، أي حط عنا ذنوبنا، فطلب الأستغفار والتوبة مشروط بدخول تلك القرية لما لها من بركات وقدسية.

فإذا ألتزموا بهذين الشرطين فسوف يزيد أحسانهم أحساناً: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾[٥].

وأما إذا لم يلتزم بتلك الآداب الخاصة التي أمر الله بها: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وهذا تأكيد على أرتكابهم للمعاصي.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢١.

(٤) التفسير الكبير ج٣: ٨٨.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦٠ ـ ١٦١.

إن أحد مصاديق هذه الآية هي مكة المكرمة، لأنه فيها آداب خاصة لدخولها، فإن الداخل لمكة المكرمة تحرم عليه عدة أمور عدها الفقهاء بخمسة وعشرين أمراً.

وقد بينا في البرهان الثاني والثالث أن غاية كل ما قام به إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، والأذان بالحج هو الأتيان لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾، وقد مر ذلك مفصلاً فراجع.

من هم باب حطة:

هناك عدة روايات تؤكد أن باب حطة هم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم)، وهذه الروايات روتها العامة والخاصة، ومن تلك الروايات نذكر ما يلي:

الرواية الأولى:

أخرج أبن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب قال: إنما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكباب حطة في بني إسرائيل[١].

الرواية الثانية:

عن الرضا علي بن موسى عن أبيه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لكل أمة صدّيق وفاروق، وصدّيق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب، إن علياً سفينة نجاتها وباب حطتها[٢].

الرواية الثالثة:

في كتاب الخصال في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال علي عليه السلام: وأما العشرون فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: مثلك في أمتي مثل باب حطة في بني إسرائيل، فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله عزّ وجلّ[٣].

الرواية الرابعة:

وفيه[٤] يقول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: ونحن باب حطة.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ج١: ١٦٠.
(٢) نور الثقلين ج١: ٨٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

الرواية الخامسة:

روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: نحن باب حطتكم[١].

الرواية السادسة:

في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة قال فيها عليه السلام: ألا وإني فيكم أيها الناس كهارون في آل فرعون، وكباب حطة في بني إسرائيل[٢].

الرواية السابعة:

عن الأعمش عن أسحاق عن حنش بن المعتمر قال: رأيت أبا ذر الغفاري أخذ بعضادتي باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ومثل باب حطة في بني إسرائيل[٣].

الرواية الثامنة:

علي باب حطة: من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً[٤].

وقال المناوي في شرح هذا الحديث:

(علي باب حطة) أي طريق حط الخطايا (من دخل منه) على الوجه المأمور به كما يشير إليه قوله سبحانه في قصة بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾.

(كان مؤمناً ومن خرج كان كافراً) يعني أنه سبحانه وتعالى كما جعل لنبي إسرائيل دخولهم الباب متواضعين خاشعين سبباً للغفران جعل لهذه الأمة مودة علي والاهتداء بهديه وسلوك سبيله وتوليه سبباً للغفران ودخول الجنان ونجاتهم من النيران والمراد (يخرج منه) خرج عليه[٥].

(١) مجمع البيان، ج١: ٢٣٥.
(٢) نور الثقلين ج١: ٨٣.
(٣) المعجم الأوسط للطبراني ج١: ١٣٩، ج٤: ١٠.
(٤) الجامع الصغير للسيوطي ج٢: ١٧٦، كنز العمال ج١١: ٦٠٣ فضائل علي (رض).
(٥) فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤: (٥٥٩٢).

وغير تلك الروايات التي ذكرت في مصادر العامة[١] والخاصة.

وكم هو قريب مضمون هذه الآية باب حطة والروايات الواردة من الفريقين في تفسير باب حطة في هذه الأمة وأنه علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكم هو قريب هذا المضمون من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢].

حيث جعلت الآية سيد الأنبياء هو الباب الذي تحط بالمجيء إليه كل الذنوب وهذا المضمون نظير قوله تعالى ـ أيضاً ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[٣].

ومن خلال هذا كله يتضح أن باب حطة هم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) وبالتالي تكون مراقدهم هي من القرى التي بارك الله تعالى فيها وجعل لها تلك الآداب كالسجود والأستغفار حيث تمحى الذنوب بزيارتهم فضلاً عن ولايتهم.

يقول الفيض الكاشاني: وأعتقادنا الولاية حطة لذنوبنا ومحو لسيئاتنا، نغفر لكم خطاياكم السالفة ونزيل عنكم آثامكم الماضية[٤].

ومن قديم التاريخ والى يومنا هذا من يلج ويصر في العصيان في هذه البقاع يعاجل بأنواع العقوبات إذا عصى الله تعالى في هذه الأماكن المقدسة، سواء كان ساكناً أو قاطناً فيها، أو ماراً زائراً من حيث لا يشعر، ومما يؤكد أن رسول الله ﷺ هو باب حطة ما قاله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٥].

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج٢: ٤٣٤، مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ١٦٨، المصنف لأبن ابي شيبة الكوفي ج٧: ٥٠٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٥.

(٤) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ج١: ١٣٥.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[١]، حيث أشترطت هذه الآية ثلاثة شروط وبنحو الترتب الشرطي:

الأول: التوجه واللواذ بحضرة النبي ﷺ.

الثاني: وقوعاً وترتيباً هو أستغفار المذنب.

الثالث: وقوعاً وترتيباً أمضاء النبي ﷺ وشفاعته في توبة مذنبي الأمة عند الله.

الرابع: نفس هذا الترتيب هو شرط مثل أفعال الصلاة فإن من أتى بالركوع قبل القراءة فأنه يبطل الصلاة.

وهذه الآية سنة إلهية إلى يوم القيامة شأنها شأن بقية الآيات والفرائض المتعلقة بالنبي ﷺ، أو ذات الأرتباط بالنبي ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فهل الإطاعة مرتبطة بحياته فقط، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[٢].

فهذه الآيات الصريحة تدل على أن رسول الله ﷺ هو باب حطة، وبما أن دخول القرية لها آداب خاصة من السجود، فطلب الأستغفار من رسول الله ﷺ له آداب خاصة قد بينها تعالى في كتابه الكريم، وهي:

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[٣].

٢ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾[٤].

٣ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[٥].

فإذاً رسول ﷺ هو باب حطة، وبما أن أمير المؤمنين علي عليه السلام هو نفس رسول

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١٢.

الله ﷺ كما صرح بذلك القرآن الكريم: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(١).

فعلي أيضاً هو باب حطة فضلاً عن الأحاديث التي مرت سابقاً وبنص آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢).

فأهل البيت عليهم السلام هم باب حطة، وكما أشارت النصوص بذلك، ومن ثم يتبين من كل هذا أن مراقدهم الشريفة هي باب حطة فلا بد أن يدخل إلى قبورهم بتذلل وخشوع وأن لا يعصى الله فيها.

البرهان السابع: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾(٤).

إن الوادي المقدس ليس هو بيت المقدس، وليس هو من المساجد الثلاثة ـ مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس ـ فإذن منشأ التقديس الوادي المقدس وهو المكان الذي تكلم فيه الباري تعالى مع موسى عليه السلام، فإن أول لقاء حدث فيه تكليم مع الباري عز وجل في وادي طوى، فجعل الله تبارك وتعالى هذا المكان مباركاً كما في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾(٥).

إذاً توجد هناك بقع أو أرض مقدسة ومباركة وهذا التقديس والتبريك والتعظيم لها لم يأتِ من أي أحد كان، بل الله تعالى هو الذي عظمها وقدسها وبارك فيها، ولعظمتها قسم الله تعالى بهذه البقعة كما في سورة التين (وطور سيناء) كما مر ذكر هذا مفصلاً. والمهم أن طور سيناء هو تلك البقعة المباركة والوادي المقدس الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وهذا ما ذهب إليه جمع من المفسرين من الخاصة والعامة.

وقد فسرت (طوى) لأنه طوي بالبركة مرتين(٦)، فهذه البقعة المباركة شَعَّرها

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢.
(٤) سورة النازعات، الآية: ١٦.
(٥) سورة القصص، الآية: ٣٠.
(٦) الدر المنثور ج٥: ٤٩٢

الباري تعالى وقدسها لورود موسى عليه السلام إليها: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾[1].

ولم تكن تلك البقعة من المساجد التي أوقفها سبحانه وتعالى وليس كل ما يشعر من قبل الله يكون مسجداً. فقد شعر الله تعالى منى في الحج وجعل المبيت فيها من العبادات الواجبة، وكذلك الوقوف في عرفة كما يقول النبي صلى الله عليه وآله: (إنما الحج عرفة) وهي أيضاً ليست بمسجد، وكذلك الوقوف في المزدلفة، حتى قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[2]. وأيضاً شعر تعالى الصفا والمروة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[3]. فكل هذه الأماكن لم تكن من المساجد ومع ذلك شعرها الله تعالى وجعلها أماكن مقدسة لأن بعض الأنبياء عليهم السلام وطؤوها ونزلوا فيها وإليك نص الروايات التي تشير إلى ذلك:

١ ـ منى: عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إن جبرئيل أتى إبراهيم عليه السلام فقال تمن يا إبراهيم فكانت تسمى منى[4].

٢ ـ عرفات: أيضاً عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عرفات لم سميت عرفات؟ فقال إن جبرئيل عليه السلام خرج بإبراهيم (صلوات الله عليه) يوم عرفة فلما زالت الشمس قال له جبرئيل يا إبراهيم أعترف بذنبك وأعرف مناسكك فسميت عرفات لقول جبرئيل عليه السلام إعترف فأعترف[5].

٣ ـ الصفا والمروة: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمي الصفا صفا لأن المصطفى آدم هبط عليه فقطع للجبل أسم فمن أسم آدم عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[6] وهبطت حواء على المروة وإنما

(١) سورة النمل، الآية: ٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٤) علل الشرائع، ج٢: ١٤٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

سميت المروة لأن المرأة هبطت عليها فقطع للجبل أسم من أسم المرأة[١] وهكذا سائر أفعال الحج كلها لمناسبات خاصة ولأفعال قام بها الآنبياء عليهم السلام فشعرها الله تعالى.

إذن التشعير لا يلازم المسجدية، والبركة ليس للأماكن فقط بل لنفس الشخص أيضاً تكون هناك بركة خاصة كما في عيسى ابن مريم: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[٢]. فكيف بخاتم النبيين وأشرف المرسلين ﷺ الذي توسل به آدم عليه السلام لقبول توبته، بل وكل نبي من الأنبياء لم يبعث إلا بعد إقراره بنبوة محمد ﷺ كما سيأتي هذا مفصلاً إن شاء الله تعالى.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أستأذنت زليخا على يوسف، فقيل لها: أنّا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه، قالت: أني لا أخاف من يخاف الله، فلما دخلت قال لها: يا زليخا مالي أراكِ قد تغير لونك؟ قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً. قال لها: ما الذي دعاكِ يا زليخا إلى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبياً يُقال له محمد يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً، وأسمح مني كفاً، قالت: صدقت، قال: وكيف علمت إني صادق، قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي، فأوحى الله عز وجل إلى يوسف أنها قد صدقت وإني قد أحببتها لحبها محمداً فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها[٣].

فإذا كان الله تعالى يحب من يحب خاتم الأنبياء ﷺ فكيف يكون حبه سبحانه وتعالى لشخص النبي ﷺ وذريته، وهذا يدل على أن مقام النبي ﷺ أعظم من مقامات الأنبياء عليهم السلام فكم من موقف وقف فيه رسول الله ﷺ وكلّمه فيه الوحي في أرض الحجاز، وهذه الشرذمة تريد طمس تلك البقاع المقدسة والمباركة حتى وصل الأمر بهم أن جعلوا مكان ولادة النبي ﷺ مكتبة عامة لطمس آثار النبوة، الذي أوحي حقيقة القرآن وليس المصحف بل حقيقة القرآن، القرآن الذي يقول عنه تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٤].

---

(١) علل الشرائع ج٢: ١٣٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣١.

(٣) علل الشرائع ج١: ٧٣.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣١.

فإذا كان القرآن بهذه البركة فكيف من أوحي إليه القرآن، فالعبادة التوحيدية مقترنة بالتوجه بالأنبياء وبمشاهدهم وبمقاماتهم إلى الله ﷻ، فالمعصوم أينما كان هو حرم ولكن هناك بقاع يحب الله تعالى أن يعبد ويدعى فيها، ولهذا عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مكة أخذ يطوف في البيت إلى منتصف الليل ثم ذهب إلى مقبرة المعلى فصلى صلاة الليل عند قبر جدته السيدة خديجة عليها السلام، فكيف بقبر جده المصطفى ﷺ وقبر أبيه وأمه وأخيه عليهم السلام.

ذكر الشيخ السمهودي رواية وهذا نصها:

وروى يحيى وأبن النجار عن كعب الأحبار قال: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ، حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا إنشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة.

وفي صحيح الدارمي نحوه من رواية عائشة، وقال فيه: سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار، ذكره في باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ بعد موته، رواه البيهقي في شعبه[(١)].

فإذا كان الله تعالى يبعث الملائكة إلى قبر النبي ﷺ وبدون أنقطاع على حد تعبير كعب الأحبار وعائشة فلماذا لا نزوره نحن كما تزوره الملائكة، كما هو الحال في سنة الملائكة في خضوعهم لآدم عندما أمرهم الله تعالى بذلك بخلاف سنة إبليس أبى وأستكبر.

وهذه الرواية في كتبهم وليس في كتبنا، ولماذا إذا زرنا قبره ﷺ وقبور أهل بيته عليهم السلام يرموننا بالكفر والشرك والزندقة، بل الكافر والمشرك هو من يريد أن يفرق بين النبي ﷺ وأمته، ويريد أن يطمس آثار النبوة، فلو كان الأمر بيدهم لرفعوا حتى الشهادة الثانية من الآذان لأنهم من أتباع مشركي قريش بلا ريب.

* * *

(١) وفاء الوفاء للسمهودي ج٢: ١٢٢.



الفصل الثاني

البحث القرآني
الأدلة الخاصة

كلمة قبل البحث:

بعد ما ذكرنا البراهين من الطائفة العامة نشير ونتحدث الآن إلى الطائفة الخاصة، وهذه الطائفة ـ كما ستتضح ـ هي من روايات أهل بيت النبوة والعصمة والتي وصلت إلينا بدليل معتبر وبسند صحيح لتفسير بعض آيـات الكتاب الكريم، فهي ـ الطائفة الخاصة ـ آيات مفسرة بتفسير خلفاء الرسول الشرعيين والذي نصبهم رسول الله ﷺ وبأمر من الله ﷻ، وهذه الأحاديث مدعومة ببعض القرآئن والشواهد القرآنية والنبوية، وإنما سميناها بالخاصة لأنها من أحاديث الأئمة الأثنى عشر حدثوا بها خواص شيعتهم ومواليهم، لأنهم كانوا في تقية شديدة بسبب حكام الظلم والجور من كلا الدولتين الأموية والعباسية، حيث منع تدوين أحاديث السنة الشريفة لطمس مناقبهم وآثارهم بكل وسيلة.

ولعل أهم وأبرز حدث أثر في السُنة النبوية ـ نصاً ومعنى ـ هو منع الشيخين التدوين والتحديث عن رسول الله ﷺ ودورهما في تطبيق هذه الرؤية واستمراره في عهد عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان، ثم أتخذه الخلفاء من بعد منهجاً يعمل به حتى أوقفه عمر بن عبد العزيز وأمر بتدوين الحديث[١]. ورغم كون هذه الأحاديث من طرق

---

(١) فقد روي عن يحيى بن جعدة: (إن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السُنّة ثم بدا له أن لا يكتبها. ثم كتب في الأمصار: من كان عنده منها شيء فليمحه)[١].

وفي حديث آخر عن القاسم بن محمد بن أبي بكر: أن عمر بن الخطاب بلغه أنه قد ظهرت في أيدي الناس كتب، فأستنكرها وكرهها، وقال: أيها الناس إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي قال: فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه إختلاف، فأتوا بكتبهم، فأحرقها بالنار!!. =

---

(١) كنز العمال ج١٠: ٢٩٢ ح٢٩٤٧٦، تقييد العلم: ٥٣، حجية السنة: ٣٩٥.

....

= ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب[1]. إن النهي جاء للحد من نشر فضائل أهل البيت، وتخوفاً من أشتهار أحاديث الرسول في فضل علي وأبنائه، وما دل الدليل على إمامتهم، وقد أشتد هذا الأمر على عهد معاوية الذي كان يأمر الناس بلعن الإمام علي عليه السلام في خطب الجمعة على منابر المسلمين[2]. وقام أكثر حكام الظلم والجور من بني العباس بمنع الناس من زيارتهم عليهم السلام ولم يكتفوا بذلك بل أشخصوهم إلى البلاد التي يحكموا فيها كما حدث هذا مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وباقي الإئمة من ولده حتى تكون مراقبتهم مباشرة وشديدة ودقيقة، بل وصل الأمر إلى أنه لا يمكن ذكر أسمائهم فضلاً عن زيارتهم.

(١) وقد روي أكثر الأحاديث النبوية والخاصة من الإمام الصادق عليه السلام، حيث كانت في تلك الفترة الصراعات السياسية بين بني أمية وبني العباس متأزمة جداً بحيث وصلت إلى الأقتتال بينهم وأستغل الإمام عليه السلام تلك الفترة وربى جيلاً كبيراً من جميع الطوائف والأديان.فقد نقل السيد الأمين: (أن الحافظ أبن عقدة الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعة آلآف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر أبن محمد فضلاً عن غيرهم، وذكر مصنفاتهم)[3].

ونقل أيضاً: (روي النجاشي في رجاله بسنده عن الحسن بن علي الوشاء في حديث أنه قال: أدركت في هذا المسجد - يعني في مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد).

وعن مالك بن أنس قال:(ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشراً أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً)[4]. ووصفه المؤرخ الشهير اليعقوبي بقوله: (وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكـان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا أخبرنا العالِم)[5]. فكانوا (سلام الله عليهم) هم حفظة السُنّة النبوية، وكل ما جاء من عندهم فهو من عند رسول الله ﷺ وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث أبيه، وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل)[6]. إذن ما ننقله هنا هو في الحقيقة من السُنّة النبوية الشريفة، وإنما عليهم السلام حدثوا أصحابهم بذلك لأنهم يتحملون ما يسمعون منهم عليهم السلام بخلاف =

---

(١) أهل البيت مقامهم منهجهم مسارهم: ٨٣.

(٢) الطبري، ذخائر العقبى: ٦٧.

(٣) حجية السُنة: ٣٩٥، للشيخ عبد الغني عبد الخالق.

(٤) منع تدوين الحديث: ٦٣.

(٥) أعيان الشيعة ج١: ٦٦١.

(٦) المناقب لأبن شهر أشوب ج٤: ٢٤٧.

أهل البيت عليهم السلام إلا أن مضامين هذه الأحاديث متطابقة مع ما ورد في طرقهم من الخلقة النورية للرسول صلى الله عليه وآله والخلقة النورية لعلي عليه السلام وما ورد عندهم في تفسير آية النور عندهم ببيوت الأنبياء وبيت علي وفاطمة من أفاضلها كما سيأتي.

مضافاً إلى ما ورد من أن الله تاب على آدم بتوسله بأسم خاتم الأنبياء وهي أولى الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، مما يشير كل ذلك إلى إرادة عترة النبي صلى الله عليه وآله أيضاً.

مضافاً إلى أن ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أيضاً من مضامين متضمنة إلى بيان ذلك عبر دلالات قرآنية مستبينة بالتدبر وأمعان النظر من ظواهر الآيات.

البرهان الأول: آية النور:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1].

إن النور المذكور في الآية المباركة متعدد ومنشعب إلى خمسة أنوار، مستقل بعضها عن البعض الآخر، والأنوار الخمسة التي ضربت مثلاً هي:

١ ـ المشكاة.

٢ ـ المصباح.

= المبغض والمنافق الذي لا يريد أن يسمع فضيلة من فضائلهم، بل لا يريد أن يسمع بهم أصلاً لأنهم من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله كما يقول صلى الله عليه وآله: (إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا، يعني علياً)[1].

(١) النور: ٣٥ ـ ٣٧.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢: ٣٨.

٣ ـ الزجاجة.

٤ ـ الكوكب الدري.

٥ ـ الشجرة المباركة.

فهذا النور المخلوق ذو الأقسام الخمسة يحيط بالسماوات والأرض: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأن لها مدداً إلهياً. وبعد هذه الأنوار الخمسة هناك أنوار متعاقبة: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ نور على أثر نور، فالأنوار الخمسة هم أصحاب الكساء، والأنوار المتعاقبة هم الإئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام.

فهناك خمسة تشبيهات في الآية يعني إنه تقسيم للأنوار الإلهية وكل نور من هذه الأنوار فيه شبه للنور الأول، مثل نوره كمشكاة، ومثل نوره كمصباح، ومثل نوره كالزجاجة ومثل نوره كأنه كوكب.

وبعد أن تستعرض الآية هذا التشبيه تبين المدد الإلهي لهذه الأنوار الخمسة: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وهو العلم اللدني لمحمد وآل محمد (صلوات الله عليهم).

فعن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ الحسين ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يهدي الله للإئمة من يشاء...[١].

وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فقال: هو مثل ضربه الله لنا، فالنبي ﷺ والإئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والفرائض والسنن، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢].

---

(١) أصول الكافي ج١: ١٩٤، تفسير القمي: ٤١٩.

(٢) التوحيد: ١٥٢.

وروايات متعددة تشير إلى هذا المعنى وإن كان بعضها فيها تقديم وتأخير إلا أن المعنى واحد، فالله ﷻ جعلهم كنور واحد ومثّلهم بالنور، فعن إسحاق بن جرير قال: سألتني امرأة أن أدخلها على أبي عبد الله عليه السلام فأستأذنت لها، فأذن لها فدخلت ومعها مولاة لها، فقالت له: يا أبا عبد الله قول الله ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ما عنى بهذا؟ فقال لها: أيتها المرأة إن الله لم يضرب الأمثال للشجر إنما ضرب الأمثال لبني آدم[١].

تفسير ابن عربي:

يقول ابن عربي في تفسيره: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: فشبه نوره بالمصباح، فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل الأول، فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود، فكان ظهوره من ذلك النور الإلهي من الهباء ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب إمام العالم بأسره والجامع لأسرار الأنبياء أجمعين[٢].

وإذا قالوا من أين تأتون بالخلقة النورية أو أين ذكرت الأنوار الخمسة !!، فنقول لهم من هذه الآية الشريفة، نعم أنهم يقولون هذه نزعة باطنية فمثل هذه التهافتات في الكتب كثيرة في الساحة الإسلامية، وكأنهم لا يقرأون القرآن.

ذكر صاحب غاية المرام[٣] حديثين حول تفسير هذه الآية تحت عنوان (من طريق العامة وفيه حديثان):

الحديث الأول:

ما رواه ابن المغازلي الشافعي في كتاب (المناقب) يرفعه إلى علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ﴾ قال: المشكاة فاطمة عليها السلام والمصباح الحسن والحسين عليهما السلام: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال: كانت

---

(١) نور الثقلين ج٣: ٦٠٤.

(٢) الفتوحات المكية وحجة الخصام ج٣: ٢٥٨.

(٣) غاية المرام ج٣: ٢٥٨.

فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ الشجرة المباركة إبراهيم ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ قال: يكاد العلم ينطق منها ولو: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ قال: فيها إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ قال: يهدي الله لولايتنا من يشاء[(١)].

الحديث الثاني:

أيضاً ذكره بنفس الأسناد ولكن قال: المصباح الحسن والزجاجة الحسين[(٢)]، وللأختصار ذكرنا هذا فقط وإلا فالحديث ذكره صاحب غاية المرام نصاً.

نعم ان الحديثين موجودان في كتبنا وهما عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولكن هناك أكثر من مصدر من مصادرهم يفسرون هذه الآية المباركة بنور النبي ﷺ من غير أهل بيته وهذا يعني أنها فسرت عندهم بتلك النزعة الباطنية؟!.

فقد ذكر صاحب تفسير السلمي إنه: قال أبو سعيد الحراز: في قوله ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾ المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي قد جعل الله فيه: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ... مُّبَارَكَةٍ﴾ إبراهيم ﷺ جعل الله في قلبه النور ما جعل في قلب محمد[(٣)].

وذكر صاحب تفسير الثعلبي والقرطبي والبغوي في تفسير: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ قول شمر بن عطية حيث قال: جاء أبن عباس إلى كعب الأحبار فقال له حدثني عن قوله سبحانه: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فقال كعب: هذا مثل ضربه الله سبحانه لمحمد ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة وهي شجرة النبوة يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي.....[(٤)].

إذن فليس الشيعة فقط تفسر هذه الآية بهكذا تفاسير، وإن التفسير يختلف عما نفسره نحن، والرواية التي ذكروها عن كعب الأحبار ليست هي الوحيدة، بل هناك

(١) مناقب أبن المغازلي: ١٩٥ ح ٣٦١.
(٢) الصراط المستقيم ١: ٢٩٦، البحار ٢٣: ٣١٥.
(٣) تفسير السلمي ج٢: ٤٤.
(٤) تفسير الثعلبي ج٧: ١٠٥، تفسير البغوي ج٣: ٣٤٦، تفسير القرطبي ج١٢: ٢٥٩.

روايةأخرى ذكرها السيوطي في الدر المنثور[١] عن أبن عمر، وكذلك ذكرها الصالحي الشامي[٢] في سبل الهدى والرشاد أيضاً.

آيات أخرى:

والمهم أن هذه الآية ليست هي الآية الوحيدة التي تفسر بأهل البيت بل هناك آيات أخرى متعددة تتحدث عن ذلك النور الإلهي، فعن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: لقد آتى الله أهل الكتاب خيراً كثيراً، قال: وما ذاك؟ قلت: قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾[٣] قال: فقال: لقد آتاكم الله كما آتاهم ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[٤]، يعني إماماً تأتمون به[٥].

وعن علي بن أسباط والحسن بن محبوب عن أبي آيوب، عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾[٦] فقال: يا أبا خالد النور والله الإئمة يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها[٧].

وغير ذلك من الآيات التي تؤكد على أن النور هم الإئمة عليهم السلام المذكورة في أكثر من آية أو مصدر.

حيث أن هذه الأنوار الخمسة هي نفس عدد آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا

(١) الدر المنثور للسيوطي ج٦: ١٨٢.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج١: ٥٣٠.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥٤.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٩.
(٥) أصول الكافي ج١: ١٩٤.
(٦) سورة التغابن، الآية: ٨.
(٧) أصول الكافي ج١: ١٩٥.

جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾(١) ونفس آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢) على تفسير كلا الفريقين.

إذن هذا النور المخلوق ذو الأقسام الخمسة يحيط بالسماوات والأرض: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهناك كنوز من المعارف والمعاني في هذه الآيات، قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾(٣) فقال: عرضهم وليس عرضها وهذا يعني أنها موجودات حية شاعرة عاقلة: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾(٤) فالملائكة التي ملئت السماوات والأرض لم تكن تعلم بتلك الموجودات الحية الشاعرة العاقلة، إذن تلك الموجودات الحية الشاعرة العاقلة ليس ظرفها السماوات والأرض وإلا لعلمت بها الملائكة بل هي محيطة ومهيمنة بالسماوات والأرض، فهذا الجمع من الموجودات نشأتها وراء السماوات و ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ مجموعة أيضاً. وهم أسماء أهل البيت عليهم السلام ولم يبين عددهم أو أسمائهم إلا أنها بينت مجموعة: ومن هنا يظهر التشاهد في الآيات القرآنية، وهذه الأنوار في أرواح والأرواح في الأبدان والتي هي أسماء إلهية، والأسم الإلهي من العلامة أي الآية قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾(٥). فعيسى عليه السلام علامة إلهية، أسم إلهي، لأن الأسم من السمة وكذلك هو حجة من حجج الله فإذاً الأسماء التي علم بها آدم وبها شرف وبها فاق مقام الملائكة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾(٦) هي الأنوار الخمسة كما في بعض الروايات(٧). وبعد هذه الأنوار الخمسة هناك أنوار متعاقبة: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ نور على أثر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٣٢ ـ ٣٣.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٧) نور الثقلين ج١: ٥٤.

نور. وهذه الأنوار في بيوت يعني لها إرتباط وتعلق ببيوت وإلا فالبيوت ليس متعلقة بما تأخر عليها من كلام في الآية فقط بل بما تقدم أيضاً: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ فهذا وصف آخر له، فإذا كان السابق على الظرف والمظروف والجار والمجرور يصلح للعمل في الجار والمجرور، فلا يجعل حينئذ الجار والمجرور معمولا للعامل المتأخر، فلا ريب أن العامل السابق هو مؤثر.

إذن هذه الأنوار الخمسة والأنوار المتعاقبة: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ أي تعظم وتبجل، في آيات أمر الله تعالى تعظيم النبي ﷺ والتي أشار إليها الإمام زين العابدين عليه السلام في صلوات خاصة من الصحيفة السجادية، المهم أن هذه الآيات التي تبين النور الذي أنزل على النبي ﷺ ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[2].

فقد أوحي إلى النبي كلام، وأوحي إلى النبي قرآن، هنا أوحي إلى النبي ﷺ روح، لا أن الروح توحي إلى النبي كلاماً بل الروح هو الموحى إلى النبي ﷺ، أي جعل هذا الروح مغروساً في روح النبي ﷺ وهو نور، فهذا النور في آيات عديدة هو ذات النبي وبدنه.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾. وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام وفي أحدى القراءات العشرة ﴿يُسَبَّحُ﴾ بفتح الباء وفي القرآن بكسر الباء، فإذا قال ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء فلها إرتباط بالآية اللاحقة كي تكون فاعلاً ل ـ (رجالاً) أما إذا قيل ﴿يُسَبَّحُ﴾ بفتح الباء يعني هذا صيغة المبني للمجهول وتكون هذه صفة للبيوت.

ذكر الشيخ الكليني رواية نأخذ منها موضع الشاهد للأختصار: في حوار بين الإمام الباقر عليه السلام وفقيه أهل البصرة قتادة.

(. . . . فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم.، فقال له أبو

(١) سورة التغابن، الآية: ٨.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

جعفر ﷺ: ويحك يا قتادة إن الله ﷻ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، أصطفاهم قبل خلقه أطلة عن يمين عرشه، قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام أبن عباس فما أضطرب قلبي قدام واحد منهم ما أضطرب قدامك. قال له أبو جعفر ﷺ: ويحك أتدري أين أنت، أنت بين يدي ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ فأنت ثم نحن أولئك فقال قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين..)[1].

إن كثيراً من المفسرين فسروا البيوت بالمساجد في حين إن الآية لم تذكر لفظ المساجد، قال صاحب الكشاف ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يتعلق بما قبله مثل نوره كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد[2].

ولكن الظاهر أن التفسير غير صحيح كما مر من الحوار الذي دار بين قتادة فقيه البصرة وأبي جعفر الباقر ﷺ، بل ورد في رواياتهم أيضاً كما روى ذلك السيوطي والآلوسي والحسكاني وإليك نص الرواية:

عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال:

هذا البيت منها؟ بيت علي وفاطمة، قال: نعم. ومن أفاضلها[3]، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ......﴾ فالنبي ﷺ فسر البيوت ببيوت الأنبياء. وليس بالمساجد كما ذكر جماعة من المفسرين.

إذن هذه البيوت والتي من أفاضلها بيت علي وفاطمة يجب أن تشيد وتعمر وبما

---

(١) الكافي ج٦: ٢٥٦.

(٢) الكشاف ج٢: ٣٨٩.

(٣) الدر المنثور ج٦: ١٨٦، روح المعاني ج٤٩: ١٨، شواهد التنزيل ج١: ٤٠٩ ح٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨.

أن النور مستمر حتى في القبر فكذلك قبر علي وفاطمة عليهما السلام يجب أن يشيدا و يعمرا، لأنه يجب أن ترفع وتعظم بأمر من الله جل وعلا ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ بل تكون محل عبادة ليتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى. لأن معنى الرفع هو التعظيم أما التعظيم لهذه البيوت أو لأصحابها (سلام الله عليهم) وفي كلا الحالتين المعنى واحد لأنه أما أن يكون التعظيم مادياً ـ أي الرفع ـ والذي يتحقق بإقامة الجدار والبناء وتعميرها ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾[١] وبهذا لا يتم الرفع إلا بعمارة قبورهم.

أو يكون الرفع ـ التعظيم ـ رفعاً معنوياً وهنا لا بد من تكريم وتعظيم ورفع بيوتهم التي هي محل قبورهم.

إذاً هذه الفئة التكفيرية لم تعمل بقول الله عزّ وجلّ ولا بقول رسوله صلى الله عليه وآله والذي لا يعمل بذلك هل هو مشرك وكافر أم لا؟.

قالت السيدة زينب عليها السلام لأبن أخيها الإمام السجاد عليه السلام:

(وليجتهدن إئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً)[٢].

ويؤيد هذا المعنى من الرفع حديث أبي عامر البناني ـ واعظ أهل الحجاز ـ قال: أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا بن رسول ما لمن زار قبره ـ يعني أمير المؤمنين ـ وعمر تربته؟

قال: يا أبا عامر حدثني أبي عن أبيه عن جده الحسين بن علي عن علي عليهما السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلن بأرض العراق، وتدفن بها. قلت يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

فقال لي: يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحن إليكم وتحتمل

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٢) بحار الأنوار ج٤٥: ١٨٠.

المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله مودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصصون بشفاعتي والواردون حوضي، وهم زواري غداً في الجنة.

يا علي ! من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الأسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشر أولياءَك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي، لا نالتهم شفاعتي، ولا يردون حوضي[1].

ثم قالت الآية ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

والرجال هنا ليس مقابل النساء أو جنس الذكر، بل من عنده الصلابة وعدم الضعف: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فهي لا تختص بالرجال دون النساء، بل توجد كثير من النساء عاهدن الله وكن صادقات في عهدهن مع الله تعالى.

فهذا النور في بيوت وهذه البيوت فيها رجال خاصيتها هكذا، إنها لا تغفل عن ذكر الله وإقامة الصلاة، وهذه صفات فوق عصمة الجوارح بل الجوانح فالرجال ليس مطلق الرجال بل الرجال الذين لهم هذه العصمة.

فإذاً وحدة السياق وعمل الآية الأولى في الثانية له نور متعلق بالبيوت فيدل على أن هذه البيوت ليست بيوت مدر ولا حجر كما قال الباقر ﵇، وإنما هي بيوت ظرف للنور والنور مستمر حتى في القبر.

ذكر السمهودي في وفاء الوفاء: وفي كلام بعض الشافعية: ينبغي أن تكون الصلاة بالمسجد خلف الحجرة الشريفة أو شرقيها، وألتمس مني الكتابة في ذلك، فكتبت بما

(١) الوهابيون والبيوت المرفوعة: ٦٨ للسنقري نقلاً عن شفا السقام للسبكي، تهذيب الأحكام: ٦/ ٢٥/ ٥٠، فرحة الغري: ٧٧، عن أبي عامر التباني، المزار للمفيد: ٢٢٨/ ١٢.

حاصله: إن الله تعالى قد أوجب على هذه الأمة تعظيم نبيها ﷺ وتوقيره وسلوك الأدب التام معه...[١].

وهذا دليل على أن النور مستمر حتى في قبورهم، وهذا هو التشعير بحد ذاته لأن التشعير هو التعظيم.

وقد شعر مقام إبراهيم ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وهو ليس بمسجد بل هو مجرد حجر ولكن شعرها الله تعالى للصلاة، وسبل من قبله تعالى للصلاة لتكون إحياءً لذكرى إبراهيم عليه السلام.

وفي بعض الروايات عن النبي ﷺ: إن قبر إسماعيل في الحجر[٢].

وقال عبد الله بن ضمرة السلولي: ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبياً جاءوا حجاجاً فقبروا هنالك (صلوات الله عليهم أجمعين)[٣].

وجاء في السيرة الحلبية[٤] إن بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً وجاء إن حول الكعبة لقبور ثلاثمائة نبي وإن بين الركن اليماني إلى الركن الأسود لقبور سبعين نبياً.

وعن مجاهد عن بن عمر قال، قال رسول الله ﷺ في مسجد الخيف قبر سبعين نبياً[٥].

ومن خلال هذه الأحاديث يتضح أن الطواف حول البيت وحول القبور والقبلة التي هي الكعبة المشرفة نستقبل معها قبور الأنبياء عليهم السلام ونعمل كل ذلك بأمر منه تعالى. والحال على زعمهم أن يكون التوجه إلى بيت الله فقط، ولا يجوز التوجه بالبدن إلى القبور.

---

(١) وفاء الوفاء ج٢: ١٠٤.

(٢) الجامع الصغير للسيوطي ج١:٣٥٦ ح٢٣٣٨، كنز العمال ج١١: ٤٩٠، ح٣٢٣١٢، الدر المنثور ج٣: ١٠٣، السيرة الحلبية ج١: ٢٥١، تفسير الآلوسي ج٩: ٨، تاريخ دمشق ج٢٣: ٧٩.

(٣) تفسير القرطبي، ج٢:١٣.

(٤) السيرة الحلبية ج١، ٢٥٠.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ج١٢: ٣١٦، الجامع الصغير للسيوطي ج٢: ٢٢٩ / ٥٩٦٥.

إذا فصلاتهم باطلة، ويقولون أيضاً إنه في عبادتك يجب أن لا تدخل أسماً غير الله تعالى فماذا يقولون إذا كان من شرط الشهادة الأولى في الآذان والإقامة هو الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة (أشهد أن محمداً رسول الله) فإن عبادة القلب وعبادة العقل هو أن لا يجحد ولا يعصي بل يؤمن وهذا هو الأيمان الذي من أفضل العبادات لله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]، أي ليعرفون، لأن معرفة القلب والعقل هي عبادته، فيسلم ويخضع ويتضرع ويخبت وإلا فيستكبر، فالشهادة الأولى والثانية بأسم عبده ورسوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾[2] من العبادات التوحيدية لله تعالى فإذا لم يقروا بالرسالة والأذعان بها فهم لم يعبدوا الله طرفة عين أبداً، فإذا كانت في دعواهم أن أي أسم في توجه العبادة بالقلب فضلاً عن البدن إذا لم تكن لغير الله فهو شرك، فإذن لِمَ تذكرون أسم النبي ﷺ في توجهكم إلى الله، أليس (السلام عليك أيها النبي) زيارة للنبي ﷺ، فالسلام مشروع بضرورة المسلمين في الصلاة وبأجماعهم.

أوليس (السلام عليك أيها النبي) هذا نداء، إذن صلاتكم باطلة لأن هذا لغير الله وهو شرك؟!.

فإن (أيها) للقريب وليس للبعيد، والإسلام منتشر في كل بقاع العالم وهم ينادون النبي عن قرب فالآذان عبادة وهو بوابة ومفتاح الصلاة، وكذلك الإقامة فلماذا الباري تعالى قرن أسم نبيه بأسمه تعالى والتي هي مفتاح باب التوحيد وكل هذا لأجل أن يعلم أن الصلاة التي هي الركن الركين في العبادة (عمود الدين) فيها بصمات لباب الله الأعظم وهو النبي ﷺ، فلو كان إقحام أسم النبي ﷺ وذكره والتوجه إليه من أن ذلك شرك لما كانت الشريعة بهذا الحال وهذا المنوال.

فالفارق إذن بين صلاة المسلمين الموحدين وبين صلاة المشركين بات واضحاً من خلال ما تقدم، وهذا الفرق نفس الفرق الذي مر بين حج المشركين وحج المسلمين، لأنهم في فلسفة عبادتهم لا يقرنون بين الشهادة الأولى والثانية ولا تداعياتها، لأنهم يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ﷺ، فإن حقيقة العبادة والعبادات هي النية القربية

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة الشرح، الآية: ٤.

وهي نية السبب المؤدي للقربة، والقربة غاية ومسببة تحصل بالطاعة التي هي طاعة الله ورسوله وأولي الأمر كما أمر هو تعالى بذلك.

فهذه العبادة التوحيدية التي لم يهضمها هؤلاء والذي أبى وأستكبر وجحد عنها أبليس اللعين، فهي سُنة كسُنة أبليس، فأبليس اراد أن يفرق بين طاعة الله وطاعة خليفة الله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[1]، بينما الملائكة تم نورهم وتوحيدهم بطاعتهم لله ولخليفة الله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

الفرق بين الهجرتين:

فالهجرة من العبادات العظيمة ولكن ليس كل من هاجر فهو مهاجر ومن المهاجرين لأنه يوجد فرق بين من هاجر ألى الله ورسوله ﷺ ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[3] وبين من هاجر لأجل النفوذ في السلطة وأستئثار مواقع ومناصب، والتغلغل في ذلك، فهؤلاء ليس إلى الله وليس إلى رسوله.

والأمر الآخر هو أن الكلام من مبطلات الصلاة فكيف نتكلم مع النبي ﷺ في الصلاة؟!.

فإننا نذكر النبي ﷺ في أول الصلاة ووسطها وآخرها وهذا ذكر من أذكار الله تعالى، لأن الصلاة كلها ذكر الله ولله، فذكر النبي ﷺ من ذكر الله ﷻ، وإذا ذكرت النبي ﷺ فأنك ذكرت أهل بيته بنص القرآن الكريم كما في آية المباهلة وآية التطهير.

ذكر الإئمة في التسليم:

ذهب جملة من العلماء بجواز السلام على الإئمة الهادين المهديين بعد السلام على النبي ﷺ في الصلاة.

وذهب إلى ذلك الشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي في النهاية، والشيخ المفيد في المقنعة وغيرهم من المتقدمين.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٢) سورة ص، الآيتان: ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

فقد ورد في الفقيه للشيخ الصدوق حيث قال (ثم سلم وقل: اللهم أنت السلام ومنك السلام ولك السلام وإليك يعود السلام، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام على الإئمة الراشدين المهديين...)[١].

وقد أفتى الشيخ الطوسي في النهاية بذلك حيث قال في صيغة التسليم: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام على جميع أنبياء الله وملائكته ورسله السلام على الإئمة الهادين المهديين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يسلم على حسب ما قدمناه)[٢].

وبعين هذه الألفاظ أفتى أبن براج في التسليم في كتابه المهذب[٣].

وأفتى سلار في التسليم بقوله: (ويومىء بوجهه إلى القبلة فيقول: السلام على الإئمة الراشدين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)[٤].

وأفتى المفيد في المقنعة بذلك في التسليم حيث قال: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ويوميء بوجهه إلى القبلة ويقول: السلام على الإئمة الراشدين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وينحرف بعينه إلى يمينه وإذا فعل ذلك فقد فرغ من صلاته وخرج منها بهذا التسليم)[٥].

إذن فطاعة من لم يأمر الله بطاعته وثن وصنم، وترك من أمر الله بطاعته هي من الوثن أيضاً فطاعة رسول الله هي طاعة الله تعالى والدال على أوامر الله هو رسول الله ﷺ والدال على أوامر الله وعبده ورسوله هم أولي الأمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٦].

طاعة أهل البيت عليهم السلام:

فقد صرحت الكثير من الأحاديث الواردة في كتب الفريقين بأن المراد من أولي

---

(١) الفقيه ج١: ٣١٩، ح: ٩٤٤.
(٢) النهاية ج١: ٣١١.
(٣) المهذب ج١: ٩٥.
(٤) المراسم العلوية: ٧٣.
(٥) الشهادة الثالثة: ٧٢.
(٦) سورة النساء، الآية: ٥٩

الأمر الذين أوجب الله تعالى طاعتهم في هذه الآية هم أهل البيت المعصومون ﷺ، ومنها:

١ ـ أخرج الحاكم الحسكاني بسنده إلى أمير المؤمنين ﷺ، قال:(قال رسول الله ﷺ: شركائي الذين قرنهم الله بنفسي وبي وأنزل الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية، فإن خفتم تنازعاً في أمر فأرجعوه إلى الله والرسول وأولي الأمر. قلت: يا نبي الله، ومن هم؟ قال: أنت أولهم)[1].

٢ ـ وأخرج أيضاً بسنده إلى مجاهد، قال... .﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: نزلت في أمير المؤمنين ﷺ حين خلفه رسول الله ﷺ في المدينة فقال: (أتخلفني على النساء والصبيان؟، فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال له: اخلفني في قومي وأصلح؟ؤ.

فقال الله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: هو علي بن أبي طالب، ولاه الله الأمر بعد محمد ﷺ في حياته حين خلفه رسول الله ﷺ بالمدينة، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه[2].

٣ ـ وأخرج أيضاً بسنده إلى أبي بصير عن الإمام الباقر ﷺ أنه سأله عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

قلت: إن الناس يقولون: فما منعه أن يسمي علياً وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر: (قولوا لهم: إن الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا سبعاً حتى فسر ذلك لهم رسول الله، وأنزل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ فنزلت في علي والحسن والحسين، وقال رسول الله ﷺ: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، إني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض، فاعطاني ذلك)[3].

وفي ذلك كثير من الروايات التي تؤكد هذا، فهذه العبادات كالصلاة والصيام

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ٢٠٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، أصول الكافي ج١: ١/١٨٦.

والحج والزكاة هي فرائض من الله وسنن من الرسول ﷺ وسنن من أهل بيته عليهم السلام لأن الله أعطاهم هذا المقام الكبير: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[١].

الشهادة الثالثة:

ولذلك أفتى جمع من الفقهاء بجواز أو أستحباب الشهادة الثالثة لأمير المؤمنين عليه السلام، فرفع الله تلك البيوت والتي هي رجال معصومون من الرجس مطهرون، كما رفع ذكر نبيه، فقرن الشهادة بولايتهم بالشهادتين. فجعل حقيقة التشهد في شريعة الإيمان هي الشهادات الثلاث ونعت أهل الإيمان بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فجاء بلفظ الجمع ليدلك على زيادة الشهادات على الأثنين وقد تواترت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بل وعن جملة من مصادر العامة على أن التشهد حقيقة شرعية في الشهادات الثلاث بل وفي مجمل العقائد الحقة وذلك بلسان أقتران الشهادات الثلاث في كل مراحل نواميس الخلقة الإلهية[٢]، فلا ينفع الإقرار بالشهادة الأولى من دون الشهادة الثانية، ولا بالشهادتين من دون الإقرار بالشهادة الثالثة، وهي إمامة أمير المؤمنين والإئمة المعصومين عليهم السلام.

فقد روى فرات الكوفي في تفسيره عن علي بن عتاب معنعناً عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأبصرته بقلبي، ولم أره بعيني فسمعت أذاناً مثنى مثنى، وإقامة وتراً وتراً، فسمعت منادياً ينادي يا سكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي أن محمداً عبدي ورسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا، قال: أشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي أن علياً وليي وولي رسولي، وولي المؤمنين بعد رسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا...)[٣].

ومنها: ما روى الكليني في الصحيح الأعلائي عن أبن أذينة عن أبي عبد الله في

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) راجع كتاب الشهادة الثالثة لسماحة الاستاذ الشيخ السند ففيه التفصيل على ذلك.

(٣) الشهادة الثالثة: ١٨١ نقلاً عن تفسير الكوفي.

حديث المعراج: (أن جبرئيل أذن فقال: اشهد أن محمداً رسول الله فأجتمعت الملائكة فقالت مرحباً بالحشار ومرحباً بالناشر ومرحباً بالأول ومرحباً بالآخر، محمد خير النبيين وعلي خير الوصيين)[١].

وكثير من الروايات التي تؤكد ذلك وأن الأذان والإقامة في المعراج كانتا في نفس الموطن من المعراج الذي سمع فيه النبي ﷺ للشهادات الثلاثة، وروايات المعراج حافلة بأن بدء التشريع للأذان والصلاة كان في المعراج.

وأن كثيراً من الفقهاء المتقدمين أفتى بالشهادة الثالثة في دعاء التوجه إلى الصلاة والذي يؤتى به بعد تكبيرة الإحرام كالشيخ الطوسي والحلبي في الكافي والمفيد في المقنعة والشيخ الصدوق في المقنع وابن زهرة وسلار وغيرهم فقد أفتى الشيخ الطوسي في كتاب الاقتصاد، قال في فصل فيما يقارن حال الصلاة وأول ما يجب من أفعال الصلاة المقارنة لها النية... ويستفتح الصلاة بقوله (الله أكبر)... فإن أراد السنة في الفضيلة كبر ثلاث مرات... ثم يكبر تكبيرتين أخريين مثلما قدمناه ويقول... ثم يكبر تكبيرتين أخريين ويقول بعدهما: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض على ملة إبراهيم ودين محمد ﷺ وولاية أمير المؤمنين وما أنا من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين)[٢].

بل الحلبي في الكافي أفتى بذكر أسمائهم (صلوات الله عليهم)، حيث قال في الكافي: (فأما التوجه فهو ما يفتتح به الصلاة من التكبير والدعاء وصفته أن يقول المتوجه بعد الفراغ من الإقامة ويداه مبسوطتان تجاه وجهه: أللهم إني أتوجه إليك وأتقرب إليك بمن أوجبت حقهم عليَّ: آدم ومحمد ومن بينهما من النبيين والأوصياء والحجج والشهداء والصالحين وآل محمد المصطفى: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن اللهم فصلِّ عليهم أجمعين وأجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين اللهم أجعل صلاتي بهم مقبولة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الشهادة الثالثة: ٧٤.

وعملي بهم مبروراً وذنبي بهم مغفوراً وعيبي بهم مستوراً ودعائي بهم مستجاباً، مننت اللهم عليّ بمعرفتهم فأختم لي بطاعتهم وولايتهم وأحشرني عليها وجازني على ذلك الفوز بالجنة والنجاة من النار برحمتك يا أرحم الراحمين ثم يكبر ثلاث تكبيرات... ثم يكبر تكبيرتين ويدعو بعدهما... ثم يكبر تكبيرة ثم ينوي الصلاة ويكبر تكبيرة الأفتتاح مصاحبة للنية ويقول بعدها: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً على ملة إبراهيم ودين محمد وولاية أمير المؤمنين والإئمة من ذريتهم الطاهرين...)[1].فهذه جملة من فتاوى المتقدمين وهي بطبيعة الحال تستند إلى روايات أهل بيت النبوة والعصمة.

التوسل من العبادة:

ومن هنا يتضح أن من شرائط صحة وقبول العبادة هو الولاية بأهل البيت، وإن العبادات من دون التوسل بأهل البيت ليست صحيحة وليست مقبولة، ولذلك جملة من فقهاء العامة من الشافعية والحنبلية والأحناف ردوا على أبن تيمية والسلفية وعلى هؤلاء الشرذمة بأن التوسل مشروع وراجح وغير ذلك.

بل أنه ليس مخيراً بل هو ـ التوسل ـ أمر لا بدي حتمي بتي عقلاً وقرآناً.

التوسل والتوحيد:

لا توحيد إلا بالتوسل، ولا يوحد الموحد ربه إلا بأن يتوسل، وربما يبحث الكثير عن التوسل وإمكانه ومشروعيته، أو يترقى البحث إلى ضرورته، لكن كل ذلك ليس وقوفاً على حقيقة ما للتوسل من دور خطير ودعامة كبرى في الإيمان والتوحيد، فإن الأدلة القرآنية والأحاديث الشريفة والبراهين العقلية تطلعنا وتبصرنا على أن معرفة توحيد الذات لا يتحقق إلا بالتوسل، فالإيمان بالواحد الأحد والفرد الصمد لا يتحقق في الحقيقة إلا بابتغاء الوسيلة، فشأن التوسل أعظم شأناً من كونه لقضاء حاجة واستجابة دعاء، بل هو يترقى على ذلك إلى تأثيره في تحقيق وإنجاز أصل العبادة والمعرفة وتوحيد الذات، فخطورته متصاعدة إلى أصل أصول الدين وهو توحيد الذات والصفات

(١) الشهادة الثالثة: ٧٤.

والأفعال والأسماء، ولربما كانت هناك مقولة تفسر النبوة والإمامة «الشهادة الثانية والشهادة الثالثةؤ بأنها من أركان التوحيد، وأنها أبواب أخرى للتوحيد ومجال له، فهي بالتالي مراتب للتوحيد وأركان له، وهذه المقولة تعتمد في تبيان ذلك على تقرير أن حاكمية الله في التشريع توحيد في التشريع، وهي مؤدى الشهادة الثانية والأعتقاد بالنبوة، وأن حاكميته تعالى في الطاعة توحيد في الولاية، وهي مؤدى الشهادة الثالثة والأعتقاد بالإمامة، إلا أن التوسل يعمق تفسيراً آخر لذلك ويبين أن الأعتقاد بالنبوة والإمامة يقوم توحيد الذات والصفات لا مجرد أنه يقوم التوحيد في مقام التشريع ومقام الولاية والطاعة، بل إن إقامة معرفة توحيد الذات والصفات لا سبيل له إلا الوسيلة والتوسل بالآيات وأعظم المخلوقات وأكرم فعل الله وخـلقه، وذلك لأن التوحيد سبيل الحنيفية المائلة عن التشبيه والتعطيل.

فإن الذات الإلهية الأزلية السرمدية بعد كونها غير متناهية ولا محدودة، لا بحد عقلي ولا بحد روحي ولا بحد نفساني فضلاً عن الحد الجسماني والمادي، فعلى ضوء ذلك فلا سبيل للمخلوق إلى إدراك الخالق، لأنه بذلك لا يكتنيه أي لا يدرك كنه ذاته، كما إنه لا يجبه لأنه ليس بجسم ليكون في حيز محدود محاط ومحاصر فيقابل ويجابه، بل ليس في البين مجابهة على النمط العقلي أو النفسي فضلاً عن المادي، كما لا يجس ولا يحس ولا يمس، كيف وليس هو محاط كالجسم، وليس بمقهور كي تعمل فيه آلات الحس.

فمع كل ذلك فكيف للعقول أن تناله وأنى للقلوب أن تبصره ولا يصار إلى امتناع معرفته، لأنه تعطيل وهو بمنزلة الإلحاد والإنكار، فمن أنكر المعرفة من رأس فقد قال بالتعطيل والإنكار، ومن أثبت المعرفة بالحس أو المس أو الجس أو بالجبه أو بالإكتناه فقد صغر الخالق وحدده ونعته بالمقهورية المحاطة، فلا سبيل إلى معرفة ذاته إلا بآياته، وهي أفعاله من عظائم مخلوقاته وكبير بدائعه ودقائق صنعه وتكوينه، فيتجلى لعارفيه بالآيات والأفعال وهي أسماؤه العظمى، إذ قد تسمى بها لأنها أصبحت علامات عليه وسمات لصفاته.

فلا سبيل لمعرفته إلا بأسمائه، وهي آيات خلقه الكبرى، وهي أبواب سماء عزه وحجب نوره، وهي الوسيلة إليه.

ومن ثم أمر عز شأنه وجل جلاله بابتغاء الوسيلة، إذ لا سبيل إلى معرفته إلا بها، وليس الأمر بابتغاء الوسيلة عبثاً حاشى وكلا، بل لضرورة قصدها وانحصار الطريق إليه تعالى بالتوجه إليها.

وبهذه الوجيزة يتبين أن الوسيلة ضرورة في صميم إقامة معرفة الذات والصفات فضلاً عن مقامات التوحيد الأخرى، كيف لا ولم تتعرف العقول على ذاته إلا بمظاهر أفعاله وآياته الكبرى التي هي وجهه الدائم الذي لا يبيد، فإن جل أدلة الحكماء والبراهين التي استرشدوها في معرفة التوحيد هي براهين إنية تنطلق في المعرفة من المعلول «المعلومؤ إلى العلة «المجهولؤ ومن المخلوق إلى الخالق، وإن أسموها برهان الصديقين وأدلة لمية، إلا أن نقوض ونقود بعضهم على بعض شاهدة على كونها معرفة مسيرها من الآية إلى ذي الآية، وقد أعظم القرآن معرفته تعالى بالآيات، فترى الكتاب المجيد يجلجل منادياً بهذا السبيل، وهو سبيل آياته وهو الوسيلة إلى معرفته[1].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: وبعظمته ونوره أبتغى من في السموات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة[2].

ولذا قالت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في أحدى خطبها: (فأحمدوا الله الذي بعظمته ونوره أبتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجة غيبه وورثة أنبيائه[3].

والدليل القرآني قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾[4].

يتضح من خلال هذه الآية أن هناك بعداً بين العبد وبين الباري تعالى وإلا لو كان هناك قرب تلقائياً حاصل من طرف العبد إلى الرب فلا حاجة حينئذ إلى الوسيلة وحديث الأقتراب لأنه تحصيل للحاصل، فإذن الأمر بالوسيلة يدل على أنه من طرف العبد

(١) الإمامة الإلهية ج٥: ١٧.
(٢) أصول الكافي ج١: ١٢٩.
(٣) السقيفة وفدك، ابو بكر الجواهري البغدادي: ١٠١.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

هنـــاك بعـــد حاصل من العبد تجاه مولاه، وإلا لو كان القرب حاصلاً فلا حاجة إلى الوسيلة حتى بنحو التخيير فلا معنى لها هذا من طرف العبد.

وأما من طرف الرب إلى العبد فهو ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾(١) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(٢).

فمن طرف الرب القرب موجود ومهيمن: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(٣) ولكن من طرف العبد فيحتاج إلى الوسيلة، فإذا كان قرب الباري تعالى إلى العبد قرباً جسمانياً فسوف يكون هناك تلازم من الطرفين، لأن القريب لك في الموقع الجغرافي الجسماني لا بد أنت أيضاً قريب منه.

وإذا كان القرب عقلياً فأيضاً كذلك فإن هناك تسانخاً يعني في الجنس أي من نفس نوع الجنس، وكذلك إذا كان هناك قرب روحي نفسي.

أما في غير قرب التجانس والمكاني بل من قرب يتصور من طرف دون الطرف الآخر، كقرب السلطنة وقرب الهيمنة، فالقريب من الشيء قرب قدرة يعني هو مقتدر، فإذا كان هو مقتدراً فيلازم العكس، فبدل أن يلازم القرب فيلازم البعد، فالقوي من الضعيف كلما إزداد نفوذه قدرة فالطرف الآخر لا يمكن نفوذه بل يزداد ضعفاً فلا يقترن الضعيف من القوي قدرة بل يبتعد أكثر فأكثر.

فالخلق قائم بالخالق وليس العكس، فالباري من خلقه قريب علماً وهيمنة وسلطنة، والمخلوق بعيد عن خالقه في السلطة يعني عن صفة القدرة وصفة العلم المقترنة بالباري ومن ثم هذا الأمر: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أمر حتمي لا بدي وليس هنالك خيار آخر، فإذا كانت الآية تعطي أن بين المخلوق والخالق بعداً فلا بد أن يطوى ذلك البعد، فكلما تكامل المخلوق في الصفات قرب من حضرة الربوبية، وكلما عظم المخلوق كلما عرف وفهم كمالات الخالق، وكلما تجلت في المخلوق صفات الكمال عرف المخلوق بذلك الكمال صفات الخالق.

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

ولذلك أكمل المخلوقات كمالاً أعرف للرب، وإذا قلت الكمالات قَلَتْ بالباري معرفته: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[١] فالله تعالى يصف ذلك الكمال النبوي بالعظيم، وبهذا الكمال والخلق أزداد ﷺ قرباً إلى الباري تعالى وكان هو الوسيلة إليه تعالى، أما هو ﷺ فوسيلته نفسه والمراتب العليا من ذاته الشريفة لأنه يستدل بالصفات ألتي أودعها الله فيه على صفات خالقه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾، ومن ثم الوسيلة أو الوسائل التي يتوسل بها إلى الله عزّ وجلّ هي أعاظم المخلوقات فهي آيات وهي أسماء ألهية أيضاً، لأن الأسم من السمة والسمة علامة.

فعن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتقٌّ؟

فقال: يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضي مألوهاً والأسم غير المسمى، فمن عبد الأسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الأسم والمعنى فقد أشرك وعبد الأثنين، ومن عبد المعنى دون الأسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟! قال: قلت: زدني قال: لله تسعة وتسعون أسماً فلو كان الأسم هو المسمى لكان كل أسم منها إلهاً ولكن الله معنى يُدلُّ عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز أسم للمأكول، والماء أسم للمشروب، والثوب أسم للملبوس، والنار أسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعدائنا المتخذين مع الله عزّ وجلّ غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله به وثبتك يا هشام، قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا[٢].

فالسبيل إلى معرفته هي آياته وأسماؤه، فأقامة التوحيد ومعرفة التوحيد هو بطاعتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾[٣].

بل إن من شرائط صحة التوبة هو التوسل بهم: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[٤] فلا تحصل المغفرة ولا التوبة ولا الإيمان ولا يقبل

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) الكافي ج١: ١١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) سورة طه، الآية: ٨٢.

العمل الصالح إلا بشرط الهداية، والمراد من الهداية في هذه الآية المباركة مقام الإمامة، لأنها تعني الإيصال إلى المطلوب، وهي مرحلة بعد مقام النبوة الذي هو إراءة الطريق فقط[١].

بل أن أي توجه إلى الحضرة الربوبية وأن لم يكن في العبادة بل لنيل أي مقام لا بد من التوجه بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وهذا يشمل حتى الأنبياء.

وهذا التوسل لا يخص النبي في حياته بل حتى بعد مماته، فعن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: قدم علينا إعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ....﴾ الآية. وقد ظلمت وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر: قد غفر لك[٢].

فاللواذ بالنبي ﷺ ليس في حياته فقط لأن تشريع التوبة عام حتى بعد وفاته بل وحتى قبل ولادته ﷺ كما توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ عندما طلب التوبة من الله عز وجل، فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: قال رسول الله ﷺ (لما أقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى أسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليَّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك)[٣].

وهذا مما يدل على أن هذه القاعدة ليست خاصة في زمان معين وإنما هي عامة لكل الأزمنة والأوقات من آدم إلى يوم القيامة، فإن حمى الرسول هو حمى الله تعالى، وحرم الرسول ﷺ هو حرم الله تعالى، والمجيء إلى رسول الله ﷺ ليس هو خصوص

---

(١) الإمامة الإلهية ج٤: ١٠٢.
(٢) وفاء الوفاء ج٣: ١٨٦.
(٣) وفاء الوفاء ج٤: ١٩٣.

المجيء الفيزيائي البدني، أي حضور نفس ذلك البدن المذنب في المكان الذي فيه بدن النبي ﷺ، فلربما مذنب يجيء إلى النبي ﷺ، ولكن ليس في قلبه إقرار وتسليم لولاية النبي ﷺ كما في زوجتي نوح ولوط عليهما السلام: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[١] فقد كانت أحداهما بين أحضان أحد أنبياء أولوا العزم ومع ذلك أدخلها الله النار لأن قلبها كان يعاند نبوة زوجها، فإن المجيء هو تسليم القلب للأجارة، وإن المجيء لأهل بيته عليهم السلام هو المجيء إلى نفس النبي ﷺ، وآيات القرآن دوماً سائرة إلى يوم القيامة ما عدا المنسوخة منها.

يقول السمهودي: إعلم أن الأستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ وبجاهه وبركاته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، واقع في كل حال، قبل خلقه ﷺ وبعد خلقه، في حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة[٢].

إثبات سماع الميت للحي:

إن عمدة المستمسك الذي يستندون إليه هو ما في بعض الآيات: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾[٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[٤]: وما شابه ذلك، أو أن تأثير من انتقل إلى الدار الآخرة اقل من تأثير من هو باق في دار الدنيا.

والحال أن اصطلاح القران واستعمال القران للميت ولمن في القبور لا يراد به ـ ربما ـ المعنى المتبادر لدينا، أن الميت هو من انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وإن استعمل القران الكريم الموت في هذا المعنى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[٥] استعمل الموت والميت والموتان في من انتقل من هذه الدار إلى تلك الدار، لكن في تلك الآيات التي يستشهدون فيها أن الموتى لا يسمعون أو ما شابه ذلك أو لا يضرون أو لا ينفعون.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٢) وفاء الوفاء ج٤: ١٩٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ٨٠.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٥) سورة الزمر، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.

هناك استخدام الموت في غير هذا المعنى. ليس المراد منه هذا المعنى.

الاصطلاح الآخر أو المعنى ألآخر الذي أطلق عليه القران الكريم الموت وانه لا يسمع اتفاقا تلك الآيات قد استعملها القران في من هم أحياء في دار الدنيا، أنهم أحياء ولكن موتى، موتى يعني موت القلوب والعقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[1] لاحظ مع أن العمى والعميان يستخدم أو يستعمل في الاستعمال الحقيقي للجارحة البدنية، لكن القران يتوسع بل ويجعل المدار الأهم في معنى العمى هو القلب، فإذا كان الإبصار والسمع اللذين هما اظهر مظاهر الحياة، عند القران أن الإبصار والسمع اللذين في القلب أكثر دوراً وخطورة وأهمية من الإبصار والسمع الذين في البدن، من الواضح إذاً كلام القران يدور مدار القلب: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[2] حيث أن قلوبهم ميتة ولا يعون ولا يدركون النور الإلهي فعبر القران الكريم بالميت، بل يوجد في القران استخدام للقبر بمعنى البدن لا يقتصر استخدام القبر فقط في الحفيرة الخاصة بالتراب.

مضافاً إلى أنهم يروون ويسلمون بما هو نظير مفاد الآية الكريمة: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ بشكل متفق عليه إذاً الحياة والسمع والإدراك في نظر القرآن الكريم مداره الأهم والأعظم هو القلب، ولذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام في ذيل هذه الآية تفسيرا لها: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[3] قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: (من أخرجها من ضلال إلى هدى فقد أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلالة فقد قتلها)[4]، هذه أي حياة؟ الهداية هي حياة ـ التأويل الأعظم وواضح أن الحياة المؤقتة ربما جاني يجني على بدن الإنسان لكنه لا يجني على بصيرته، حينئذ لا يخسر حياته الأبدية ولكن إذا جنى جان على الحياة الأبدية للإنسان هذا أكبر وأعظم جناية مما لو جنى على بدنه. إذاً المراد من الحياة والموتان أن للإنسان درجات من الممات ودرجات من الموتان، ليس خصوص هذه الحياة الدانية

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٤) تفسير العياشي ج١: ٣٤٢.

التي هي الحياة البدنية، بل المراد منه الحياة التي هي أعظم، بلحاظ حياة القلوب وحياة الأرواح، مضافاً إلى إنهم رووا وهم يرونه انه أمر شرعي وجائز أن تأتي إلى أهل القبور وتقول: (السلام عليكم يا أهل القبور، ويغفر الله لنا ولكم...) أو (السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه..)[1] على اختلاف تعابيرهم.

كلمة السلام ماذا تعني؟ تعني التحية، التحية بين ماذا؟ بين حي وجامد؟ هذا ليس له معنى. لابد أن تكون إذن بين حي وحي. إذاً نفس ما أوردوه هم باتفاق الصحاح أجمع أنه يسلم على الموتى ماذا يعني هذا يعني هناك جسر وتخاطب بين الأحياء وبين من انتقلوا إلى دار البرزخ.

كما قد مرت الأشارة أن الشرع ربما يبين لك نافذة كلية ولا يعين لك تفاصيل ونماذج لهذه النافذة الكلية شبيه بالمادة الدستورية مثلا، مادة كلية تطبيقاتها حينئذ تتولد منها تطبيقات قانونية كثيرة يصادق عليها مثلا المجلس النيابي، وكذلك المادة القانونية النيابية الكلية تصادق عليها الشعب الوزارية، حينئذ هذه القوانين المتولدة من البرلمان أو التي صادق عليها البرلمان من المادة الدستورية يقال هذه لا مشروعية لها أو لها مستند مشروع، لها مستند مشروع في ضمن وجود القانون الكلي، لماذا؟ لان المقنن وظيفته أن يبين لك الكليات ثم يأتي دور من يبين لك التفاصيل إذا كان اتفاق عند المسلمين أن زيارة أهل القبور بالسلام، ماذا يعني السلام؟ السلام أمر كلي عام أن هناك تحية وتخاطب بين الأحياء في دار الدنيا وبين من انتقل، طبعاً الشارع إذا فتح لك مثل هذه النافذة هنا جسر وتخاطب بين الأحياء في دار الدنيا والأحياء في دار الآخرة جسر تخاطب حينئذ تبقى العلاقة والصلة بين الحيين حي في دار الدنيا وحي في دار الآخرة. بالإضافة إلى ما تعرفونه من الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[3].

إذاً هذا المروي عند كافة المسلمين نستطيع أن نعبر عنه ضرورة إسلامية أنه نعبر

---

(١) وفاء الوفاء ج٣: ٧٨

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

على أهل القبر بالسلام والسلام تخاطب وليس لقلقة لسان ولا هذيان ولا تكلم من مجانين تكلم من عقال، السلام يجبه به ويباشر الأحياء في تلك الدار، مضافاً إلى ما في ضرورة المسلمين أن في كل صلاة يسلم على النبي ﷺ، هذا السلام على النبي ﷺ لقلقة لسان؟ أو هذيان؟ لا سيما بعد ذكر الله في الصلاة في عمق العبادة الإلهية يخاطب الرسول ﷺ، (يخاطب) ويبدأ معه بالتحية هذا ماذا يعني؟ يعني أن للنبي ﷺ بعد الله ﷻ ذلك المقام المنيع والذي لابد أن يكون على منطق هؤلاء شركاً، كيف أنت تشرك حسب مبناك في صلاتك وهم يمارسون في صلاتهم اليومية لا أدري غافلين أو ملتفتين في صلاتهم قبل خروجهم من الصلاة أنه بإجماع الفقهاء إذا لم يسلم السلام الأخير فهو لم يخرج من الصلاة، بصرف التحية للنبي لم يخرج من الصلاة، والصلاة هي عبادة مع الله ﷻ، فأنت أيها المسلم بضرورة المسلمين كافة بما فيهم هؤلاء تضَّمن عبادتك بالتحية للنبي ﷺ وهذا ماذا يعني؟ يعني خطاب حي وحي وإلا أنت لما تذكر الله ﷻ وتعبده هل تعبد من لا حياة له ـ أعوذ بالله ـ أو من له حياة. وهذا الأمر المتمثل في برنامج الصلاة هو مفاد الآية: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هذه الآية تكررت مرتين في سورة البراءة، مرة تقول: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[1] وفي موضع آخر من سورة البراءة: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2] ضم لها، والرؤية تعني رؤية العمل لا رؤية صحيفة العمل كيف رؤية الله للأعمال معجلة أو مؤجلة؟ شاهدة بشهادة حية حاضرة أو لاحقة؟ شاهدة، التفتوا للآية أن الله خالق الكلام وكل لفظ وعنوان يأتي به القرآن يريد منه ما هو الله ﷻ عالم بمغزاه العميق ليس التعبير في الآية قل اعملوا فسيعلم، يعني علمه متأخر على العمل فسيعلم يوم القيامة وما شابه ذلك وإنما التعبير في الآية: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى﴾ رؤية تعني الشهود.

مضافًا إلى ما ذكر في آيات عديدة في القرآن الكريم من أن النبي ﷺ شاهد على الأمم وعلى هذه الأمة وهو شاهد على الشاهدين في هذه الأمة: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾[3]

والشهادة يقال للشاهدين في المحكمة شاهدين، ليس فقط لأداء الشهادة وإنما

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٤

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.

لتحمل الشهادة، حظرا الشهادة وكان في محضر ومشهد الشهادة ومن ثم يؤديها، أصل تعبير واستعمال الشهادة، الحضور في واقع الحدث ثم تؤديه أنت للقاضي. وإلا الأداء للقاضي استعمال الشهادة فيه توسع في اللغة العربية أو حتى في اللغات الأخرى، أصل معنى الشهادة هو حضور و شهود مسرح الحدث، أي وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

هم يروون في البخاري وفي مسند أحمد بن حنبل وفي صحيح مسلم في واقعة بدر أن الرسول ﷺ خطب خطابًا حثيثًا مع الكفار القتلى (قتلى القليب) أي الكفار الذين قتلوا قرب البئر في واقعة بـــدر واعترضه الثاني كالعادة: (لما أمر النبي بإلقاء قتلى المشركين في القليب وقف رسول الله ﷺ عند القليب وأخذ يخاطب القتلى واحداً واحداً ويقول:

يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل (وهكذا عدد من كان منهم في القليب) هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني وجدت مـــا وعدني ربي حقاً.

فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله أتنادي قوماً موتى؟.

فقال ﷺ: ما أنتم بـأسمع لِما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني)[١].

وفي رواية أخرى عن قتادة قال: أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقذفوا في طويٍّ من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى وأتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قـام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء أبائهم: (يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟). قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)[٢].

---

(١) سيرة سيد النبيين ج٢: ٨٣.

(٢) صحيح البخاري: ٧٠٤، باب دعاء النبي على كفار قريش، الحديث: ٣٩٧٦.

فإذاً الخطاب بين الحي والحي، ونحن أيضًا في دار الدنيا لا حياة من الآخرة وهم أحياء في الآخرة؟ نحن بلحاظ الآخرة لسنا بأحياء في حياة من الآخرة كما نقول عن الأموات ليسوا أحياء في دار الدنيا ونحن أحياء في هذه النشأة، لكن هذا يعني أنه لهم حياة متميزة، فهم أحياء في تلك الدار ونحن أحياء في هذه الدار، وهناك من الشواهد القرآنية والروائية الكثيرة الدالة على وجود الاتصال والوصال بين الحيين في هاتين النشأتين.

البرهان الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[١].

إن الميثاق المذكور في هذه الآية المباركة يدل على أن هناك صفقة او تعاقداً بين الله عز وجل وبين الأنبياء وهو أنه يعطي الله تعالى للأنبياء النبوة والمقامات الأخرى الغيبية والتي عبر عنها بـ (الكتاب والحكمة) في مقابل: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ وهو الأقرار بولاية النبي ﷺ، فإن أعطاء النبوة للأنبياء هو في مقابل الأقرار لخاتم الأنبياء ﷺ بالولاية والنبوة، ومن هنا يتضح أن الأنبياء عليهم السلام كانوا على دين محمد وليس هو على دينهم، فبدين محمد ﷺ بعث سائر الأنبياء، فبعد الإيمان بالله كانوا يؤمنون بدين ونبوة النبي محمد ﷺ ولذلك ورد في دعاء التوجه القول (على ملة إبراهيم ودين محمد).

روي عن علي عليه السلام: أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا ﷺ أن يخبروا أممهم بمبعثه ونعته، ويبشرونهم به، ويأمروهم بتصديقه[٢].

وفي الحديث أيضاً عن النبي الأكرم ﷺ في حديثه لأصحابه قال: «فأخذ لي العهد والميثاق على جميع النبيين، وهو قوله الذي أكرمني به جلّ من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) نور الثقلين ج١: ٣٥٩.

ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[١] وقد علمتم أن الميثاق أخذ لي على جميع النبيين، وأنا الرسول الذي ختم الله بي الرسل، وهو قوله تعالى: ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢] فكنت والله قبلهم وبعثت بعدهم وأعطيت ما أعطوا وزادني ربي من فضله ما لم يعطه لأحد من خلقه غيري، فمن ذلك إنه أخذ لي الميثاق على سائر النبيّين ولم يأخذ ميثاقي لأحد، ومن ذلك ما نبّأ نبيّاً ولا أرسل رسولاً إلا أمره بالإقرار بي وأن يبشّر أمته بمبعثي ورسالتي»[٣].

فهو شاهد والشاهد يطلع على ما عند المشهود أو على المشهود به، فخاتم الأنبياء لا يشرف أو يشهد عليه أحد بينما سائر الأنبياء يشهد عليهم ﷺ.

ثم ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. والأصر هو الشدّة في العهد والميثاق، وهذا يدل على أهمية وخطورة هذا الأمر.

ومن ذلك يتّضح أن هذه الآية المباركة نصّ في المقام الثالث، وأن التوجّه إلى الله لنيل أي مقام أو قربى أو زلفى لا يتمّ إلا بالتوسل بالنبيّ ﷺ والتشفّع به، وبالتشفّع به يعطى للعبد أعظم الأرزاق وهو النبوّة والكتاب والحكمة، فكيف بك بسائر الأرزاق الأخرى، التي لا تقاس بمقامات الأنبياء.

ثم إن الآية الكريمة رسمت خطورة الأمر في ضمن تأكيدات مغلّظة،

حيث جاء فيها قوله تعالى: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ﴾ وبعد أن تم الإقرار والمعاهدة والمعاقدة المشّددة أشهدهم الله تعالى على ذلك، حيث قال: ﴿فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[٤]، وهذا يعني أن للتوسل والتوجّه دوراً مهمّاً ومحورية رئيسية في رسم معالم الدين.

وإنكار التوسّل في المسائل الدنيوية غير الخطيرة ليس إلا تعظيماً لصغائر الأمور

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٣) الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي: ص٣٨٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨١

وتصغيراً لما عظّمه الله ﷻ، وإنكار التوسل في بعض الأمور الدنيوية والحاجات المعاشية ليس له معنى إلا الاستهانة بتلك المقامات الشامخة وتعظيم وتهويل ما ليس حقّه ذلك.

ومرّ بنا أن أي نبي من الأنبياء لن ينل النبوة ـ بنص القرآن الكريم ـ إلا بعد أن تخاضع وإقرار بنبوة سيد الأنبياء، واعتبر أن أصول دينه الذي بُعث به لأمته أوله التوحيد وثانيه الإقرار بنبوة سيد الأنبياء. ثم أقر على نفسه بالخضوع والإتباع لسيد الأنبياء بنفس هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عهد صدق.

ماذا يعني عهد صدق؟.

يعني النبوة والمقامات الغيبية: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني خاتم النبيين: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا، لاحظوا الموازنة في آيات القرآن: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ لتؤمننّ به؛ إيمان لابد أن تقروا وتخضعوا لإتباعه ولنصرته واللجوء إليه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ يعني ليس فقط الإيمان به، ربما أنت مؤمن ولكن لا تتخاضع، لا تلتجئ، لا ترمي بنفسك وبفكرك وبمنهجك للنبي ولأهل بيته. فلا يكفي ذلك، لابد من الإيمان والخضوع، ولذلك الملائكة آمنوا بمقام آدم، ولكن لا يكفي. الله عز وجل قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قعوا له ساجدين يعني أطيعوا ويكون عندكم مطاعاً: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ لم يؤمن واستكبر إذاً محوران في توجه عباداتنا ونيل ما ننال، بل الأنبياء هكذا لديهم محوران: الإيمان بسيد الأنبياء وعترته كما بينّا ليس فقط (ليؤمنوا) وبل لابد أن يخضع ويتبع وينقاد. إذا كانت نبوة الأنبياء لم ينالوها إلا بالإقرار بأن يكونوا على دين محمد وأهل بيته لأن دين النبي ﷺ عمدته أصول الدين لأن آدم كان على دين سيدنا خاتم الأنبياء. إبراهيم، نوح، موسى، عيسى، كلهم كانوا على دين خاتم الأنبياء. لا العكس لأن أصول الدين هي عمدة الدين وبنص الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يعني عمدة الدين الذي دان الله به أنبياءه، وأن الأنبياء لله، وبالتوحيد وبنبوة سيد الأنبياء.

إذاً الأنبياء لم ينالوا ما نالوه إلا بالإقرار بنبوة النبي محمد ﷺ، والخضوع له ليس فقط الإقرار، الخضوع يعني (لتنصرنه) اتبعوه يعني كونوا أتباعاً له. بعد أن أقروا على أنفسهم بالإتباع لسيد الأنبياء نالوا النبوة. خلة إبراهيم الخليل لم ينلها إلا بذلك، وكليمية

موسى الكليم لم ينلها إلا بذلك، ومسيحية عيسى المسيح لم ينلها إلا بذلك، وصفوية آدم صفي الله أيضاً لن ينلها إلا بذلك، ونوح شيخ الأنبياء ونبي الله لأن نبوته ربما أطول نبوة قضاها نبي من الأنبياء، هو مع ذلك لن ينالها إلا بذلك، بنص هذه الآية الكريمة.

هنا يطرح تساؤلان:

الأول: لماذا الواسطة بين الله وخلقه، لا سيما مع أنبيائه، فضلاً عنّا نحن الواسطة مع أنبيائه، مع إبراهيم الخليل هناك واسطة، بينه وبين الله، هو سيد الأنبياء؟ ولماذا بين آدم، وعيسى، وموسى، فضلاً عن بقية الأنبياء، وبعد الذين هم في الدرجات الأدنى لماذا بينهم وبين الله واسطة والحال أن الله عز وجل يقول: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾؟.

فهو قريب يجيب أقرب من الأنبياء بلا ريب، الله عز وجل في قربه إلى المخلوقات لا تتفاوت المخلوقات لديه وهو تعالى، في قربه إليها لا تختلف.

إذاً ومع قربه تعالى لماذا يحتاج الأنبياء أولو العزم إلى الواسطة والحال أنه هم أنبياء الله وعلى مستوى عالٍ رسل، أنبياء، أئمة، أولو عزم، لماذا يحتاجون إلى الإيمان بنبوة سيد الأنبياء والتذلل له يعني يقرون على أنفسهم أنهم تبع. تابعون، ناصرون، هذا ليس بالأمر الهين (لتنصرنه) يعني التناصر، أي ذلك النبي الخاتم منصور، وأنت تابع وذلك متبوع، أنت مأموم وذلك إمام المحور هو سيد الأنبياء. (لتنصرنه) لأنه هو المحور. لماذا الواسطة بين الله عز وجل وخلقه مع أولي العزم وهم عظماء الأنبياء، هذه نكته عقلية لطيفة. أشارت إليها الصديقة وأشار إليها الأئمة أشرحها بعبارات محسوسة لديكم: الاحتجاب: في دعاء كميل (اللهم أغفر لي الذنوب التي تحجب الدعاء) هي تحجب الإنسان عن العالي، الاحتجاب والحجب بين المخلوق مع الخالق لا تعنى نقص قدرة وقصور في الخالق وإنما تعني عظمة الخالق، والمغالطة التي يرددها هؤلاء مكانها ها هنا إذا وعيتموها لن تنطوى عليكم هذه الشبهات التي تسربت في الأوساط المختلفة حتى لهجت بها بعض الأقلام من حيث لا يشعرون. لنتأمل مثال أبسط تلفتون إليه: إذا أفترضنا رئيساً أو شخصاً ذا مهابة والإنسان تجهم الحديث معه مباشرة من دون أن يرسل حاجباً له، هل حافظ على الأدب أو أخل بالأدب؟ لا ريب أنه أخل بالأدب وبعبارة أخرى دقيقة عقلية من يقر على نفسه لطرف آخر بحيلولة حجاب.

يعني يقر للطرف الآخر بالتعظيم، نظير هذا اللعين الذي داس صدر الحسين. يقول لابن زياد أنا الذي قتلت السيد المحجبا، محجب يعني معظم في اللغة. فالإقرار بالحجاب لله تعالى تعظيم له.

قد يعاود السائل السؤال بصيغة أخرى إذا كان هو قريباً، إذاً فنحن أيضاً قريبون منه، إذا كنّا نحن قريبين له إذاً قربنا نحن كقرب الله إلى مخلوقاته سواء، لأنه مستوي على خلقه، والجواب أن هل يا ترى أن العابد العاصي والكافر هو أيضاً قريب لله كقرب المؤمن؟. طبعاً لا. وإلا لماذا أنت تصلي يومياً قربة إلى الله تريد أن تحصل على أقتراب وقرب أنت حيث تقول أصلي أو أصوم أو أحج قربة إلى الله يعني الزيادة في القربى فالله قريب منك مع أن الله قريب منك، إذن لماذا تجهد نفسك بالصلوات والصدقات والصيام؟. من بديهيات المسلمين أن العبيد والمخلوقات لابد أن تقترب شيئاً فشيئاً إلى الله ﷻ مما يعني أن هناك مسافة بينه وبين خالقه. إذا كان الإنسان على مسافة فيجب أن يقترب بالصلاة والصوم وبقية الطاعات من العبادات، لا لأجل أن هناك قرباً جسمانياً وجغرافياً من الله ﷻ كما أن هناك قرباً ليس جسمانياً بل معنوي.

فالقرب الجسماني الفيزيائي إذا كان على بعد سنتمترين جسم من جسم، لابد الجسم الآخر يكون على بعد سنتمترين و محال أن يختلف قرب جسم من الآخر عن قرب الآخر من الأول.هذا في الأجسام.

أما إذا لم نقل بالجسمانية للباري تعالى وهي مقولة هؤلاء الذين ينفون الوساطة، وينفون التوسل، ويحاربون التوسل، لم نقل بمقولة هؤلاء أن الله جسم. هل أن قرب الله من خلقه قرب جسماني؟ لا. بل قرب سيطرة، وقدرة، وعلو، وسلطان، كل شيء قائم به. السماوات والأرضون، وكل شيء في الكون، المكان قائم بالله. فكيف يكون المكان محيطاً به ! كل مخلوق قائم بالله. فقرب الله من خلقه كما قال صادق آل محمد عليه السلام في الأحاديث الواردة: قرب قدرة على الأشياء على نحو سواء منها فقدرته على الذرة الهباء المنثور عين قدرته على السماء وعين قدرته على الكرسي، فأستواؤه في القدرة على الأشياء وكذلك في الهيمنة عليها والعلم بها والسيطرة عليها.

وليس استواءاً جغرافياً. إذا كان قرب قدرة فهو ينافي القرب المكاني. أو نظير سيطرة إنسان على غيره كلما أشتدت كان الغير غير مسيطر على الأول، بل على عكس صفة الأول فالأول قريب من الثاني قدرة والثاني بعيد من القدرة على الأول والأول

قريب العلم من الثاني الثاني بعيد العلم بالأول وهكذا، قربه إلينا قدرة هو عين بعدنا عنه قدرة. فنحن بعيدون عن الله قدرة وسلطاناً عليه وقاهرية له حتى هؤلاء الذين يحرّمون التوسل ويحاربون الواسطة بين الله وخلقه. هم يقولون بالتوسل بالأعمال فنخاطبهم لِمَ تتوسل بالعمل. أليس هناك مسافة بين العابد والمعبود؟ إذن المسافة موجودة إذاً لابد لك أن تقترب بطريقة ووسيلة. إذاً هذا خلاف ما قلتموه من أن لازم قرب الله من الجميع واستغنائهم عن الواسطة ليس أن الكل مقرباً من الله، فإبراهيم الخليل مقرب عند الله، لا كسيد الأنبياء فلا يكون إبراهيم مقرباً عند الله بنفي وساطة محمد ﷺ،بل لابد في إبراهيم أن يتوسل بمحمد ﷺ لحصوله على النبوة. وذلك بنفس الآية المذكورة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾[1]. بنفس هذه الآية إن نوح وإبراهيم وعيسى وموسى كلهم حصلوا على مرتبة النبوة بإقرارهم بسيد الأنبياء وإلى هذه اللطيفة تشير هذه الآية: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ كما في نصوص الفريقين إن هذه الكلمات هي اسم النبي محمد ﷺ ووردت نفس اللفظة في شأن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ فإبراهيم الخليل في تعظيمه لله لابد له أن يتقرب بالنبي ﷺ كي يحصل على المقامات لأن الشفاعة هي الواسطة ليس فقط خروجاً من سجن الذنوب، الواسطة في الحصول على منصب وأمتياز دنيوي أو أخروي.

إذاً الأنبياء بما فيهم عيسى وموسى كي يعظموا ربهم حق تعظيم يجب أن لا يقولوا كما قال إبليس: أنا خير منه ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ولا يكونوا في سوء الأدب كإبليس تعاظمت لديه ذات نفسه وقال من هو آدم، أنا خير منه، وأنا أحاور ربي وأتكلم مع ربي من دون شفيع ومن دون حجاب هذا هو في الواقع متكبر على حضرة الربوبية. فحاشى إبراهيم الخليل وحاشى موسى الكليم، وحاشى عيسى المسيح أن يجدوا في أنفسهم هذا التعاظم، وهذا الكبر الذي هو عند إبليس.

مثل الآن هذا الذي يحس نفسه حثالة من المجتمع، هل يفد على عظيم مباشرة، هذا هتك للحجاب، مثل الإنسان القذر هل يفد على إنسان نظيف.

وتعظيم الباري تعالى هو أن تتوسل بواسطة قريبة، تقرّ على نفسك بأنك بعيد ـ في صفاتك الحقيرة وحقارة صفاتك ـ عن صفات الباري العظيمة. فالتوسل واتخاذ الواسطة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

عين التعظيم لرب العزة وذلك لأن في التوسل أعتراف من العبد بحقارة نفسه ووضاعتها بلحاظ الساحة الألهية ومن ثم يرى نفسه بعيداً عن القرب الإلهي ومحتاجاً إلى طي مسافة البعد بوسيلة غير ذاته الوضيعة، ورفض الواسطة كما فعل إبليس هو عين التكبر لله، أو بعبارة أخرى استنقاص عظمة الباري. لأنه ينطوي على نظرة تعظيم الشخص لذات نفسه.

وأنه لعظمة ذات نفسه قريب من الساحة الإلهية فلم يدرك بهذه النظرة الخاطئة مدى عظمة الله كي يستصغر لذلك ذات نفسه ويستحقرها ويعرف مدى بعده عن الذات الإلهية.

كما ورد لدينا في الدعاء (ادعوني بلسان لم تذنب فيه) إذن الإنسان الذي لا يمتلك طهارة كاملة كيف يريد أن يرفض الواسطة الطاهرة التي هي أقرب إلى الباري. هذا إنما يدل على كفر الإنسان بقداسة الباري، وإلا لو أقرّ الانسان على نفسه بأن الباري مقدس كيف أخذ على الباري بأوصاف نفسه المخلوقة الوضيعة. وإذا كان الباري نوراً وقدوساً فكيف أفد عليه بهذا الوضع فأنا حينئذ في الواقع لم أعظم لم أتهيب لعظمة الباري ولم أتهيأ لها بل تكبرت وعتيت وتكبرت في نفسي عتواً، أما إذا كانت نفسي خاضعة للرب فمن ثم أقرّ على نفسي بأني لن أستطيع التكلم مع ربي بالوفود عليه بهذه الذات الدنيئة لذلك فأن منتهى العبّاد والزّهادة في أدعيتهم أن يتشفع بالوسائط وذلك لأن العابد الداعي إذا أقر على نفسه بمنتهى العبودية أي بضعة ذاته وحقارتها وزهد عن النظر في أنانية ذاته وفي فرعونية جبل النفس فحينئذ يرى أن ذاته لا أهلية لها في الوفود

على ساحة الباري بلباس ذاتها، بل لا بد أن تتلبس ذات العابد الداعي الزاهد بلباس وحجاب أحد المقربين الوجهاء في الساحة الإلهية.

وهذا ما نشاهده في تعليم السجاد لنا في دعاء عرفة عند قوله أنا أقل وكما في دعاء عرفة لزين العابدين أيضا حيث تضمّن شرح أن التوبة والندم يأتي بعد توجهك إلى الله بالنبي وآله عين الآية الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ جاؤك يعني قبل أن تتكلم أنت مع الباري قبل أن تندم أنت مع الباري، قبل أن تخاطب الباري، أطرق الحجاب تأدباً.

أهل البيت عليهم السلام شركاء النبي ﷺ في الميثاق تابعون له:

ثمّ إن أهل البيت عليهم السلام يشتركون مع النبي الأكرم ﷺ في دائرة الميثاق والدين الحنيف، الذي أخذ على الأنبياء الإيمان به ونصرته والدعوة إليه، وإن كان أهل البيت عليهم السلام تابعين للنبي الأكرم ﷺ وهم يتوجّهون به إلى الله تعالى، وبشفاعته يكونون معه ﷺ في مقامه، وهو مقام الشفاعة الكبرى والوسيلة العظمى.

ويدلّ على اشتراك أهل البيت عليهم السلام مع النبيّ الأكرم ﷺ في دائرة الميثاق الذي أخذ على الأنبياء وجوه عديدة، وإليك بعضها:

١ ـ إن نصرة الأنبياء للرسول ﷺ لم تتحقّق إلى يومنا هذا وإنما تتحقق بالنصرة لأهل بيته عند ظهور المهدي من آل محمد، وعند رجعة الأئمة عليهم السلام، كما نصّت على ذلك الروايات المتظافرة، حيث جاء فيها أن عيسى عليه السلام وإدريس وغيرهما من الأنبياء سوف يقاتلون بين يدي الإمام المهدي عليه السلام عند قيامه بدولة الحقّ والعدل، هذا من طرق الفريقين، وأما من طرقنا فقد دلّت الروايات المتظافرة أيضاً على أن جميع الأنبياء والمرسلين سوف يقاتلون مع الأئمة عليهم السلام عند رجوعهم وكرّتهم في دولتهم العالمية المباركة.

بل إن بعض الأنبياء كإلياس والخضر عليهما السلام على القول بنبوّة الخضر عليه السلام الآن هم وزراء في حكومة الإمام المهدي عليه السلام الخفيّة، وهي حكومة خليفة الله في أرضه، التي لا يمكن أن تفتقدها البشرية في لحظة من اللحظات، وإلا لساخت الأرض بأهلها.

مشروع الإمام المهدي (عجل الله فرجه):

إذاً لابد أن يبارك النبي ﷺ وهو في عالم البرزخ وغيره، وكذا ولده المهدي لابد أن يوصل مشروعك بالمشروع العام الذي هو الآن يقوم به، وإلا إذا هو لم يوصل مشروعك سواءُ الفردي العبادي في روحك وتقربك إلى الله، إذا لم يصل الإنترنت الخاص بك بالإنترنت الإلهي لا ينفتح لك، وكل ما تفتح الموقع تجده مسدوداً.

لابد أنه (عجل الله فرجه) يوصل لك الإنترنت حتى في عبادتك وطقوسك الروحية، وحتى عملك الاجتماعي، فإذا هو لم يوصل برنامجك ومشروعك بالمشروع العام الجبار الذي يقوم به هو في كل سنة وفي كل يوم وفي كل ساعة فلا يرتفع ولا يتصل بالقرب الإلهي.

نقرأ في دعاء الندبة (بنفسي أنت من نازح ما نزح عنّا) ما معنى نازح ما نزح، ما

نزح يعنى موجود حاضر لكن خفي، يدير ويدبر الأمور، متصدٍ وليس فقط متفرجاً، هو قابض بأزمّة النظام البشري، (بنفسي أنت من مغيب لم يخلُ منّا هنّا) كيف يكون مغيباً لم يغب؟ مغيب يعني مخفي، وليس معنى مغيب نازح، مغيب يعني مستتر عليه أمنياً في خفاء، في ستر هوية.

تقرؤون دعاء الندبة تأملوا مضامينه (بنفسي أنت من مغيب لم يخلُ منا) إذن حاضر لكن خفي، مغيب ليس معناه أزيل أو أقصي، وإنما بمعنى أخفي، الغيبة بمعنى الخفاء، ليس الغيبة بمعنى النزوح والإقصاء والنأي والابتعاد، فأي إمام الذي يبتعد عن مجريات الأحداث.

حينئذ كل مشروع عندنا لابد أن يقترن بمشروعه (عجل الله فرجه) و هو عنده مشروع ضخم، مسؤولية ضخمة، يدير بها النظام البشري، إذا لم نوصل مشاريعنا بمشروعه ـ كما قلنا ـ لن تقبل.

ونشير فيما يلي إلى بعض تلك الروايات التي وردت في هذا المجال: منها: طوائف الروايات التي دلت على أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ينزل لنصرة المهدي عليه السلام، وإليك فيما يلي هذه الرواية، ننقلها بطولها لارتباطها بالبحث الذي نحن فيه، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «أتى يهودي النبيّ صلى الله عليه وآله، فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال: يا يهودي ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبيّ الذي كلّمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر وأظله بالغمام؟

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله إنه يكره للعبد أن يزكّي نفسه، ولكنّي أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللّهم إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما غفرت لي فغفرها الله له، وإن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة وخاف الغرق، قال: اللّهم إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما نجّيتني من الغرق، فنجّاه الله منه، وإن إبراهيم عليه السلام: لما ألقي في النار قال: اللّهم إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما نجّيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه أوجس في نفسه خيفة، قال اللّهم إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما آمنتني منها، فقال الله جلّ جلاله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1] يا يهودي: إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته نبوّته.

---

(1) سورة طه، الآية: 68.

يا يهودي ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه وصلّى خلفه»[١].

وفي حديث أخر: «فيلتفت المهدي فينظر عيسى ﵇ فيقول لعيسى: يا ابن البتول صلّ بالناس، فيقول: لك أقيمت الصلاة، فيتقدّم المهدي فيصلّي بالناس ويصلّي عيسى خلفه ويبايعه»[٢].

ولا شك أن المبايعة لأجل نصرته ﵇ لإقامة دولة الحقّ، بقرينة تتمّة الرواية حيث ورد فيها أن المسيح عيسى بن مريم ﵇ بعد المبايعة يكون من وزراء المهدي ﵇ ويخرج لقتال الدجال.

وزراء الإمام المهدي (عجل الله فرجه):

دولته عندما تنكشف (عجل الله فرجه) الأنبياء يكونون وزراءاً فيها، هذا معناه (لتنصرنه) وزراء في دولة نموذجية إلهية للبشر، الأنبياء كلهم وزراء فيها، النبي عيسى والخضر وإلياس وإدريس وزراء في الدولة التي ستنكشف للمهدي (عجل الله فرجه)، الخضر هو نبي من الأنبياء، إلياس هو الآن حي حاضر موجود، حتى في روايات الفريقين، الآن هو وزير فاعل لدور دولة المهدي، دولة المهدي غير ظاهرة خفية.

إذاً ليس عبط لما يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ أعطيكم النبوة بشرط أنكم أتباع لهؤلاء، تدخلون في دولتهم، تنقادون في دولتهم، تنقادون لدستورهم، لقانونهم، وليس لكم برنامج مستقل، بل يصير برنامجكم تابعاً لبرنامجهم.

وردت رواية عن علي ﵇ أنه عندما يرجع في ـ إن شاء الله ـ تطور البشرية في دولة علي بن أبي طالب ﵇ كل الأنبياء سوف يرجعون وزراء في دولته فإذا كان المهدي عنده أربعة أنبياء وزراء، فجده علي ابن أبي طالب في دولة الرجعة يكون كل الأنبياء مما دون خاتم النبيين وزراء له.

المهدي الآن عنده أربعة وزراء؛ اثنين على الكرة الأرضية إلياس والخضر، واثنين سينزلان من السماء عيسى وإدريس.

---

(١) الآمالي للشيخ الصدوق: ٢٢٨، روضة الواعظين للنيسابوري: ٢٧٢.

(٢) عقد الدرر للشافعي: ٢٧٥.

قد يقال هذا غلو وخرافات. لا .. هذا برنامج ناظم دولي إلهي للبشرية وبنص الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ لما أتيتكم من نبوة، لما أتيتكم من كتاب وحكمة، يعني النبوة والمقامات الغيبية، هذه أعطيكم إياها ولكن بشرط أن تؤمنوا. هذا لا يكفي، الإيمان بولاية أهل البيت لا يكفي لقبول التوبة ولا لقبول الأعمال، سواء عمل اجتماعي وسواء عندك مبرات خيرية، أو عمل عبادي، أو فردي إذا لم يكن متشبعاً ذائباً في خط أهل البيت، في تيار أهل البيت، في أجواء أهل البيت، في تعاليم أهل البيت، في أفكار أهل البيت، في عقائد أهل البيت، الموروثة والموجودة. اعرف أن هذا عملك يزيد فتنة البشر والعدوان على البشر لا يزيد صلاح البشر. كلما تبتعد عن منهاج أهل البيت عملك هذا لا يصب في الصلاح، يصب في الفساد في الأرض، إذا قل و ضعف انتماؤك إلى أهل البيت من حيث لا تشعر أنت تزيد في الفساد في الأرض، تلمس أولا تلمس سواء. مشروعك العبادي حملات حج أو غيرها، مشروعك الاجتماعي الأسري، أو مشروعك السياسي، أي مشروع تقوم به أخلاقي ..الخ إذا لم يكن مشبّعاً ببرنامج أهل البيت فأنت تزيد في الفساد من حيث تشعر أولا تشعر بحيث وإن لم تحص بذلك إحصائيات، لا تعرف ولكن يوم القيامة تحاسب وتدين.

الانتماء للنبي وأهل بيته بأنواعه:

إذا ننظر للآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ جاءوك أولاً يعني توسلوا بك، فالتوسل ليس فقط بدعاء التوسل، تتوسل يعني ترتبط تنتمي:

أولاً: تنتمي كمواطن أولاً، مواطنتك الأولى لأهل البيت.

ثانياً: تنتمي انتماءاً وظيفياً أولاً، انتماؤك الوظيفي لأهل البيت.

ثالثا: تنتمي انتماءاً أسرياً عشائرياً أولاً، انتماؤك لأهل البيت.

رابعاً: تنتمي انتماءاً حزبياً تنظيمياً أولاً، انتماؤك إلى نظام الأتباع والموالين لأهل البيت.

لا تفكر قضية (جاؤك) فقط المجيء فيزيائي بالبدن. لا .. جاؤك يعني أن تترامى في مشروع أهل البيت بكله هذا معنى جاؤك.

فأنت في الواقع تحقق الأوبة إلى الله، ومباركة الله على مشروعك.

ومنها الروايات التي دلّت على أن نصرة الأنبياء للرسول الأكرم ﷺ إنما تحصل بالنصرة لوصيّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والقتال بين يديه عند الكرّة والرجعة في دولة الحقّ، وذلك نظير ما أخرجه سعد بن عبد الله القمي عن فيض بن أبي شيبة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقـول، وتلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: «لتؤمننّ برسول الله ﷺ ولتنصرنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام، قال: نعم والله من لدن آدم وهلمّ جراً، فلم يبعث الله نبيّاً ولا رسولاً إلا ردّ جميعهم إلى الدنيا حتّى يقاتلوا بين يدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[1].

ومن الواضح أن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام نصرة لرسول الله ﷺ وللدين الذي غ جاء به.

وحاصل هذه النقطة: هو اشتراك أهل البيت عليهم السلام مع النبيّ ﷺ في الميثاق الذي أخذ على الأنبياء، إذ أن إيفاءهم بالعهد إنما يكون بنصرتهم لأهل بيت النبيّ ﷺ.

٢ ـ مرّ بنا أن الدين عند الله الإسلام وهو واحد لا تعدّد فيه، وأن جميع المخلوقات بما فيهم سائر الأنبياء عجزوا عن تحمّل الدين والسبق في فتح سبله وبلوغ مقاماته الرفيعة، سوى الذات النبويّة المباركة التي لها الأهلية والاستعداد لتلقّي ذلك عن الله عزّ وجلّ، فكان لخاتم الأنبياء ﷺ الأسبقية في الإسلام والتسليم لله تعالى؛ ولذا كان الدين دين محمّد ﷺ، إذن دين الإسلام الواحد عبارة عن تلك المقامات السامية والنور الأعظم الذي لم يتحمّله مخلوق عن الله تعالى سوى خاتم الرسل ﷺ، فأسكن الله عزّ وجلّ ذلك النور في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وكان بدن النبيّ الأكرم ونفسه وروحه مسكناً لذلك النور، لأنه أوّل من قال بلى عندما قال الله تعـالى للبشر: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

ومن هنا يتّضح أن الميثاق والعهد الذي أخذه الله على أنبيائه هو الإيمان بعد ذات الله رب العالمين بذات الرسول أنه عبده الأول ورسوله ﷺ، والإيمان بمقامه ﷺ هو

(١) مختصر بصائر الدرجات، للحسن بن سليمان الحلي: ٢٥.

الدين الذي بعث به جميع الأنبياء، وهو بدرجاته العالية غيب الله وسره المكنون الذي أمر الأنبياء بالإيمان به والتسليم له، وكان نيل مقامات النبوّة على قدر درجة التسليم لذلك الدين، وقد مدح الله تعالى أنبياءه لكونهم مسلمين، قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾[1]، وقد أمر الله تعالى أنبياءه باتخاذ الإسلام ديناً، كما في قوله لإبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١﴾[2].

إذن الدين الواحد هو الميثاق الذي أخذ على جميع الأنبياء التسليم له والإيمان به ونصرته، وهو دين النبيّ الأكرم ﷺ المتمثّل برسالته ووساطته بين الله وخلقه، فهو دين الله الناطق.

وإذا كان الأمر كذلك فكل ما هو داخل في دائرة الدين يكون من الميثاق الذي أخذ على الأنبياء الأيمان به ونصرته والتسليم له، ومن الدين ولاية أهل البيت عليهم السلام بنصّ القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[3] حيث نصّت روايات الفريقين على أن هذا المقطع من الآية المباركة نزل عند تنصيب الله ﷻ أمير المؤمنين عليه السلام لمقام الخلافة والإمامة بعد رسول الله ﷺ وذلك في واقعة الغدير[4].

إذن الولاية والخلافة بعد رسول الله ﷺ من الدين الذي بعث به جميع الأنبياء، وقد أُكمل بتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بعد حجّة الوداع مضافاً إلى أن جملة من الآيات والأدلّة القائمة على إمامة أهل البيت عليهم السلام دالّة على أن إمامتهم وولايتهم من أصول الدين تتلوا أصل النبوّة، سيما وأن الأنبياء مخاطبون بآيات الولاية والقربى والمودّة عند رجوعهم للنصرة، فهم مأمورون بطاعة أولي الأمر والمودّة للقربى والتوجّه بهم إلى الله تعالى.

والحاصل: إنه لم يبعث نبيّ من الأنبياء إلا بعد أن آمن وسلّم بالدين الذي هو

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) لاحظ كتاب الغدير للأميني وشرح أحقاق الحق، حيث تتبعا الروايات في هذا المجال. وقد ذكر في كتاب الإمامة الإلهية الجزء الثاني أربع قراءات بديعة جديدة لآية أكمال الدين وحديث الغدير تدلل على أن الآية نازلة في الولاية ببينات مفعمة في منطوق الفاظ الآية.

ولاية الله وولاية النبيّ ﷺ وأهل بيته، فالولاية دين الله الذي بتسليمه استحقّ الأنبياء مقام النبوّة كلّ بحسب ما بلغهُ من درجة التسليم، فإن للولاية والتسليم درجات وبحسب درجة التسليم لكلّ نبيّ يعطى ذلك النبيّ مقام الحظوة عند الله تعالى ويستحقّ مقام النبوّة، وإذا ازدادت درجة التسليم كان ذلك النبيّ من أولي العزم، فتفضيل الأنبياء الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1]، كذلك تفضيل الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[2]، كلّ ذلك التفضيل بحسب درجة التسليم والتولّي لدين الله عزّ وجلّ، وذلك بالولاية للنبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته، فالتسليم للنبيّ وأهل بيته والإيمان بولايتهم نوع توجّه قلبي إلى الله عزّ وجلّ بهم، وهو شرط لنيل المقامات العظيمة عند الله تعالى كالنبوّة والرسالة، فضلاً عن غيرها من العبادات وقبول التوبة واستدرار الأرزاق الإلهيّة.

٣ ـ لقد بيّن الله عزّ وجلّ حقيقة الميثاق الذي أخذه على الأنبياء وكيفية إقرارهم وإيمانهم به وثباتهم عليه، كما في قصة آدم عليه السلام، حيث جاء فيها أن الأمانة والميثاق الذي أقرّ به أدم وتحمّله لنيل منصب الخلافة الإلهية عبارة عن الأسماء الحيّة العاقلة الشاعرة، التي علّمها الله عزّ وجلّ آدم وليست هي من السماوات والأرض، بل هي ملكوتها وباطنها ومحيطة بها ومهيمنة عليها، والأسماء هم الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، كما تقدم في الأبحاث السابقة كما نصّت عليه روايات الفريقين، وعليه فيكون الميثاق الذي تحمّله آدم وآمن به ونال بواسطته مقام الخلافة هو الولاية للنبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

كذلك الحال في الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام، فلما أتمّهن نال مقام الإمامة، فهذه الكلمات هي ميثاق إبراهيم عليه السلام لما أتمّها وآمن بها وأسلم بواسطتها لله ربّ العالمين استحقّ مقام الإمامة الإلهية، وسبق أيضاً أن تلك الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم وكان إتمامها سبباً لنيل المقامات العالية هم محمّد ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام.

إذن الميثاق عبارة عن أمتحان وابتلاء لنيل المقامات الرفيعة كالنبوّة والإمامة، والميثاق هو ولاية أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

نعم النبيّ الأكرم ﷺ أعلى مقاماً من أهل بيته عليهم السلام وهم يتوجّهون بالنبيّ ﷺ إلى الله عز وجل وبشفاعته ينالون درجة مقامه عند الله.

٤ ـ إن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام ذكرت تلو ولاية النبيّ الأكرم في جملة من آيات الطاعة والولاية، التي تقدم ذكرها، مما يدلّل على أن ولاية المعصومين عليهم السلام من الدين الذي بعث به الأنبياء، إذ الدين دائرته موحّدة بين الأنبياء والذي هو عبارة عن أصول العقائد وأصول الواجبات والمحرّمات، التي هي أركان الفروع كأصل وجوب الصلاة والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه كلّها من دائرة الدين لا الشريعة المختلفة من نبيّ إلى آخر، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام من الدين الذي بعث به جميع الأنبياء والرسل.

كذلك من الآيات التي قرنت الرسول الأكرم بأهل بيته عليهم السلام كآيات الفيء والخمس، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] فإن الآية المباركة تبيّن أن أولياء الخمس الذين لهم الولاية على أقتصاد الدولة الإسلامية هم الله تعالى ورسوله وذوي القربى، بقرينة الاشتراك بـ (اللام) الدالّة على ملكية التصرف في أموال الدولة الإسلامية، وأما اليتامى والمساكين وابن السبيل فهم موارد مصرف الخمس؛ ولذا تغيّر التعبير فيهم بحذف اللام.

كذلك بنفس البيان ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾[2]، فلإقامة العدالة المالية والأقتصادية على الأرض لا بدّ أن تدار الأموال العامة التي ترجع إلى بلاد الإسلام بولاية الله ورسوله وذوي القربى، وهم قربى الرسول الأكرم الذين جعلت مودّتهم أجراً وعدلاً لما جاء به النبيّ الأكرم من الدين الحنيف، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

وهذا يكشف عن أهميّة توليّ ذوي القربى وأن ولايتهم مفتاح لسائر أبواب الدين ومن دون التوسّل بها يخطأ الشخص ويضلّ طريق التوحيد، فيقع في مثل الجبر أو التفويض أو غير ذلك، فلا بدّ من الولوج إلى الدين عن الطريق والباب الذي نصبه الله عزّ وجلّ لخلقه، ولا يمكن الوقوف على حقيقة الدين إلا بالإمامة.

فمودّة ذوي القربى أمر عظيم إذا سَلم سَلِمت بقيّة أصول الدين، ولا يوجد قربى للنبيّ الأكرم ﷺ بهذا الشأن الخطير سوى المعصومين من أهل بيته، فولايتهم عاصمة عن الضلال وهي ركن ركين في الدين الذي بعث به الأنبياء كافّة.

ولا شك أن الدين عام ـ كما ستأتي الإشارة إلى ذلك ـ لا يستثنى منه أحد في جميع النشآت بنحو الأبد وعدم الأنقطاع، ومن ثمّ يكون وجوب الطاعة والولاية مكلّفاً به جميع المخلوقات بنحو من التأبيد والخلود، فخلافة وولاية أولي الأمر ووجوب طاعتهم لا تختصّ بالجنّ أو الإنس ولا بالأمور السياسية الدنيوية وليس لأمدها حدّ ولا انقطاع.

وهناك أيضاً آيات أخرى ستأتي لاحقاً قرنت بين النبيّ ﷺ وأهل بيته، مما يكشف عن أن مقامات الأنبياء ونيل الحضوة الإلهية لا يتم إلا بالتوسل والتوجّه بهم إلى الله تعالى، وأن تولّيهم واسطة للفيض الإلهي، ولولاهم لما بعث الأنبياء والمرسلون، فهم الوسيلة إلى الله تعالى في عظائم الأمور، فكيف بالقضايا الأخرى التي هي أقلّ شأناً مما يرتبط بالأمور الحياتية والمعيشية للناس؟!

وهذا كلّه يصلح بياناً بذاته لتبعية الأنبياء جميعاً لخاتم الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام مع سبقهم الزمني عليهم[١].

البرهان الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٢].

إن التكذيب في هذه الآية المباركة ليس في الله عزّ وجلّ بل التكذيب بآيات الله

---

(١) الإمامة الإلهية ج٤: ١٩٧، بتصرف.

(٢) سورة الأعراف: ، الآية ٤٠.

تعالى، فإن التكذيب لا يطلق على الآيات الخلقية كالسماوات أو الأرض وغيرهما وإن كانت تطلق الآيات على الخلق العظيم كالسماوات والأرض: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾(١).

والآية هنا تعني التدبر فيها لعظمة الخالق، فالتكذيب إذن للآية البشرية وليس لكل البشر بل الحجة من البشر الذي جعله الله بينه وبين عباده، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم لعدة آيات ذكرها الباري تعالى، فقد ذكرت ثلاث آيات تدل على أن الآية هو عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾(٤).

فإذا كان النبي عيسى عليه السلام وأمه آية من آيات الله تعالى فمن باب أولى أن يكون خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام آية من آيات الله وكيف لا وعيسى عليه السلام يكون وزيراً للإمام المهدي (عجل الله فرجه)، فإن النبي محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته من أعظم الآيات الإلهية وكما قرن الله تعالى عيسى عليه السلام مع أمه، فقد قرن الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في كثير من الآيات كآية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٥).

وآية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(٦).

وآية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾(٧).

إذن المراد من الآيات في هذه الآية الذين يتعلق بهم التصديق أو التكذيب وهم الحجج الإلهية، مضافاً إلى أن أسناد التكذيب للآية في مقابل التصديق بها يدل على أن

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦.
(٢) سورة مريم، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩١
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

المراد من الآية هم الحجج المصطفون، لأنهم هم الذين يصدق بهم ويتعلق الإيمان بحجتهم ومقاماتهم في مقابل تكذيبهم، بخلاف الآيات التكوينية فإنها لا يتعلق بها التصديق والتكذيب بذاتها، بل الإعراض أو النظر إليها وإلى دلالتها.

فالذين كذبوا وأستكبروا عن آيات الله أي الذين صدوا، فالمحذور ليس في التكذيب بل حتى في الصد، وهذا نفس التعبير الذي أستعمل في آية السجود لآدم: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾.

فهؤلاء لم تفتح لهم أبواب السماء: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾، وهذا يدل على أن السماء لها مفاتيح لأنه لم تفتحلهم أي أنها مغلقة، فلا تصعد إليه الأعمال بل حتى العقيدة: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1]، فإذا كانت العقيدة لا تقبل ولا ترفع في مقابل التكذيب والصد لآياتِ الله فكيف تقبل الأعمال التي ترفض ليس في الدنيا فقط بل حتى في الآخرة لا يدخلون الجنة كما صرحت بهذا الآية المباركة.

فشرائط قبول الأعمال ليس التولي فقط بل لا بد من التوسل أيضاً، لأنه من شرائط صحة قبول التوبة وقبول الأعمال كي ترفع إلى السماء وتفتح لهم الأبواب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾[2] وهم الإئمة الذي أمر الله به أن يوصل، فلا جفاء وقطع بل بالوصول إليهم وزياراتهم، والتوسل بهم.

فعن أبن أبي عمير عن أبن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلم جراً إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين، وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ يعني برسول الله ﷺ: ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال لهم فيَّ: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ أي عهدي: ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾ قال الله للملائكة: ﴿فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[3].

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢١.
(٣) نور الثقلين ج١: ٣٥٩.

عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وأبن رسوله أعلم، فقال لنا: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقى (لقي) الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً[1].

خلاصة الكلام:

أن الآية أشارت إلى كل من محذور التكذيب ومحذور الأستكبار والصد عنها وإن كلاً منها موبقة برأسه والمقصود من الآيات التي يكذب بها في قبال التصديق بها هم الحجج الناطقين عن السماء من الأنبياء والأوصياء كما ورد أطلاق الآية على النبيّ عيسى ابن مريم: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[2] كما أن التعبير في الآيـة: ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ﴾ هو تضمين للاستكبار والصد عنها وهذا التعبير بعينه قد استعمله القرآن الكريم في قصة إبليس مع آدم كما ورد: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ كما سيأتي التعبير من موقف المنافقين مع سيد الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[3].

فهذه الآية تُنذر بالتهديد كلاً من التهديد الذي يقابل التصديق وتُنذر بالأستكبار الذي يقابل الخضوع والتوجه.

إن كلاً من هذين الفعلين يسد أبواب السماء عن صعود إيمان العبد وعمله إلى الله وأن المفتاح لأبواب السماء ولوفود عقيدة العبد وعمله إلى الله (الحضرة الإلهية) هو ليس صرف الإيمان بالحجج الإلهية بل لا بد من الخضوع إليها والتوجه بها والأقبال عليها وبالتالي التوسـل بها إلى الله.

إذ قد بيّنت الآيات إن كلاً من العقيدة والعمل الصالح لا بد من ارتفاعـه إلى الله في مقـام القـبول كمـا فـي قوله تعـالـى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[4].

---

(١) وسائل الشيعة ج١: ١٢٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٥.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٥.

فهذه الآية مبينة بكون الصد عن حجج الله وعدم التوجه إليهم وعدم اللواذ بهم إلى الله يحبط ويخل بالإيمان فضلاً عن العبادات والأعمال.

وعلماء الإمامية (رضوان الله تعالى عليهم) وإن كانوا قد نبهوا على شرطية ولاية أهل البيت عليهم السلام في الإيمان والعبادات والأعمال إلا أن المنسبق من هذا التعبير هو خصوص الإيمان بأهل البيت عليهم السلام ولكن الصحيح عدم الأقتصار على شرطية الإيمان بل لا بد أن ينظم إليه شرطية ولايتهم بدرجة التوسل بهم والتوجه بهم إلى الله عز وجل فلو فرض الأقتصار على صرف الإيمان بهم من دون توليهم في أنحاء الولاء الأخرى ومن دون الأرتباط بهم والتوسل بهم والأتباع والانتهاج بهم لما تحقق الشرط من ولايتهم الذي هو ركن الإيمان وصحة الأعمال والعبادات هذا فضلاً عن الأقتصار عن المعرفة.

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى في صفة المنافقين في الآية السابقة بأن سلب الإيمان عن المنافقين بصدهم عن التوجه برسول الله ﷺ في مقام التوبة.

فهذه الآية مبينة لركنية التوسل بالنبيّ ﷺ والتوجه به إلى الله في تحقق الإيمان مضافاً إلى بيانها لشرطية حصول التوسل بالنبيّ ﷺ والأستشفاع به في حصول التوبة والإنابة إلى الله.

ومنه يتضح دلالة الآيات الواردة في أبليس فإنها دالة على كون إباء وجحود أبليس عن التوجه بآدم إلى الله أوجب حط إيمان أبليس بالله واليوم الآخر عن القبول.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(١).

حيث أشترطت الآية ثلاثة شروط وبنحو الترتب الشرطي وجُعلت:

الشرط الأول: منها التوجه واللواذ بحضرة النبيّ ﷺ.

الشرط الثاني: وقوعاً وترتيباً هو أستغفار المذنب.

والشرط الثالث: وقوعاً وترتيباً أمضاء النبيّ ﷺ وشفاعته في توبة مذنبي الأمة عند الله.

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

الشرط الرابع: نفس هذا الترتيب هو شرط مثل أفعال الصلاة أن أتى بالركوع قبل القراءة فإنه يبطل الصلاة.

نريد أن نقرأها الآن بعمق. إن الآية الكريمة ليست مخصوصة بزمن النبي ﷺ لماذا؟ لأنها أولاً تشترط شرائط ثلاثة ـ هذه الأجـزاء الثلاثة التي نحن بصددها ـ لتحقيق: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ لوجدوا الله يعود علينا بالمغفرة بحل مشكلاتنا الراهنة لحل ما يعصف لنا بقبول عباداتنا. إذن لا يمكن أن تكون الآية خاصة بزمان النبي ﷺ، والحال هي تشترط شرائط ثلاثة، بعبارة أخرى الآيات القرآنية خالدة ودائمة وسيما في الآيات التي تشرح بالتوبة أكبر علاقة ورمز بين العبد وربه رابطة التوبة والإنابة. لأن التوبة مأخوذة من الأوبة، آب يؤب والأوبة هي الرجوع إلى الله (إنا لله وإنا إليه راجعون) أي الاقتراب والزلفى إلى الله. لذلك التوبة عمل عبادي ضخم. يطلق على صلاة النوافل لصلاة الظهر صلاة الأوابين، لأن فيها أوبة. المقصود بالتوبة ليس عملاً منحازاً ومنفصلاً عن بقية العبادات والصلاة والحج. الحج نوع من التوبة لأنها نوع من الأوبة إلى الله ﷻ فإذن نحن في ضمن أعمال الحج في ضمن أعمال التوبة.

الآية الكريمة تشترط ثلاثة أمور: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ الذي نقوم به نحن إنا استغفرنا الله؛ طفنا حول البيت إنابة إلى الله، يصب في نفس مضمار استغفارنا الله، أما الآية فتقول لابد من شرطين آخرين يجب أن تقوموا بهما، وهما: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ قبل أن نحج، قبل أن ندعوا بدعاء التوبة، قبل أن ندعوا بالأدعية الأخرى، الآية تقول يجب أن تهيئوا أنفسكم لشرط مقدم (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك).

الشرط الأول:

المجيء إلى رسول الله ﷺ الوفود على الحضرة النبوية، وحيث تبين لنا أن الآية غير مخصوصة بزمان النبي، لماذا؟ لأن الآية تتعرض لأمر خالد أبدي وأعظم أمر يختص بالعبد في العلاقة بينه وبين ربه. فلذا الآية سنة إلهية أبدية تشترط في التوبة

المجيء إلى النبي وبصراحة أقول لكم هذا الشرط فقهاؤنا الإمامية أغفلوه في كتبهم الفقهية وفي كتبهم الكلامية قالوا أن من شرائط التوبة: الإيمان بولاية النبي وأهل

بيته ولكنهم أغفلوا هذا الشرط، لأن الآية تقول أن من شرائط التوبة بالإضافة إلى الإيمان بالنبي وأهل بيته التوسل بالنبي، جاءوك يعني علاوة على أنهم يؤمنون بك لابد من أن يلجؤا إلى محضرك.

هم يقولون اللواذ أو العياذ والاستعاذة واللجوء والالتجاء إلى النبي شرك. بينما الآية الكريمة تقول شرط التوبة والأوبة أي العبادة شرطها الإلتجاء بالنبي التوسل بالنبي ليس فقط الإيمان به وبأهل بيته بل لابد من التوسل والتوجه بالنبي.

ففي دعاء التوجه: (بالله أستنجح وبالله استفتح وبمحمد الرسول وآله أتوجه) يعني الطاقة التي يمكن أن تتوجه بها الطائرة الوسيلة التي تعرج بها أنت أيها المصلي في الصلاة إلى الله هي التوجه بالنبي، ليس فقط الإيمان بالنبي وبأهل بيته.

فقهاؤنا الإمامية ذكروا هذا المطلب أن ولاية أهل البيت شرط في صحة العبادات، وشرط في قبول العبادات. هذه الآية الكريمة تفيد زيادة على ذلك لا الأقتصار فقط على الإيمان والتولي بولايتهم يكفي في صحة العبادة وقبول العبادة بل لا بد من التوجه بهم كعمل القلبي القصدي التوسل بهم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ لم تقل الآية لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ندموا ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم استغفروا وبكوا، ولم تقل ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم آمنوا بك وبنبوتك وبولايتك وبولاية عترتك، لا .. لا تكتفي بذلك، الآية الكريمة تقول: أول شيء يفعلوه الالتجاء العملي.

الإيمان بالمهدي عليه السلام:

إن حس معايشة الاضطرار للمهدي هذا تمام الإيمان، إذا لم نعايش بأنفسنا أننا مضطرون لقيادة المهدي (عجل الله فرجه) للبشرية لا يتحقق تمـام الإيمان، لا أنه نعايشه كنظرية وكفكرة، بل نلمسه وجداناً. كيف نتعطش نحن إلى حاجاتنا؟ إذا أحتجت إلى بيت،أو إلى سيارة، أو إلى وظيفة،أو إلى مال،أو إلى سمعة، أو إلى شهرة، كل واحد وحسب رغبته، تحس أنك ملجأ إلى هذه الحاجة إذا أحسسنا وعايشنا هذا الهم وبالتالي تشبعنا بالإيمان بهذه الفكرة بأننا ملجئون وملتجئون إلى وجوده، إلى رعايته، إلى إدارته، إلى تخطيطه، إلى قيادته، إلى دوره الفاعل حينئذ سوف يكون التجاء ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ التجئوا إليك.

الآن من هو الذي يجسد النبي ﷺ؟ من الذي يحل محل هذا الركن في النبي ﷺ؟ هو المهدي (عجل الله فرجه).

إنه يوجد هناك تفاعل روحي إن لم يكن اقتراب جسدي وبدني بين الإنسان وبين أرحامه وأوليائه وذويه ومن له تعلق حبي بهم. فنحن لا نتخيل إذا شاطرنا وشاركنا المهدي (عجل الله فرجه) أو سيد الشهداء الآن في مصيبته أو الزهراء أو النبي أو أهل البيت في مصابهم بسيد الشهداء أو مصابهم بظلامة ابنهم المهدي (عجل الله فرجه) نحن لن نشاركهم في التحسس الروحي، لنثق أن هناك نوعاً من التجاذب الروحي هم يعلمون به طبعاً: (أشهد أنك تسمع كلامي وترى مقامي وترد سلامي)؛ يوجد تجاذب يوجد اتصال يوجد ارتباط روحي، وكونها لا تُرى بالبصر هذا بحث آخر، لكن لا أنه ليس هناك نوع من الانجذاب، والتفاعل الروحي، والمغنطة الروحية. لذا أنت إذا شاطرت المهدي في بليته خففت مما على قلبه المقدس الشريف، لا تفكر أن هذه ليست إعانة، هذه إعانة، هذه تسلية، لنثق بتمام الحقيقة أنها تسلية، كأنما ذهبت إليه وسليته، وخففت من همومه، ألا تحب أن تكون هكذا؟ طبعاً كل واحد منا يحب أن يكون هكذا. كما أن الرزايا والمصائب الراتبة على أهل البيت عندما نشاطرهم بها، لنطمئن بأن ذلك بمثابة ذهابنا مجلسهم ومحضرهم وشاطرتهم وسلوتهم عن المصيبة التي أصابتهم، يعني خففت شيئاً من العبء الذي تتحمله أرواحهم.

وأي شرف أكبر من هذا الشرف؟.

أحد علمائنا يدعى الميرزا القمي رحمه الله هو من تلاميذ صاحب الحدائق الشيخ يوسف، ومن تلاميذ الوحيد البهبهاني. معاصر للشيخ جعفر كاشف الغطاء والعلامة بحر العلوم الذين كانا من تلاميذ الوحيد البهبهاني.

يشاهد في الرؤية أنه دخل صحن سيد الشهداء للزيارة، فيتصافح مع حبيب بن مظاهر ألأسدي بحفاوة وبكاء وفرح لرؤيته ولقاء حبيب بن مظاهر، ويقول: ما أهنأكم ناصرتم الحسين وبلغتم ما بلغتم من مراتب. قال: ما أهنأكم أنتم الآن ونحن في حسرة نغبطكم مما أنتم فيه. قال له: كيف؟ على ماذا فعلنا. قال له: هذه مجالس العزاء والمشاطرة لأهل البيت سلوى لهم.

سلوى؛ كأنما أنت تذهب وتسلي عن النبي ﷺ، ما قدر هذا المقام الشريف العظيم؟ إنك تذهب إلى مجلس عزاء تعزي وتسلي فيه النبي ﷺ، هذا شرف عظيم.

تظن أنك لم تذهب ببدنك؟ بل ذهبت بروحك، إذن هي النية. النية هي كائن موجود أثيري ترتبط به أنت. لذلك أحياناً يمر عليك في يومك شعور بحزن من غير سبب في نفسك أو تشعر بفرح وانبساط روحي لا ترى سبباً واضحاً له. ثم تسمع أن أحد أرحامك انتابته مصيبة أو فرح.

هذه مسألة ثابتة عند علماء الروح الغربيين؛ قضية التشاطر الروحي الأثيري. إذا كان بين أرواح الأقرباء هكذا ـ يوجد لدينا روايات مفادها أن صديق مؤمن لصديق ينتابه جزع أو مصاب الله يخفف ﷻ عنه، بأن يكيل كيلة ويضعها على الطرف الآخر، يرى نفسه مهموماً يا ربي ما الذي صنعته حتى حل أو وقع هذا الهم على قلبي؟.

نعم أنت ما دمت واليته ووادته، الله يجعلك شريكه في المناصرة والمؤازرة، فكيف بإنسان شدة حبه وشدة ولائه وشدة ارتباطه بأناس هم فوق البقية في علائق الإنسان وارتباطاته.

لا ريب أن هذه الأرواح جنود مجندة. الآن نحن مجندون في صف علي بن أبي طالب ـ الحمد لله ـ الآن ككتلة روحية واحدة، معسكر علي ﵇ في الحياة في الأرض الآن، معسكر علي ﵇ في البرزخ وفي عوالم أخرى. نحن متآزرون ـ والحمد لله ـ بهذه الروحية.

لذلك أنت إذا تنظر ما صار على شيعة العراق، وشيعة باكستان، والشيعة في كل مكان، وعلى عموم المسلمين المستضعفين، من غير ناصبي العداوة لأهل البيت تحس أنه يؤرقك. بل كل إنسان مستضعف ليس عدوانياً، وإنما فطري وجداني، تحس أنك تربطك به مؤازرة فطرية. لماذا؟ لأن كل هذه الأرواح ترجع إلى نوع من التلاحم. الآن كيف هذه في عالم الأرواح، الاتصالات هناك كيف هي؟ قنوات الاتصال هناك كيف هي؟ وسائل الاتصال كيف هي؟ البرنامج كيف هو؟ هذا بحث آخر لا نعلمه لا لأنه غير موجود، بل آثاره موجودة [١].

فإذن الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، ظلماً اجتماعياً، ظلماً مالياً، ظلماً

(١) وهناك مزيد من التفصيل في كتاب (عوالم الإنسان ومنازله) الذي هو في طريقه إلى الطباعة إنشاء الله تعالى

اقتصادياً، ظلماً أخلاقياً، أي ظلم. لا نتصور الظلم يعني الذنوب التي هي مابين الإنسان وربه كظواهر اجتماعية آية حالة تخلف عندنا في النظام المعاشي والنظام الاجتماعي هذا ظلم لأن فيه تعدي على الحقوق ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ يعني التجئوا إليك، من الذي نلتجئ إليه الآن؟ نلتجئ إلى النبي ﷺ لكل العترة من أهل البيت لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

فشرط الآية تقول قبل أن تندموا، قبل أن تقرءوا دعاء التوبة قبل أن تقرؤا دعاء التوسل، قبل أن تأتوا إلى الحج الحرم والميقات لبيك اللهم لبيك ـ لأن كل هذه عبادة أليس كذلك ـ وفيها توبة وأوبة إلى الله، قبل ذلك.

أول شيء تحققونه إلى أنفسكم هو الالتجاء إلى النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام يخاطبنا الأمام الباقر عليه السلام حول القيام بالحج أنه: (فعال كفعال الجاهلية) هذه الأعمال تكون وثنية كحج المشركين قبل الإسلام أنت الذي تقوم به وثن من حيث لا تشعر. نعظم أحجاراً! حتى الذين في الهند يعظمون أحجاراً. يدعون الله عندها، ونحن أيضا كذلك نعظم أحجاراً وندعو الله عندها وإن كان يوجد فرق وهو إن الله أمر هنا. وهناك لم يأمر. ولكن هنا أمر الله لا يقتصر على (فاستغفروا الله)، قبل (فاستغفروا الله) ماذا أمر الله عز وجل؟ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ ليس فقط التوجه إلى الكعبة والبيت الحرام والمشاعر والتوجه إلى الله لا يصح بدون التوجه بالنبي ﷺ وأهل بيته، بل كل عبادة تتعبد بها بأنك إذا لم تتوجه في تلك العبادة، صيامك صلاتك، حجك إذا لم تتوجه فيها بدءاً بالنبي تابعتهم وجاريتهم بالمكوث في معسكرهم ومواقفهم في الترامي في أحضانهم في بيئتهم في أفكارهم في عقائدهم، أنت تتشبع بهم وترمي نفسك في أحظانهم وبيئتهم، إذا لم يكن كذلك حينئذ ستكون العبادة غير مقبولة، يعني لم تطرق باب الله الذي منه يؤتى، أنت تطرق باب وثن. إذن نريد باب عبادة الله تعالى، ما الذي يطرق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ بعد ذلك يقيمون الصلاة، العبادة، الحج (فاستغفروا الله).

الشرط الثاني: الاستغفار:

بعد ذلك يقيمون الصلاة، العبادة، الحج (فاستغفروا الله) هذا كله نقيمه من أعمال فردية في المرحلة الثانية.

الشرط الثالث: استغفار الرسول لهم:

هل يكفي حينئذ لصحة العبادة وقبول الله لها كوننا قد توسلنا بأهل البيت والتجأنا بهم فقط ونقتصر على ذلك، قرأنا دعاء التوسل أو زرناهم أو أظهرنا محبتهم، أو أقمنا المجلس لهم.

الالتجاء يحمل معاني وصوراً عديدة، لو أقمنا كل صور الالتجاء والتوجه بأهل البيت والترامي في بيئة أهل البيت عليهم السلام، ثم أقمنا العبادة (استغفروا الله) أقمنا البرنامج الإلهي، الأمر الإلهي الموجود، هل حينئذ سوف نحظى بالغاية و القبول؟ لا . . . الآية تقول هناك شرط أخر لكن ليس بيدكم، ما هو؟ الشرط الأخر هو: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ استغفر لهم الرسول يعني لابد أن يشفع يقوم بالشفاعة بالواسطة، يعني إذا الرسول لا يقوم بالشفاعة لا يقبل الله عز وجل عمل عامل منا.

سؤال وجواب:

وقد يسأل سائل أن الآية في البداية تخاطب النبي ﷺ (جاؤك) ثم تقول (واستغفروا الله). فكيف التوافق بينهما؟.

والجواب: يسمى التعبير الأدبي بـ (الالتفات) في القرآن كثير، تارة القرآن يخاطب شخص ويلتفت عنه ويخاطب أخر، يتكلم عن الشخص بالغائب، يسمى في علم البلاغة في اللغة العربية (براعة الالتفات) يعني يدير ندوة خطابية حوارية بألوان مختلفة لكي يثري حيوية الندوة أو الحوار هذه طبيعه الخطاب القرآني، كما يقول أمير المؤمنين إذا لم ينتبه القارئ للقرآن أو المفسر أو الفقيه أو المجتهد أو المثقف أياً ما كان إذا لم يعرف هذه القاعدة الإستعمالية في ألفاظ وتركيب الجمل في القرآن أو لا يستطيع أن يتدبر فيها. الإستعمال القرآني طبيعته الالتفات يعني كأنما يدير ندوة، يخاطب هذا، يعرض ثم يخاطب أخر، يعرض فيخاطب آخرين ثم يرجع وهلم جرى. . .

من باب حيوية الحوار والخطاب في الخطاب القرآني يسمى في اللغة العربية الالتفات، يعني التفت إليه، يعود فيلتفت للآخر يعرض عنه يعود فيلتفت لثالث وهلم جراً . . . لينتبه الجميع إلى حواره وخطابه ـ القران الكريم ـ.

المهم. في الآية القرآنية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾

جاؤك يعني تجيئون تتوسلون أولا. تستعلمون دينكم منهم تستعلمون نظامكم الاجتماعي منهم، يعني تلتجئون إليهم في كل شيء تتوجهون بهم في كل مجال لا مجال بخصوصه دون آخر. بعد ذلك تقومون بما أمرتم مـــن عبادة من قوانين اجتماعية قوانين سياسية...

هؤلاء الجاحدون للتوسل أصلا لا يفهمون هذه الآية القرآنية، يقول الله ﷻ لو أستغفرت أنت أيها العبد ما لا نهاية و أهلكت نفسك في الاستغفار والبكاء والندم بعد أن توسلت بالنبي ﷺ وإلتجأت إليه و لم يشفع لك النبي لن يقبل الله التوبة.

ما هذا المقام للنبي ﷺ ما هذا الباب إلى الله تعالى فلو أني توسلت وتوجهت والتجأت واسترشدت للنبي وأهل بيته وتوليتهم وأظهرت ولآئي لهم وتشبثت بهم واستغفرت وأقمت البرنامج الإلهي سوف لن يتوب الله عليّ ومفاد الآية يقول الباري تعالى لن أتوب عليك إلا أن يشفع لك الحبيب المصطفى ﷺ. إذا لم يمض لك المصطفى ﷺ لا أمضي. ما هذا المقام الكبير للنبي ﷺ.

لنلتفت إلى الآية الكريمة الأخرى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الرحمة هو سيد الأنبياء، النافذة الباب للرحمة، ليغفر الله الذنوب التي هي على كل الأمة إلى يوم القيامة لابد من شفاعة النبي ﷺ ومفاد الآية ليس فقط التوبة بل عبادتنا صلاتنا صومنا حجنا خدماتنا الخيرية الميراث... كل شيء نقوم به إذا لم يشفع له النبي إذا لم يقبله لا يقبله الله ﷻ.

هذا ليس فقط خاصاً بهذه الأمة في أخر الزمان: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ بل عام لكل الأمم بما فيها الأنبياء السابقين.

هذه الآية مع الإمعان فيها تدل ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ على أن الرسول له دور مهيمن على الأنبياء فضلا عن غيرهم. شفاعته، الشفاعة يعني واسطة ماذا تعني الوساطة، يعني مثلاً عندك واسطة لهذه الوظيفة في هذه الوزارة ـ ، الواسطة ليس فقط للإغضاء عن العقوبة، لإخراج سجيناً من السجن قد لا يكون سجين، الواسطة من أجل الحصول على أرباح، تحصل إنجازات أليس كذلك الشفاعة يعني واسطة، الشفاعة إما لترفيع درجات أو لغفران ذنوب.

شفاعة النبي تعني واسطته، يعني بوابته للرحمة الإلهية، ليس خاصاً بالأمة

الإسلامية بل لجميع الأمم، بل ليس خاصاً بالأمم بل يشمل الأنبياء، أي نبي من الأنبياء إذا لم يشفع له النبي ويتدخل كواسطة لم يعط النبوة. النبي إبراهيم الخليل لا يعطى النبوة النبي نوح لا يعطى النبوة كما ذكرنا سابقاً.

وهذه الآية سُنّة إلهية إلى يوم القيامة شأنها شأن بقية الآيات والفرائض المتعلقة بالنبيّ ﷺ أو ذات الأرتباط بالنبيّ ﷺ نظير: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[1] فهل الإطاعة فقط في حياته.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات وكما هو الحال في الشهادة الثانية فإنه ركن في التوحيد والدخول في حضرة الإسلام إلى يوم القيامة وليس مختصاً بحياة النبيّ ﷺ في دار الدنيا بل هو دين بعث به سائر الأنبياء السابقين وقد مرّ في بحث الآيات كلامٌ مبسوطٌ في بيان ركنية التوسل والتوجه والأستشفاع في الدين الحنيف وان من جحد هذا الركن العظيم يستهدف التنكر عن عدم الألتزام بالشهادة الثانية بنحو مبطن ومن ثم لا ترون في أدبيات الجاحدين للتوسل بيان مؤديات الشهادة الثانية وتداعياتها.

لولاك ما خلقت الأفلاك:

هناك كتاب يوزّع بين الحجاج من قبل الوهابية يحمل أسم (حقوق النبي بين الإجلال والإضلال) و كل ما في الكتاب إزراء بالنبي ﷺ تحت شعار آيات قرآنية، وتنكر عن آيات أخرى، وتعامى عنها، وهذا الكتاب يوزّع بكثرة.

يقول إن التشفع بالنبي ﷺ بدعة، أو أن: (لولاك ما خلقت الأفلاك، لولاك ما خلقت الجنة ولا النار)[3] هذا غلو، ومن وضع الغلاة، عجيب. الرواية صحيحة السند لماذا تتعامون عنها؟ لِمْ تعبثون بالدين؟ الدين لا يكمل لكم ولا إلينا بمجرد (لا إله إلا الله).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٣) مستدرك الحاكم للنيسابوري.

إن لم تضم إليها (محمد رسول الله) لا تدخل في التوحيد. هل استطاعوا أن يفسروا هذا الشيء لماذا لا يكمل التوحيد بـ (لا إله إلا الله)، الذوبان في التوحيد لماذا لا يكمل بـ (لا إله إلا الله)، لماذا لا بد أن نضم إليها (محمد رسول الله)، لذلك قال الإمام الرضا عليه السلام: (لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي) حديث قدسي عن الله، لكن (بشرطها وشروطها).

هم أصلاً ساروا على نفس سياسة قريش العدائية السابقة مع خاتم الأنبياء، يريدون أن يخمدوا ويميتوا ركنية النبوة في التوحيد، كيف يمكن؟ هو الله عز وجل يأمرنا، التوبة ليست مغايرة للصلاة وللحج وللأعمال والأمور الأخرى.

البرهان الرابع: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[1].

قصة أصحاب الكهف:

في حوار دار بين الإمام علي عليه السلام وبعض أحبار اليهود في زمن خلافة الثاني، فسأل أحدهم عن قصة أصحاب الكهف فأجابه الإمام علي عليه السلام:

«... يا أخا اليهود حدّثني محمّد صلى الله عليه وآله أنه كان بأرض الروم... وأستعرض عليه السلام قصة أصحاب الكهف إلى أن بعثهم الله مرة أخرى وبعثوا بواحد يسمى تمليخا منهم يشتري لهم طعاماً كما تقص علينا الآيات فعرف الناس الذين في الأجيال اللاحقة أن هذا الشخص من أصحاب الكهف من زمن دقيانوس ـ إلى أن قال عليه السلام ـ: فوقف الناس فأقبل تمليخا حتى دخل الكهف فلما نظروا إليه اعتنقوا وقالوا: الحمد لله الذي نجاك من دقيوس، قال تمليخا: دعوني عنكم وعن دقيوسكم، قال: كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم! قال تمليخا: بل لبثتم ثلاث مائة وتسع سنين، وقد مات دقيوس وانقرض قرن بعد قرن، وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ورفعه الله إليه، وقد أقبل إلينا الملك والناس معه قالوا: يا تمليخا أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين؟ قال تمليخا: فما تريدون؟ قالوا: ادع الله جل ذكره وندعوه معك حتى يقبض أرواحنا، فرفعوا أيديهم، فأمر الله تعالى بقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف على الناس، فأقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة أيام لا يجدان للكهف باباً، فقال الملك

(١) سورة الكهف، الآية: ٢١.

المسلم: ماتوا على ديننا، أبني على باب الكهف مسجداً، وقال اليهودي: لا بل ماتوا على ديني، أبني على باب الكهف كنيسة، فاقتتلا فغلب المسلم وبنى مسجداً عليه، يا يهودي أيوافق هذا ما في توراتكم؟ قال: ما زدت حرفاً ولا نقصت، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[١].

إن الملك المسلم أو الموحد الذي أقترح بناء المسجد كان على ملة إبراهيم عليه السلام، وهذا يدل على أنه كان من سنن الملة الإبراهيمية أتخاذ المسجد على قبور الصالحين وهم الموحدون، فلو كان في شرع الله أن بناء المسجد على قبور الصالحين هو عين الوثنية كما تدعي هذه الشرذمة، وهي من عبادة الأصنام أو الشرك وغير ذلك من التفاهات لكان يذم ويخطيء القرآن على فعلهم هذا فأغضاء القرآن عن ذلك وذكره لبناء المسجد عليهم في سياق المديح والأشادة ومن صلاح العاقبة لأهل الكهف وأنه لسان صدق مديح لأصحاب الكهف في الأجيال والقرون اللاحقة وهذا يدل على كونه مقبولاً عند مُنزل الوحي.

والحال أنه في الآية الكريمة أعتبرت أن بناء المسجد على القبور من الغايات الحميدة التي ترتبت على فعل الله تعالى، فإن بناء القبور إشادة لصلاح الصالحين وإشادة للآية الإلهية التي صنعها الله تعالى بأصحاب الكهف، وبعبارة أخرى إن ذلك البناء لو لم يبنوه عليهم لما بقيت تلك الآية الإلهية وحكمته للبشر.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن عمارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هو من أحياء شعائر الله، وأبقاء الدين مشيداً إلى يوم القيامة، فإن مقامات الأنبياء والأصفياء والحجج حري بها أن تشعر، وقد مر سابقاً أن التشعير هو لمضاعفة الأجر والثواب، مع أنهم يقولون أن العبادة من دعاء وصلاة وغير ذلك لا يجوز إلا في المسجد، وهذا خلاف لضرورة فقه كل المسلمين، لأن نفس الحرم المكي ليس كله مسجداً وكذلك الحرم المدني ليس كله مسجداً، ولكنها شعرت لعظمتها وحرمتها فإن التشعير أعم من المسجدية كما مر ذلك مفصلاً.

إذن بناء القبور وتشعيرها يصب في ركنية معالم الدين: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا

---

(١) بحار الأنوار ج١٤ ٤٩٩.

مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[١]. فتعاظم عمارة قبر النبي ﷺ وتشعيره هو نفس عظمة الأعتقاد بنبوة خاتم الأنبياء ﷺ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾[٢].

فإن الأنشداد إلى آيات الله هو أنشداد إلى الله تعالى، والإيمان بولاية أهل البيت عليهم السلام ليس وحدها منجية بل لا بد من الخضوع لهم والتوسل بهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾[٣]. فإن نفس رفع الصوت هو الخروج عن العقيدة، فإن الأستخفاف بالنبي حياً وميتاً هو أستخفاف بالله تعالى.

والحال أتفقت المذاهب الإسلامية على أن المشي على قبر المؤمن والإتكاء والجلوس عليه هتك لحرمته وأذية لصاحبة وقد رأى النبي ﷺ رجلاً متكئاً على قبر فقال ﷺ: لا تؤذ صاحب القبر.

فما بالك بقبر أحب الناس إلى رسول الله ﷺ؟!!

* * *

(١) سورة الحج، الآية: ٣٢

(٢) سورة نوح، الآية: ١٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٢.



الفصل الثالث

البحث الروائي
أدلة القول بحرمة بناء
القبور وعمارتها

أدلة القول بحرمة بناء القبور وعمارتها

في هذا الفصل سوف نستعرض الأدلة التي أستدلوا بها على حرمة بناء القبور وعمارتها ومن ثم جحد شعيرة زيارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وقبور الأنبياء والأوصياء بشكل عام، وبعد أستعراض هذه الأدلة سوف نناقشها ونرد عليها بأدلة أخرى من نفس الكتاب والسنة:

الدليل الأول:

أستدلوا من الكتاب الكريم بأيتين كريمتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ٢٢﴾(١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾(٢).

تقريب الدلالة:

أن الظاهر والمتبادر من الآية الأولى أن من في القبور لا يسمعون ولا يمكن للحي أن يخاطبهم ولا يكلمهم فطريق الاتصال بين الأحياء والأموات منقطع فلا معنى حينئذٍ يتحصل لزيارتهم.

ويظهر من الآية الثانية:

أن الكفار قد انقطعوا عن أصحاب القبور فلا يرجونهم في نفع ولا ضر وتعطل فعلهم فلا يكترثون بهم فمن ثم شُبه انقطاع المغضوب عليهم الذين حل عليهم

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

الغضب الإلهي عن الآخرة ويئسهم منها لعدم ادخارهم العمل الصالح لها وعدم رجائهم ثواب الآخرة فلا يرجون منها رحمة ولا مغفرة ولا نعيماً ولا نفعاً، شبه ذلك بعدم جدوى من في القبور للكفار من الأحياء.

وضمَ إلى الاستدلال بهاتين الآيتين الاستدلال بما ورد في الحديث النبوي الشريف: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث (ولدٌ صالح يدعو له أوعلمٌ ينتفع به أوصدقة جارية) بتقريب أن زيارة الزائر للميت لا تنفعهُ بشئ لانقطاع العمل فلا يستزيد عملاً من الحي الزائر ولا يستزيد الحي من الميت كذلك لأن الميت لا يقوى ولا يستطيع أن يأتي بعمل ينفع به نفسه ولا عملاً ينفع به الآخرين من الأحياء.

الحياة في الآخرة والبرزخ أشد قوة من الدنيا:

والجواب: أن دلالة الآيتين على عكس ما قرر تماماً فإن الآية الأولى تبين أنَ الذي يكذب برسالة الرسل وبرسالة الرسول ﷺ وبالبشارة والنذير الإلهي هو ميتٌ وإن كان يحيا في دار الدنيا وان من يصدق ويؤمن بالإيمان فهو حيٌ وهو الذي يسمعهُ الله دينه وأما الذي يكذب فهو في صمم وعمى بمثابة الميت الذي عُطلت أعضاؤه عن الحركة نظير ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

ونظيره قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[2] فإن المراد ليس موتان البدن وحياته ليتخيل أن المراد من الآية هو خروج الجنين الميت من المرأة الحامل الحي، أو العكس وهو خروج الجنين الحي من المرأة الحامل الميت بل المراد هو حياة القلوب وموتانها فإن العلم والإيمان بالحقيقة والحق حياة والجهل والكفر والجحود بهما موت.

حيث ركز القرآن الكريم على أعضاء جوانح الروح وأنها أهم من صفة الحياة والموت من أعضاءاً جوارح البدن الدنيوي فإن للروح أعضاءاً وقوى كما أن للبدن أعضاءاً.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ١٩.

ونظير ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾﴾[(١)].

فإن المراد ليس هو عمي العين كعضو للبدن بل عمي القلب.

ومن ثم ورد أن الجاهل بين العلماء كالميت بين الأحياء وأن العالم بين الجهال كالحي بين الأموات فالحياة والموت بلحاظ الروح تختلف عن الحياة والموت بلحاظ البدن، فالإدراك والشعور حياة والجهل والغفلة موتٌ والأيمان حياةٌ فاعلة والكفر والتكذيب بالحق موتٌ، وهذا نظير اصطلاح القرآن الكريم في لفظة القرية والقرى ولفظة المدينة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾[(٣)] فإن المرسلين الثلاثة أرسلوا إلى المدينة العامرة ومع ذلك سماها القرآن قرية وذلك لكون أهلها كفار، والمكان الذي منه أتى المؤمن (حبيب النجار) هو في العمران والبناء وذلك لكون أهلها مؤمنين والتمدن في القرآن هي بلحاظ الإيمان الذي هو كمال وتطور للبشرية، والكفر تخلف وانحطاط لها.

ونظير ذلك الأمية والعلم والتعلم في القرآن، فإنه أُطلق على أهل مكة بالأميين لأنه لم يبعث فيهم رسولاً من قِبل ولم ينزل عليهم كتاب فليسوا بأهل الكتاب في مقابل أهل الكتاب فإنهم أهل العلم، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[(٤)] حيث دلت على أن الدار المفعمة بالحيوية والحياة ذات النفح الحيوي هي دار الآخرة وكأنما دار الدنيا والحياة فيها أقرب إلى الموت منها إلى الحياة، والدار الآخرة أقرب إلى الحياة منها إلى الموت.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[(٥)]، وكما في قوله ﷺ: (الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا) أي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٢) سورة يس، الآية: ١٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٢٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الأعلى، الآية: ١٧

أن في دار الدنيا حالة منامية والبعث إلى البرزخ والآخرة حالة اليقظة، فشعور وأدراك وسمع وأبصار من انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة اشد بمراتب من الكائن في دار الدنيا.

كما يُشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(١).

فتشير الآية إلى أن البصر في دار الدنيا محجوب بغطاء ولا حدة فيه ليبصر الحقائق والواقع، ونظير ذلك ما ورد عن سيد الشهداء الحسين عليه السلام: (أن الدنيا حلوها ومرها حلم) فيتحصل من مجموع الآيات والروايات أنَ شعور وأبصار وسماع أهل الآخرة أشد وأقوى واحد من أدراك أهل دار الدنيا.

واليأس من الموتى وأصحاب القبور من صفة الكفار والمنافقين، كما في الآية المتقدمة والإيمان بأصحاب القبور وأنتقال وجودهم إلى البرزخ وإنما نقلوا من دار إلى دار فإنهم وإن عدموا من دار الدنيا ورحلوا عنها إلا أنهم موجودون في دار الآخرة من البرزخ فلم ينعدموا تماماً كما يعتقده الدهرية وأصحاب الفلسفة المادية الذين يجحدون كل شيء وراء الحس الدنيوي المادي ويقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾(٢) ويحسبون أن الموتى أصبحوا رميماً وعظاماً بالية لا غير، ولا يستيقنون بالبرزخ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٣) وأن أهل البرزخ من الموتى على أرتباط بمواضع قبورهم وبمن يزورهم فيها. فمن صفات المؤمنين بالغيب والآخرة.

وأما الآية الثانية: فدلالتها صريحة في خطأ الكفار وتغليطهم فيما يعتقدون اتجاه أصحاب القبور نظير خطأ المغضوب عليهم في اليأس من الآخرة، فإن المغضوب عليهم لعدم إيمانهم بالآخرة لايعولون ولايطمئنون إلى وجود الآخرة وما فيها من ثواب الله ورضوانه ودار أنعامه، مع أن الدار الآخرة هي حقيقة واقعة وموجودة وهي دار أعظم شأناً وسعة وفسحة وجمالاً وجلالاً وبهاءاً من دار الدنيا إلا أن المغضوب عليهم بسبب عدم إيمانهم أخطئوا وجهلوا هذا الأمر، نظير جهل الكفار

(١) سورة ق، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

بشـأن أصحاب القبور وأنهم موجودون في دار البرزخ منعمون إن كانوا من أهل النجاة ومعذبون إن كانوا من أهل الهلاك، فاليأس من أصحاب القبور هي من صفات الكفار والمنافقين لعدم أيمانهم بالآخرة والبرزخ، بينما الأملَ في أصحاب القبور بوجودهم والتواصل معهم والصلة بهم والارتباط هي من صفات المؤمنين بالبرزخ وبالآخرة والمعاد فلا غرو ولا عجب في تشديد النكير على زيارة أهل القبور والأولياء والأصفياء والصالحين من قِبل الوهابية، فإن هذا لا يصب إلا في مواجهة الإيمان بالبرزخ وبالآخرة والمعاد والحساب وأنه نظير مقولة الكفار في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[١].

فحصروا الحياة بدار الدنيا وأنكروا الحياة الآخرة والبرزخ وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[٣].

الصد عن زيارة القبور صدٌّ عن الآخرة ودعوة للعكوف على الدنيا:

حيث تدل الآية على أن الموت انتقالٌ من دار إلى دار ويريد الميت أن يرجع كما ورد في الحديث النبوي: (وإنما تنقلون من دار إلى دار)، ويقولها الإنسان المحتضر عند سوقه إلى الممر الذي يؤدي به إلى البرزخ، والآيات والروايات الدالة على الحياة البرزخية أكثر من أن تحصى. فالصد عن زيارة القبور صدٌّ عن التوجه إلى الآخرة ودعوة إلى العكوف على الدار الدنيا الذي هي مرام الدهريين، وقد تكرر في القرآن الكريم التعبير عن الموت بأنه وفاة وتوفي والوفاء هو التمام والإتمام واستيفاء التمام كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾[٤].

فالتعبير بتوفته أي أنهم يستوفون تمام ذات الإنسان من دون نقص، أي أن تمام

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٤.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٧.

حقيقة ذاته تستوفيها ملائكة الموت ولا يبقى منها شئ في دار الدنيا بل ينتقل بتمامه إلى البرزخ ومن ثَم فذات الإنسان لا تتبدد ولا تفنى كما يزعم هؤلاء المنكرون للدار الآخرة، وقد أطلق على نفس هذا الفعل أنه نزعٌ أي نزعٌ للروح عن البدن وانتقال بها إلى بدن برزخي كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾[1].

وأطلق على السَوق الانتقال والحركة أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾[3]، فيشير إلى نزع الروح وبلوغها التراقي حين الموت وأنه حينئذٍ تساق ذات الإنسان وروحه إلى الله فلا تفنى ولا تتبدد، ولو أردنا أن نخص الآيات في ذلك لطال بنا المقام فهؤلاء في دعوتهم للصد عن زيارة القبور يصدون عن سبيل الآخرة ويزعجهم ويؤرقهم تذكر الآخرة فجحودهم لزيارة القبور بمثابة أنكار عملي للبرزخ والآخرة، فيريدون من الناس العكوف على دار الدنيا والالتهاء بها والغفلة عن دار الجزاء والغفلة عن الموت والانشغال بمتاع الدنيا فكم هي دعوة هدَامة يُروج لها أبناء الدنيا لمحاربة أبناء الآخرة وقد أشير في الحديث_النبوي المتقدم إلى الحكمة من زيارة القبور انها تذكر الآخرة أي تذكر البرزخ وأنتقال الموتى إليه وأن القبور بمثابة نوافذ وأبواب وطرق وقنوات تربط بالبرزخ فهؤلاء في صدهم من زيارة القبور يصدون عن تذكر الآخرة وعن التفكير فيها.

وأما الحديث فدلالته على عكس مطلوبهم، فأن دعاء الولد الصالح للأب الميت يفيد الميت وهذا لا يختص بدعاء الولد بل بكل صالح يستجاب دعاؤه في حق الميت بل بكل صالح يدعو للميت كما ورد في الرواية النبوية عن أبي هريرة عنه ﷺ: (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها بصلاتي عليها). فهذا أصل وبابٌ يدل الحديث الشريف على انتفاع الميت بدعاء الصالحين بل أن الإنسان قد يستفيد من عمل الأموات إذا كانوا صالحين كما دلت عليه الآية الشريفة: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

---

(١) سورة النازعات، الآية: ١.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٦.

صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾﴾[١].

الدليل الثاني و الثالث والرابع لاشتماله على ثلاثةِ ألسن:

اللسان الأول: هو هدم القبور: ومنها رواية أبي الهياج الأسدي رواها أحمد بن حنبل في مسنده: (حدثنا وكيعٌ حدثنا سُفيان، عن حبيبٍ، عن أبي وائلٍ، عن أبي الهيـاج الأسدي، قال قال لي علي أبعثكَ على ما بعثني عليه رسُولُ الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمستهُ ولا قبراً مُشرفاً إلا سويتهُ)[٢].

رواه أيضاً مسلم [٣].

والنسائي [٤].

والحاكم النيسابوري [٥].

التقريب: الاستدلال الذي ذكروه هو أن النهي ورد في سياقٍ واحد مع النهي عن التماثيل التي تتـخذ كأصنام وأوثان مما يدل على أن مناط النهي هو الشرك الموجود في كلا موردي النهي فاستدل بهذا الاستدلال ابن تيمية في كتاب منهاج السنة ومحمد عبد الوهاب في كتابه كشف الشبهات.

كما ورد في كتُبُنا ومصادرُنا شبيه لهذه الرواية كما هو في كتاب الوسائل:

محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن ابيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال أمير المؤمنـين (علـيه السـلام): (بعثـني رسول الله ﷺ إلى المـدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها، ولا قبراً إلا سويته، ولا كلباً إلا قتلته[٦].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٢.
(٢) أحمد بن حنبل: المجلد ١ مسند علي بن أبي طالب.
(٣) صحيح مسلم ج٣: في باب الأمر بتسوية القبر.
(٤) النسائي: كتاب الجنائز: باب الساعات التي نهى عنها أقبار الموتى.
(٥) الحاكم في المستدرك ج١: في باب صفة قبر النبي.
(٦) الكافي ٦: ٥٢٨/ ١٤، أورد أيضاً في الحديث ٨ الباب ٣ من المساكن.

قال صاحب الوسائل: وتقدم الأمر بالتربيع القبر [١].

اللسان الثاني والثالث: هو لعن زائري القبور والمتخذينها مساجد:

منها: ومن أدلتهم على الحرمة هذا الحديث رواه ابن داود في سننه باب زيارة النساء القبور: (حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا شُعبة، عن محمد بن جُحادة، قال سمعتُ أبا صالح، يُحدث عن ابن عباس قال لعن رسول الله ﷺ زائراتِ القُبور والمتخذين عليها المساجد والسرُج)[٢].

وقال الحاكم النيسابوري في المستدرك بعد روايته لهذه الرواية (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)[٣].

وما رواه أحمد في مسنده بأكثر من طرق (قال سمعتُ رسُول الله (صلى الله عليه وسلم) يقُول ان مَنْ البيان لسحرا وشرار الناس الذين تدركهُم الساعة أحياءٌ والذين يتخذون قبورهم مساجد)[٤].

وما رواه مسلم والبخاري (ألا وأن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذُوا القبور مساجد أني أنهاكم عن ذلك)[٥].

ثم قال (الترمذي) فقد رأى بعض أهل العلم أن يرخص النبي ﷺ فلما رخص دخل في رخصتهِ الرجال والنساء وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن. باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء[٦]. ثم عقد باب ما جاء في زيارة القبور للنساء وروي في زيارة عائشة لأخيها عبد الرحمن .

---

(١) تقدم ما يدل عليه في الحديث ٥ الباب ٩ من صلاة الجنائز وعلى حكم التسوية في الحديث ٢٢ الباب ٥ منها والحديث ٥ الباب ٢١ من هذه الأبواب وعلى حكم التربيع في الباب ٣١ من هذه الأبواب.

(٢) سنن ابن داود: باب في زيارة النساء القبور ج٢.

(٣) المستدرك ج١ : باب الأمر بخاع النعال في القبور.

(٤) مسند أحمد ج١ : مسند عبد الله بن مسعود (رض).

(٥) صحيح مسلم ج٢ : باب فضل بناء المساجد والحث عليها.

(٦) سنن الترمذي ج٢ : باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء.

الجواب على الاستدلال بهذه الأحاديث:

أن هذا الاستدلال عجيبٌ وغريب لأنه مبني على مقدمات مزعومة في ظهور الحديث خلافية غير مسلم بها فإن الحديث له وجوه متعددة من الدلالة ذُكرت عند علماء الفريقين أضعفها ما ذكروه وما استدلوا به.

فكيف يبنون عقيدة يكفرون بها طوائف المسلمين مبنية على مثل هذه الدلالة الاحتمالية والهلوسة في الاستظهار وعلى تخرصات ظنية ما أنزل الله بها من سلطان مع أن التكفير لا يبنى على دليل ظني تام فضلاً عن دلالة أحتمالية وهمية بل ولا على الدليل القطعي النظري بل ولا على القطعي الضروري ما لم يكن ضروريا تنتفي معه الشبهة فهم يخرجون عن ميزان الملة في منهاج الاستدلال في الشريعة و قواعد الدين.

أزمة منهج الاستظهار عند السلفية:

أولاً: أن مورد النهي والأمر بطمس التماثيل والصور كما في رواية النسائي (ولا صورة في بيتٍ إلا طمستها) ليس خاصاً بالأصنام والأوثان بل الظاهر عدم إرادة الأصنام والأوثان لأنه البعث الحاصل لأبي الهياج كان في خلافة علي عليه السلام ولم يكن بعثه إلى ديار المشركين إذ لو كان البعث إلى ديار المشركين لكان أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال المشركين أولاً حتى يقروا بالشهادتين، بينما لم يتضمن أمر النبي صلى الله عليه وآله لعلي ذلك ولا أمر علي لأبي الهياج كذلك، وهذا مما يعزز أن الأمر بطمس التماثيل في البيوت هو لكراهتها ولحرمة صنع التماثيل والصور لذوات الأرواح والأمر بالطمس والنهي عن الصور والتماثيل بعيدان كل البعد عن بحث الشرك.

ثانياً: لو سلمنا أن النهي عن الصور والتماثيل بطمسها وارد في مورد الأصنام والأوثان فما هو صلة الأمر بتسوية القبور بذلك، إذ وحدة السياق لا تدل على وحدة المتعلق في النهي بل غاية ما يتشبث في الوحدة هو بالسياق الذي هو أضعف القرائن وهو لأجل تحديد مفاد الحكم من كون الحكم الإلزامي أو الندبي أو الكراهتي في الجمل المتعاقبة، وأما أن متعلق النهي والأمر أن سببهما واحد فهذا مما لا سبيل إلى استفادته من وحدة السياق وهي مغايرة لوحدة المتعلق ومن ثم لا صلة بين النهيين

والأمرين، ألا ترى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾[١].

فهل لأحدٍ أن يستظهر أن الأمر بالإحسان إلى الوالدين من أحكام العقيدة والاعتقاد فضلاً أن يكون من أركان التوحيد كي يكفر به العاق لوالديه، بل ليس الأمر بالإحسان إلى الوالدين حكماً وجوبياً بل أن الإحسان للوالدين محمول على الندب، نعم عقوق الوالدين محرم من الكبائر ولكن ليس من أحكام مسائل العقيدة.

فالمحرم في الوالدين هو جهة العقوق لهما لا وجوب كافة درجات الإحسان لهما ومن ثَم أستظهر في الحديث أن تسوية القبر المشرف ذي الشرفة محمول على الكراهة إلى غير ذلك من موارد الاستعمال الكثيرة المعطوف فيها الأمر الفرعي على الأمر الإعتقادي في موارد استخدام القرآن الكريم.

ثالثاً: أن الأمر بتسوية القبور في مقابل إشرافها قد استظهر منه الكثير إرادة تسطيح القبور في مقابل تسنيمها وقد حكاه ذلك ابن تيمية نفسهُ في كتابه منهاج السنة عن جملة من علماء السنة[٢] وقد ألتزم ابن تيمية بذلك.

كما أنه قد حكى النووي في شرح مسلم[٣] قوله (يأمرُ بتسويتها) وفي رواية الأخرى (ولا قبراً مشرفاً إلا سويتهُ) فيه أن السنة أن القبر لا يرفع على الأرض رفعا كثيرا ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح و هذا مذهب الشافعي ومن وافقهُ، ونقل القاضي عياض عن أكثر العلماء على أن الأفضل عندهم تسنيمها وهو مذهب مالك قوله (أن لا تدع تمثالا الا طمسته) فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح.

كراهة ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنة لا الحرمة:

ومن كلامهُ يتقرر جملة من الأمور:

منها: أن جمهور علماء سنة الجماعة لم يحملوا الأمر بالتسوية على اللزوم بل حملوه على الندب لذلك ذهب أكثرهم إلى القول بالتسنيم مخالفةً للروافض من

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) منهاج السنة لأبن تيمية ج٢: ١٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي باب (اللحد ونصب اللبن على الميت) ج٧.

أتباع أهل البيت عليهم السلام، فمن الغريب بعد ذلك أدعاء السلفية و الوهابية أن الأمة مجمعة على بدعية رفع القبور ولزوم تسويتها وقد مر في كلام النووي أيضاً أنه الافضل لا اللزوم وكذلك عند مذهب الشافعي رفع القبر على نحو شبر وهو حمل التسوية على التسطيح.

ومنها: أن صريح كلام النووي أن الأمر بطمس التمثال هو في الصور ذوات الأرواح لا في الأوثان والأصنام[١].

وقال العيني في عمدة القارئ في شرح البخاري في مسألة تسنيم القبر وتسطيحهُ وقبر أبي بكر وعمر مسنعيين، ورواه أبو نعيم في (المستخرج): (وقبر أبي بكر وعمر كذلك)[٢].

وقال إبراهيم النخعي: أخبرني من رأى قبر النبي صلى الله عليه وآله وصاحبيه مسنمة ناشزة من الأرض عليها مرمر أبيض، وقال الشعبي رأيت قبور شهداء أحد مسنمة وكذلك فعل بقبر عمر وابن عباس وقال الليث حدثني يزيد أبي حبيب أنه يستحب أن تسنم القبور ولا ترفع ولا يكون عليها تراب كثير، وهو قول الكوفيين والثوري ومالك وأحمد واختاره جماعة من الشافعية منهم المزني فقال: أن القبور تسنم لأنها أمنع من الجلوس عليها وقال أشهب وأبن حبيب: أحب إلي أن يسنم القبر وأن يرفع فلا بأس، وقال طاووس كان يعجبهم أن يرفع القبر شيئاً حتى يُعلم أنه قبر، وأدعى القاضي حسين أتفاق أصحاب الشافعي على التسنيم، ورد عليه بأنه جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح، كما نص عليه الشافعي، وبه جزم الماوردي وآخرون.

وفي (التوضيح): وقال الشافعي: تسطح القبور ولا تبنى ولا ترفع وتكون على وجه الأرض نحوا من شبر قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله سطح قبر أبنه إبراهيم عليه السلام ووضع عليه الحصباء ورش عليه الماء[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي باب (اللحد ونصب اللبن على الميت) ج٧ص ٣٦.

(٢) تحفة الأحوذي المباركفوري باب ما جاء في تسوية القبر ج٤: ١٣٠، عمدة القارئ للعيني ج٨: ٢٢٤.

(٣) عمدة القارئ ج٨: ٢٢٤.

وأن مقبرة الأنصار والمهاجرين مسطحة قبورهم: وروى عن مالك مثله واحتج الشافعي أيضاً بما روى الترمذي عن أبي الهياج الأسدي، وأسمه: حيان.قال لي علي إلا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: (أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته)(١).

وكما جاء في سنن أبي داوود: (حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن أبي فديك، أخبرني عمرو بن عثمان بن هاني، عن القاسم، قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه اكشفي لي عن قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وصاحبيهِ، فكشفتْ لي عن ثلاثة قبورٍ لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء قال أبو علي: قُال إن رسول الله ﷺ مُقدم(٢).

وفي (المغني): واختار التسنيم أبو علي الطبري وأبو علي بن أبي هريرة والجويني والغزالي والروياني و السرخسي وذكر القاضي حسين اتفاقهم عليه، ثم فسر حديث الترمذي أن المراد من المشرفة والمذكورة فيه (الحديث) هي المبنية التي يطلب بها المباهاة(٣).

ثم نقل قول السرخسي: أن التربيع من شعار الرافضة، وقال ابن قدامه: التسطيح هو شعار أهل البدع فكان مكروهاً.

وقد حكى الشوكاني في نيل الأوطار قريب من هذا الكلام وذكر في زمن إمارة خلافة عمر بن عبد العزيز على المدينة بُني القبر من قبل الوليد بن عبد الملك وصيروها مرتفعة(٤).

وقال ابن حجر في فتح الباري وما يكره من الصلاة في القبور يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين(٥).

---

(١) عمدة القارئ ج٨: ٢٢٤.

(٢) سنن أبي داود: باب الجنائز باب الميت يصلى على قبره بعد حين ج٢.

(٣) عمدة القارئ ج٨: ٢٢٤.

(٤) نيل الأوطار ج٤: باب اختلاف العلماء في أفضلية تسنيم القبر أو تسطيحه.

(٥) فتح الباري: باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ج١.

وفي حديث رواه مسلم من طريق أبي مرثد الغنوي مرفوعاً قال قال رسول الله: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)[١].

(قلتُ وليس هو على شرط البخاري فأشار إليه الترجمة وأورد معه اثر عمر الدال على أن النهي عن ذلك لا يقتضي فساد الصلاة وذكر تمادي أنس في استمرار الصلاة عند القبر ولو كان ذلك يقتضي فسادها لقطعها)[٢].

أقول: يظهر من ابن حجر وغيره إن المشهور عند علماء السنة عدا الفرقة الوهابية والسلفية حمل اللعن على الكراهة وتفسير اللعن بمعنى البعد عن رحمة الله[٣] نظير ما ورد في كراهة الأكل منفرداً والنوم وحده لقوله ﷺ: (لعن الله من أكل وحده وسافر وحده ونام وحده) فأن مطلق اللعن كما هو الحال في مطلق النهي يستعمل بكثرة في الكراهة وهذا مما يشير إلى الأزمة بين الوهابية وسائر المسلمين في منهجهم الحشوي في الاستظهار من الألفاظ في الروايات الواردة.

لكن مر في كلام العيني أن قبره ﷺ كان مبنياً ومرتفعاً في الصدر الأول.

أقول: يستفاد من كلامهما جملة أمور:

منها: أن جمهور علماء السنة عدا السلفية (سواء المذاهب الأربعة أو غيرهم) لم يذهبوا إلى كون الأمر بالتسوية عزيمة أي إلزاميا ومن ثم سوغوا التسنيم أو سوغوا الارتفاع مقدار شبر.

ومنها: أن قبر النبي ﷺ كان مبنياً وفي البنية ارتفاع في الصدر الأول وأعيد بناؤه عدة مرات في القرن الأول والثاني مع اختلاف في درجات الارتفاع، وكذلك قبر عمر وأبي بكر والمهاجرين والأنصار وقبور شهداء أحد.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجنائز: باب الصلاة على جنازة في المسجد ج٣.

(٢) فتح الباري: باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ج١.

(٣) إذ اللعن درجات أي أن البُعد عن ساحة رحمته تعالى درجات متفاوته كما أن القرب درجات أيضاً في مقابل البعد، وبعبارة أخرى أن الأفعال في تسبيبها وتأثيرها للبعد عن رحمة الله تعالى هي متفاوته شدة وضعفاً بحسب شدة البعد وقلته فالبُعد الحاصل من المكروه الضعيف أقل من الحاصل من المكروه الشديد وهو أقل من الحاصل من الحرام وهو أقل من الحاصل من الكبيرة وهو أقل من الحاصل من الكفر وهو أقل الحاصل من الجحود والعناد.

ومنها: أن جملة منهم حمل النـهي عن إشـراف القبر مع كـونه تزيهياً على ما لو أُريد المباهاة والخيلاء وأين هذا من ما لو أُريد الشعيرة الدينية وذكر النبي ﷺ وأهل بيتهِ.

اختصاص هدم القبور بالمشركين:

كما روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة فقد روى في جملة من مصادرهم عن علي ﷺ قال: (كان رسُول الله ﷺ في جنازة فقال أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا قبراً إلا سواهُ ولا صورة إلا لطخها فقال رجُل أنا يا رسُول الله فانطلق فهاب أهل المدينة فرجع فـقال علي ﷺ أنا أنطـلق يا رسُول الله فانطلق ثم رجع فقال يا رسُـول الله لم ادع بها وثناً إلا كسـرته ولا قـبراً إلا سويتهُ ولا صورة إلا لطختها ثم قال رسُول الله ﷺ من عـاد لصنـعة شيءٍ من هذا فقد كـفر بما أنزل على محمد ﷺ)[١].

سبب نسخ النهي عن زيارة القبور:

والحديث بهذه الألفاظ ظاهرٌ في مورده وهو خصـوص قبور المشركين كما هو مورد جمـلة من الأحـاديث التي أستدل بها في المقام، كما هو الحـال في الحـديث الآتي النـهي عن زيارة القـبور ثم نسـخ بالأمر في زيارتها، وفي الحقـيقة أن النسـخ من باب تبديل الموضـوع فإن النـهي الأول عن زيارتها في صدر الإسلام كان في مورد خصـوص قبور المـشركين بخـلاف الأمر بزيارة القبـور فإنه لقـبور المسلـمين المـوحدين ولذلك كان سيرته ﷺ كما يأتي في حـديث زيارة قبور المسلمين في بقيع الغرقد وفي بعض الروايات كان يزورهم كل ليلة.

وسوف نذكر جملة من القرائن الروائية على اختصـاص النهي بقبـور المـشركين وما روى مستفيـضاً من قوله ﷺ كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، وروى النسائي في سننه (باب زيارة القبور) بألفاظ أخرى وكذلك الشهيد الأول[٢].

---

(١) مسند أحمد: مسند علي بن أبي طالب ج١.

(٢) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ج٢: البحث الخامس: زيارة القبور.

كما روى ابن ماجة حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهبٍ، أنبأنا ابن جُريح، عن أيوب بن هانئ، عن مسروق بن الأجدع، عن ابن مسعود، أنَ رسُول الله ﷺ قال: (كنتُ نهيتكم عن زيارة القُبور فزُوروا القُبور فإنها تزهدُ في الدنيا وتذكرُ الآخرة)[١].

كذلك ما ذكره عن ابن أبي مليكة عن عائشة: (أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور).

اتفاق جمهور السنة على رجحان زيارة القبور:

ورواه الترمذي في باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور: (قال رسُول الله ﷺ قد كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فقد أُذن لمُحمدٍ في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذُكر الآخرة). قال وفي الباب عن أبي سعيدٍ وابن مسعودٍ وأنس وأبي هُريرة وأم سلمة. قال أبو عيسى حديثُ بريدة حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بزيارة القُبُور بأساً. وقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق[٢].

ومن ثم عُرف عندهم بنسخ النهي عن زيارة القبور إلى الأمر بها وإذا أمعنا النظر في ذلك وما رواه الفريقان من الأمر بزيارتها بعد النهي عنها يظهر منه أن ذلك لتبدل الموضوع وان النهي السابق في صدر البعثة النبوية إنما كان متعلقاً بقبور المشركين وأهل الجاهلية، وأن الأمر بزيارة القبور إنما هو بقبور المسلمين والموحدين ويعضد هذا الاستظهار السبق واللُحُوق الزمني.

ويعضد هذا الاستظهار أيضاً ما رواه البخاري من أمره ﷺ بنبش قبور المشركين أي تسويتها بالأرض وإعفاء أثرها واتخاذ المساجد عليها بعد ذلك وعقد باباً تحت عنوان هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد[٣].

الحكمة في الأمر بهدم قبور المشركين:

فيظهر من مجموع الروايات أن النهي عن الاحتفاء بالقبور في أوائل البعثة النبوية أو عندما بعث علياً إلى اليمن في بداية عهدهم للإسلام أو عندما بعث عليُ

---

(١) سنن ابن ماجة: باب زيارة القبور ج١.

(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ج٢.

(٣) باب هجرة النبي واصحابه إلى المدينة، ج٤.

أبا الهياج إلى بعض الأطراف الداخلة لتوها في الإسلام و الأمر بهدم القبور المبنية أو المشرفة (المرفوعة) والأمر بإعفائِها وطمسها هو لأجل قطع العلاقة بين الجيل الأول الداخل في الإسلام عن الجيل السابق من أقوامهم الذين كانوا على شرك الوثنية لكي لا يتأثر أهل القبور من ذويهم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[٢].

فالآيتان تُنصانِ على الفصل بين الموتى وقبور المشركين وموتى وقبور المؤمنين فإنه لا يجوز التردد والقيام والاحتفاء بقبور النمط الأول بخلاف النمط الثاني فإنهما دالتانِ على مفروغية عبادية زيارة القبور والقيام عندها والدعاء وأنه سنة في أصل الشريعة فإن لسانهما كالاستثناء من العموم السابق المقدر، مضافاً إلى اشتمالهما على التعليل للنهي عن زيارة قبور المنافقين بأنهم كفروا واشركوا والتعليل يخصص ويفيد التفصيل.

وقد يُشكل في دلالة آية القيام على القبر:

الأشكال الأول: إنها ليست في صدد تفصيل في الزيارة للقبور لأن عنوان الزيارة غير عنوان القيام على القبر.

الأشكال الثاني: أن القيام على القبر فعلٌ يؤتى به عقب الدفن للصَلاة على الميت لا مطلقاً.

وضوح دلالة الآيتين على سنة زيارة القبور:

الجواب على ذلك: بأن هذا القول مكابرة واضحة فإن الزيارة إلى القبر ليست إلا الذهاب إلى القبر والكون عنده سواء في حالة الوقوف أو الجلوس أي (الإقامة عنده) والقيام عند القبر لا يتحقق إلا بالذهاب إليه و الكون عنده قريباً سواء كانت

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

الحالة وقوفاً أو جلوساً فوحدة المراد بين العنوانين من الكناية المستعمل فيها لفظ البعض أو الغاية مع أرادة الكل والمغيى.

ولكي يتضحُ هذا المطلب نقول بأن القيام عند القبر غاية للذهاب الذي يحصل به مقدمة الزيارة كما إنه بعضٌ من مجموع فعل الزيارة وهذا نظير ما ورد في كتاب الحج من لفظ الوقوفين في عرفات والمزدلفة فإن المراد منه الكينونة في ذينك المكانين لا خصوص الوقوف مقابل الجلوس، والحاصل أن النهي عن القيام على قبور المنافقين إنما هو بلحاظ الدعاء لهم والترحم عليهم نظير مفاد الآية الأولى وهذا الأمر يُمارس عند زيارة القبور وليس المنهي عنه هو الوقوف المجرد ولا يلتزم أحد بحرمة الوقوف المجرد عند قبور المشركين و الاقتراب منها بل الغاية هو التحريم بلحاظ الاستغفار والترحم والدعاء لهم وهو عمدة ما يمارس في زيارة القبور حتى في صيغة التسليم على أهل القبور فإنه نمط من الدعاء والترحم والدعاء بالسلامة والأمن والتحية لهم، ومنه يظهر الجواب على الأشكال الثاني بأن الدعاء والتسليم على الميت لا يختص بمراسم الدفن فقط بل مستمر ما دام قبر الميت.

فإنه قد روي مستفيضاً زيارته ﷺ للبقيع كل أسبوع وتسليمه عليهم والدعاء لهم وقراءته الحمد وأنها تُنيرُ وتزيلُ ظلمةُ قبورهم فقيامه ﷺ على القبور غير مخصوص بمراسم الدفن وكذلك ما كانت تفعله سيدة النساء فاطمة المطهرة الصديقة من زيارتها لقبر سيد الشهداء حمزة أو شهداء أحد، ثم أن هناك فائدة حكاها الآلوسي في روح المعاني عن السيوطي وهي دلالة هذه الآية ودلالة زيارته ﷺ لأمه آمنة بنت وهب على كونها من الموحدين حيث أنه قد ورد في الحديث تكرار زيارته ﷺ لوالدته مرة في عام الحديبية، ومرة بعد غزوة تبوك عند رجوعه منها كما سيأتي في الفصل الرابع في أدلة الوجوب.

الحكمة في النهي ثم الأمر بزيارة القبور:

وقال العيني في عمدة القارئ ومعنى النهي عن زيارة القبور إنما كان في أول الإسلام عند قربهم بعبادة الأوثان واتخاذ القبور مساجد، فلما استحكم الإسلام وقوي في قلوب الناس وأمنت عبادة القبور والصلاة إليها نسخ النهي عن زيارتها لأنها تذكر

الآخرة وتزهد في الدنيا، وقال قبل ذلك وفي (التوضيح) أيضاً: الأمة مجمعة على زيارة قبر نبينا ﷺ[١].

ويعضد ذلك أيضاً ما رواه الفريقان من زيارته ﷺ لقبر أمه آمنة بنت وهب جملة أخرى من روايات المستدل بها على الحرمة: ومن أدلتهم على الحرمة هذا الحديث روي ابن داود في سننه: (حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن محمد بن جحادة قال سمعتُ أبا صالح يحدث عن ابن عباس قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)[٢].

كما جاء في الترمذي: (حدثنا قتيبة أخبرنا أبو عوانه عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور)[٣].

وقال الحاكم النيسابوري في المستدرك بعد روايته لهذه الرواية: (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور المتخذين عليها المساجد والسرج)[٤].

الحكمة في نهي النساء عن زيارة القبور مقيدة:

وفي تحفة الأحوذي: (ويؤيد الجواز ـ أي في زيارة النساء للقبور حديث أنس قال مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري.. فإنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره حجة)[٥].

وعلى هذا يدل أن نهي النساء عن زيارة القبور لأجل جزعهن وعدم جلدهن[٦] وتبرمهن من قضاء الله وقدره وما يصاحب ذلك من بعض المفاتن، وإلا مع أمن كل ذلك وكون زيارتهن لإحياء ذكرى معالم الدين وذكريات حجج الدين وأيامهم الخالدة فإن ذلك شعيرة عظيمة البتة.

---

(١) عمدة القارئ ج٨: ٧٠.
(٢) سنن ابن داود: باب في زيارة النساء القبور ج٢.
(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ج٢.
(٤) الحاكم النيسابوري: باب الأمر يخلع النعال في القبور ج١.
(٥) تحفة الأحوذي: ما جاء في كراهية زيارة النساء للقبور: ١٨٥.
(٦) أحكام الجنائز للألباني باب استدلال حافظ به على زيارة النساء للقبور: ١٨٥.

زيارة فاطمة بنت النبي لقبر حمزة:

كما رُوي البيهقي في السنن الكبرى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه: (ان فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده)[١].

وقال الحاكم في المستدرك: (هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات (رواية فاطمة) وقال وقد استقصيت في الحث على زيارة القبور تحريا للمشاركة في الترغيب وليعلم الشحيح بذنبه انها سنة مسنونة)[٢] وذكره ابن الحجر العسقلاني في تلخيص الحبير[٣] والشوكاني في نيل الأوطار[٤] وقد مر في كلام جملة من الأعلام بأن النهي عن زيارة القبور هو بسبب الجزع وعدم الصبر على ذلك.

وفي الترمذي عن ابن عباس وحسان بن ثابت قال أبو موسى هذا الحديث صحيح فقد رأى بعض أهل العلم أن يرخص النبي ﷺ فلما رخص دخل في رخصتهِ الرجال والنساء وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن[٥].

كما جاء في سنن النسائي: (عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه كان في مجلس فيه رسول الله ﷺ فقال إني كنت نهيتكم أن تأكلوا لحوم الأضاحي... ثم قال ونهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرا)[٦].

فيدل على أن النهي عن زيارة النساء للقبور أو غيرهن محمولٌ على خوف وقول ما يسئ الكلام مع قضاء الله من التذمر من قضاء الله وقدره ونحو ذلك.

وذُكر في تحفة الأحوذي قوله (لعن زوارات القبور) قال القرطبي هذا اللعن إنما هو في المكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة ولعل السبب ما يفضي إليه

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: باب ما يقول إذا دخل مقبرة ج٤.
(٢) المستدرك الحاكم النيسابوري: باب كانت فاطمة (رض) تزور قبر عمها كل جمعه ج١.
(٣) تلخيص الحبير: باب المستحب في حال الأختيار أن يدفن كل ميت في قبر ج١.
(٤) نيل الأوطار: باب تفصيل حكم زيارة القبور للنساء ج٤.
(٥) سنن الترمذي: باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ج٢.
(٦) سنن النسّائي: باب الساعات التي نهى عن إقبار الموتى فيهن ج٤.

ذلك من تضييــع حق الزوج ومـا ينشـأ منهن مـن الصياح ونحو ذلك فقد يقال إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الاذن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء.

نسـخ كل من النهي عن زيارة القبور والنهي عن عمارتها:

وقال الشـوكاني في النيل وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتـماده في الجمع بين أحـاديث الباب المتـعارضة فـي الظاهر [١].

قال وهذه الأحاديث المروية في النهي عن زيارة القبور منسوخة والناسخ لها حديث علقمة بن مـرثد عن سليمان عن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ: (قد نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها) قد أذن الله لنبيه ﷺ في زيارة قبر أمه وهذا الحديث مخرجٌ من الكتابين الصحيحين للشيخين.

أقول: فيظهر من الحاكم أن الأمر بزيارة القبور قد نسـخ كلاً من النهي عن زيارتها ونسخ النهي عن عمـارتها كما أنه يظهر مما حكاه الترمذي عن بعض أهل العلم وما ذكر القرطبي والشوكاني أن النهي عن زيارة القبور واتخاذ السرج والمساجد عليها هو لأجل الجزع والتبرم من قضاء الله وقدره والظاهر من كثرة العكوف عليها، ومن الواضح أن كل هـذه المعاني بعيدة عن شعــيرة عمــارة قبر النبي ﷺ وقـبور أهل بيته عليهم السلام.

الدليل الخامس: الروايات الواردة الناهية عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

منها: عن النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) صحيح البخاري[٢].

فقد روي عن عائشة: (قالت لما اشتكى النبي ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله[٣].

(١) تحفة الأحوذي: باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ج٤.

(٢) صحيح البخاري: باب مرض النبي ووفاته: ج٥.

(٣) صحيح البخاري: باب في الجنائز ج٢.

وفي مسند أحمد بن حنبل:

عن عبيد الله بن عبد الله، وعن عائشة، أنهُما قالا لما نُزل برسول الله ﷺ طَفق يُلقي خَمِيصةً على وجههِ فلما اغتمَ رفعناهَا عنه وهو يقولُ لعن الله اليهُود والنصارى اتخذُوا قبور أنبيائهم مساجد تقولُ عائشة يُحذرُهُم مِثْلَ الذي صنُعوا[١].

وروي الدارمي في سننه بألفاظ أخرى عن ابن عباس وعائشة قالا لما نزل بالنبي ﷺ طفق يطرح خميصه على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا)[٢].

وروى احمد في مسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٣].

وروي عن عائشة قالت قال رسول ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى فإنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي ان يتخذ مسجدا)[٤].

وروي عن مالك في الموطأ عن زيد أبن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد أشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). قال ابن عبد البر لا خلاف عند مالك في إرسال هذا الحديث[٥].

ورواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، قال قَال رسُول الله ﷺ: (لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيُوتكم قُبوراً وحيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتُكم تبلغني)[٦].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا تجعلوا

---

(١) مسند أحمد: مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

(٢) سنن الدارمي: باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ج١، السنن الكبرى ج ١ ذكر ما كان يفعله رسول الله في وجه.

(٣) مسند أحمد: مسند أبي هريرة، ج٢.

(٤) مسند أحمد: حديث السيدة عائشة ج٦.

(٥) الموطأ: باب جامع الصلاة ج١، ح ٤١٤.

(٦) مسند أحمد: مسند أبي هريرة ج٢.

بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)[١].

وروي في مجمع الزوائد للهيثمي عن أبي عبيدة قال كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أخرجوا يهود أهل نجران من جزيرة العرب اعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. رواه أحمد بإسنادين[٢].

وروي الهيثمي باب قوله (لا تجعلن قبري وثنا) عن أبي هريرة قال (لا تجعلن قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أبو يعلي وفيه إسحاق بن أبي إسرائيل[٣].

وحديث عائشة رواه النسائي أيضاً في سننه[٤].

وما رواه البيهقي في سننه في باب النهي عن الصلاة إلى القبور وكذلك في مجمع الزوائد عن أسامة بن زيد[٥].

ويؤيد ذلك ما روى من قول ابن عباس في ذيل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[٦].

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع كانت لهذيل وأما يغوث كانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع.

فهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحي الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت[٧].

---

(١) سنن ابي داود: باب زيارة القبور ج١، ح ٢٠٤٢.
(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: باب في جزيرة العرب واخراج الكفرة ج٥.
(٣) مجمع الزوائد للهيثمي: باب قوله لا تجعل قبري وثناً ج٤.
(٤) سنن النسّائي: باب اتخاذ القبور مساجد ج٤.
(٥) مجمع الزوائد: باب في الصلاة بين القبور واتخاذها مساجد ج٢.
(٦) سورة نوح، الآية: ٢٣.
(٧) صحيح البخاري: باب سورة قل أوحي إلي ج٦.

وأعترف ابن تيمية في منهاج السنة ان النهي عن عبادة الأصنام وهو اتخاذ قبره وثناً أي نصب التماثيل كأصنام على القبر [١].

الجواب بالاستدلال على هذه الأحاديث:

أن لسان هذه الروايات رادعة عن اتخاذ الأوثان من الصور والتماثيل التي على هيئة رسم صاحب القبر من الأنبياء أو الصالحين، فتُتخذ تلك التماثيل والصور أصناماً تعبد كآلهة على نسق ما يفعله المشركون هي بعيدة كل البعد عن عمارة قبر النبي ﷺ واتخاذ قبره وروضته مكاناً لعبادة الله والتوجه به إلى الله و المراد من هذه الروايات ذلك دون عمارة قبر النبي ﷺ وتشعيره موطناً عبادياً ويدل على ذلك ما ورد في جملة من القرائن.

منها: ما سيأتي في أدلة وجوب عمارة قبر النبي ﷺ من تشعير قبره مشعراً عبادياً كما في قوله ﷺ المستفيض المتواتر: (ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة) ومفاده الحث على اتخاذ قبره مشعراً لعبادة الله كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٢].

ومنها: ما سيأتي في أدلة الوجوب من الروايات الحاثة أكيداً على زيارة قبره الشريف وتوقيت فعل الحج بزيارته.

ومنها: ما مر في ألفاظ بعض هذه الطائفة من الروايات ـ التي استدلوا بها ـ من التصريح بأن هؤلاء الذين لعنوا قد صوروا على صور الأنبياء والصالحين تماثيلاً فعبدوها وهو مفاد ذكر لفظة تماثيل.

الحكمة في النهي عن جعل القبور محلا لسجود الصلاة:

ومن ثم حمل ابن حبان في صحيحه بعد ما روى عن ابن عباس أتى رسول الله ﷺ على قبر منبوذ فصلى عليه فصلينا معه قال أبو حاتم في هذا الخبر بيانٌ واضح أن صلاة المصطفى ﷺ على القبر إنما كانت على قبر منبوذ والمنبوذ ناحية فدلتك هذه

---

(١) منهاج السُنة ج١: ٢٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

اللفظة على أن الصلاة على القبر جائزة إذا كان جديدا في ناحية لم تنبش أو في وسط القبور لم تنبش فأما القبور التي نبشت وقلب ترابها صار ترابها نجساً لا تجوز الصلاة على النجاسة إلا أن يقوم الإنسان على شئ نظيف، ثم يصلي على القبر المنبوش دون المنبوذ الذي لم ينبش [١].

اتخاذ القبور مساجد اي السجود والصلاة عليها:

ومقتضى كلامهم أن كراهة اتخاذ القبور مساجد إنما يكره باعتبار القرب من احتمال النجاسة.

أقول: مما يعضدُ حمل النهي على أنه ما لو أُتخذ فوق القبر صور وتماثيل كالأوثان والأصنام وأن حديث عائشة المتقدم والنهي من قِبل النبي الأكرم هو تحذيرٌ للمسلمين مما صنع اليهود والنصارى مع أنبيائهم حيث ديدن فعلهم على رسم تصاوير كما هو نص الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾[٢] فيعبدون الصور.للسيد المسيح والسيدة العذراء مريم وهم يتخذونها آلهة ثلاثة مع الله ونظير هذه الطائفة ما رواه ابن حنبل في مسنده عن أبي عبيده: (قال آخر ما تكلم به النبي (صلى الله عليه وسلم) اخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب واعلموا ان شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٣].

وفي بعض طرق روايته عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً)[٤].

وأما الجواب التفصيلي عن الرواية الأولى: فقد تقدم أنها محمولة أما على فعل اليهود والنصارى من تأليه عيسى وعزير عليهما السلام حيث قالوا أنهما أبنا الله، وقد مر لسان تلك الأحاديث تفسير هذه الجملة بذلك.

---

(١) صحيح ابن حبان: باب إباحة الصلاة على قبر المدفون ج٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٧.
(٣) مسند أحمد، حديث أبي عبيدة بن الجراح، ج١.
(٤) مسند أحمد: حديث السيدة عائشة ج٦.

ويحتمل في معنى الرواية ما ذكره غير واحد من شراح الحديث من لعن الصلاة على القبور والوقوف برجليه عليه مما يوجب إزراء وهتك لصاحب القبر.

بناء قبر النبي ﷺ في الصدر الاول:

وأما الجواب على الرواية الثانية: فيفند الذيل الذي هو من كلام الراوي لا من الحديث المروي بأن أبراز قبره الشريف قد حصل منذ أول ساعة دفنه ﷺ، حيث أنه ﷺ دُفن في غرفتهِ المشتركة بينه وبين فاطمة (سلام الله عليها) وهي التي قُبض فيها وتعين دفنه ﷺ في موضع القبر بتدبير من أمير المؤمنين عليه السلام والظاهر إنه بوصيةٍ منه ﷺ وكان بمرآى جميع المسلمين من الصدر الأول والغرفة بنيان مرتفع بالجدران المحيطة من الجوانب الأربع محيطة بالقبر الشريف كإحاطة الضريح وشبابيك المشهد بالقبر وبالتالي فيكون دفنهُ في الغرفة من البدء هو تخصيص لُقبره الشريف وتشييدٌ وبناءُ حوله وإبراز وإظهار للقبر الشريف كمعلم وتشعير للموضع فضلاً عن التشعير الذي ورد في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾[1].

وقوله ﷺ: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)[2].

اتخاذ قبره وثنا هو بالقول بانه ابن الله أو بالقول بتعدد الآلهة:

ونظير ذلك مقالة اليهود من كون عزير هو ابن الله كما يعضد ذلك ما روته عائشة من إنه لولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، فإن قولها ذلك مع كون قبره مبرزاً بلحاظ بناء الحجرة التي جعل فيها القبر الشريف فيكون المراد من إبراز القبر واتخاذه مسجدا أي معبوداً وقبلةً بنصب تمثال وصورة.

كما يفعل النصارى في كنائسهم وجعل النبي عيسى عليه السلام إله فيستقبل تمثاله للعبادة كما أنه ليس كل استقبال عبادة إذا كان من دون تأليه وإلا لكان أمر القرآن الكريم لاستقبال مقام إبراهيم قبلة مع الكعبة هي عبادة لإبراهيم وحاشا القرآن عن ذلك.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

(٢) مسند أحمد: مسند أبي سعيد الخدري ج٣، حديث عبد الله بن زياد عاصم ج٤.

ومما يعضد هذا الحمل أيضا اقتران النهي عن اتخاذه وثناً بما فعلته اليهود والنصارى لقبور أنبيائهم فإن الاقتران بين الأمرين يدل على أن الجهة المنهية عنه في اتخاذ قبره وثناً ليس عمارة قبره الشريف لعبادة الله جنب القبر بل المراد عدم الانزلاق إلى ما فعله النصارى من تأليه الأنبياء والقول بأنهم ابناء الله أو ان الإله ثلاثة.

ومما يعضد ذلك عندهم ما رواه بطرق مختلفة منها ما جاء في سنن الكبرى للبيقهي: (حدثنا انس قال كنتُ يوما أصلى وبين يدي القبر لا اشعر به فناداني عمر القبر القبر فظننت يعني انه القمر فقال لى بعض من يليني إنما يعني القبر فتنحيت عنه). مما يعني إنه تقدم وصلى وجاز القبر (وفي رواية أخرى استمر في صلاته) لم يقطع صلاته[1].

وقد استدلوا به على عموم عدم إعادة الصلاة وإنها جائزة وإن كانت مكروهة[2].

وقد حكي ذلك في عمدة القارئ عن جماعة كثيرة مثل عبد الله بن عمر وجماعة من التابعين مثل الحسن البصري وحكي عن شرح الترمذي ومالك فيظهر منهم صحة الصلاة عند القبر والمقابر[3].

وقد مر في كلام أبن حجر بأنه (ولو كان ذلك يقتضي فسادها لقطعها) مما يعني ذلك بأن الصلاة إلى القبر وجعله قبلة ليس هو عبادة لصاحب القبر وتأليهاً وإلا لبطلت الصلاة قطعاً.

اتخاذ قبور الأنبياء أو الأولياء مساجد اي القول بتأليههم:

قوله وما يكره من الصلاة في القبور: يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر، أو إلى القبر، أو بين القبرين، وقال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد

(١) سنن الكبرى، باب النهي عن الصلاة إلى القبور، ج٢.

(٢) عمدة القارئ: ج٣: ١٧٢.

(٣) عمدة القارئ ج٤: ١٧٣.

التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد (في حديث جواز الحكاية)[١].

وحكي أصحابنا اختلافاً في الحكمة من النهي عن الصلاة في المقبرة فقيل: (المعني فيه ما تحت مصلاه من النجاسة) وحكي القاضي حسين: إنه لا كراهة مع الفرش على النجاسة مطلقاً وحكى ابن الرافعة في (الكفاية): أن الذي دل عليه كلام القاضي: أن الكراهة أنما لحرمة الموتى[٢].

ثم حكي عن القرطبي أن ما جاء في رواية اتخاذ الصور والتماثيل على قبور الصالحين قوله (إنما صور أوائلهم الصور ليأتنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم ثم خلف من بعدهم خلف جهلوا مرادهم ووسوس الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك، ولما احتاجت الصحابة، والتابعون إلى زيادة مسجده (عليه الصلاة والسلام) بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا تصل إليه العوام فيؤدي إلى ذلك المحذور. ثم ذكر العيني عن ابن بطال قوله إنما النهي عنه لاتخاذهم القبور والصور آله.

وحكي عن الشافعي وأصحابه القول بكراهة بناء المساجد على القبور ثم حكي البيضاوي حمل النهي على التأليه وقال وأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم له ولا للتوجه إليه فلا يدخل في الوعيد المذكور[٣].

بل أقول وكلماتهم شاهد على إرادة معنى التأليه من النهي المزبور لا بما فهمه السلفيون من عمارة قبر النبي وزيارته وعبادة الله عند قبره الشريف.

ويجاب أيضا على فرض التسليم بإيهام دلالتها أن أحاديث زيارة النبي (صلوات الله عليه) وعمارة قبره وأهل بيته مقدمة على إيهام دلالة هذه الروايات لوجوه:

---

(١) عمدة القارئ ج٤: ١٧٤. فتح الباري: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ج١.
(٢) عمدة القارئ، ج٤، ١٧٣.
(٣) المصدر السابق.

منها: أنها متواترة كمثل حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومضمونه قطعي ضروري بين المسلمين عبر الاجيال والقرون ومعتضدة بالسيرة القطعية للمسلمين من الصدر الأول بل بسيرة المسلمين في التعاطي مع قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقبور بقية الأنبياء في أراضي الشامات مضافاً إلى أن هذه الروايات أخص في زيارته ﷺ من الروايات الناهية، وإنها معتضدة بالكتاب كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ وبالأدلة الآمرة بزيارة قبره ﷺ وعمارته، بينما الروايات الناهية محتمله لوجوه متعددة وقد عرفت أن أظهرها وجهٌ آخر.

الدليل السادس: ما رواه مسلم عنه ﷺ (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)[١].

ورواه الطبراني في المعجم الكبير: (قال رسول الله ﷺ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى)[٢].

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد[٣] ورواه البزاز بتقريب أن النهي بالحرمة فيدل على حرمة السفر إلى زيارة القبور.

الإجابة: ويرد عليه أنه قد تقدم وسيأتي جملة من الأجوبة على الاستدلال بهذا الحديث وملخصها.

جمهور علماء السنة على عدم حرمة السفر إلى غير المساجد الثلاثة:

أولاً: أن (لا) هنا ليست للنهي بل لنفي مطلق الكمال الأتم وحصرها في

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج باب بيان أن المسجد أسس على التقوى ج٤، وباب سفر المرأة مع محرم ج٤.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٢: ٢٢٧، ج٢٢: ٣٦٦.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي: باب قوله لا تشد الرحال ج٤.

المساجد لمعهودية هذا الاستعمال في هذا المعنى ويشهد له ايضاً ورود لفظ الحديث بلسان غير مشتمل على لفظة (لا) نظير (أنما يسافر إلى ثلاثة) وبنحو آخر نظير (تشد الرحال إلى ثلاثة) ولأجل ذلك ذكر النووي في شرح مسلم أن الصحيح عند الجمهور هو الذي اختاره المحققون وإمام الحرمين أنه لا يحرم ولا يكره السفر إلى غير الثلاثة وإنما المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة[١].

ثانياً: أن المستثنى منه المفرغ لا بد له من نحو تقدير فإن قُدر لفظ المسجد فيكون معنى الحديث أنه لا تشد الرحال إلى مسجد إلا ثلاثة فلا يدل معنى مطلوبهم من قصد السفر إلى زيارة قبورهم الشريفة.

وإن قُدر مطلق السفر القربي أي لا تشد الرحال إلى سفر أبتغاء وجه الله إلا إلى ثلاثة وهذا مع أنه تقديرٌ بلا شاهد وتمحض من التأويل الذي ينكرونه في منهجهم ويرتكبونه فيما يتبنونه من الشذوذ في معتقداتهم التي يخالفون بها المسلمين فإنه مع ذلك لا يمكن الالتزام به لتخصيصه بالأكثر وهو مستهجن فإن السفر لأجل صلة الرحم وصلة الأخوان المؤمنين والجهاد في سبيل الله والمرابطة وطلب العلم والبر والتعاون على المعروف والهجرة إلى الله ورسوله وفي شتى السبل للغير كل ذلك ما لا يحصى من رجحانه الأكيد في الشريعة بالأضافة لو سلمنا بالعموم فهو مُخصص بما دل على رجحان زيارة النبي ﷺ.

كما أنه ما دل على شعيرية قبر النبي ﷺ أخص مطلقاً من هذا العموم (لا تشد الرحال) مضافاً إلى أن ما دل على شعيرية زيارته مطابقٌ لدليل القرآن وهو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ولقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾، كما تبين ذلك في البحث القرآني مفصلاً.

فضيلة المسجد النبوي بأهل البيت عليهم السلام:

ثالثاً: أن استثناء المسجد النبوي كما سيأتي من عدم شد الرحال يعني في الحقيقة استثناء قبر النبي وقبور أهل بيته لأن مسجده ﷺ أنما أكتسب الفضيلة لنسبته

(١) باب سفر المرأة مع المحرم إلى حج وغيره ج٩.

إلى بيوته وهو قوله ﷺ: (ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة).

نظير قوله تعالى في شأن مسجد النبي موسى عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وتقريب الاستدلال: أن مسجد النبي أضيف إلى النبي ﷺ وابن عمه علي بن أبي طالب كما أضيف مسجد موسى إليه وإلى أخيه هارون، وكما سد موسى عليه السلام الأبواب عن المسجد إلا بابه وباب أخيه هارون فكذلك سد النبي ﷺ الأبواب عن مسجده إلا بابه وباب علي وفاطمة وذريتهما، وهي أحدى الموارد التي قال فيها (صلوات الله عليه): (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فتضاعف الثواب في المسجد لمكان بيوته ﷺ فصار روضة من رياض الجنة، وسيأتي أن أعظم مواضع الروضة هي نفس بيوته ﷺ والتي منها بيت علي وفاطمة وبيوته شاملة لبيوت ذريته المعصومين فيندرج في استثناء مسجده كافة بيوت الأنبياء وقبورهم وبيوت أهل البيت وقبورهم.

* * *

(١) سورة يونس، الآية: ٨٧.

الفصل الرابع

أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين

(صلوات الله عليهم أجمعين)



الدليل الأول: امر النبي ﷺ علياً أن يدفن حيث قُبض في وصيتهِ وهكذا فعل عليه السلام، وقد قُبض النبي الأكرم في الغرفة التي كانت مشتركة بينه وبين فاطمة عليها السلام وهي الغرفة التي نزل فيها هو وأبنتهِ أول ما هاجر إلى المدينة المنورة والتي ضمتها عائشة بعد ذلك إلى غرفتها بعد وفاة النبي ﷺ ووفاة أبنته وأزالت الجدار الذي كان بينها وبين غرفتها .

وعلى أي تقدير فإن أمرهُ ﷺ بالدفن في الغرفة ودفنهُ من قِبل أمير المؤمنين عليه السلام وهو بناءٌ حول القبر الشريف أدلُ دليلٍ على تشعيره ﷺ لقبره كمعلم للدين الحنيف.

وهذا أمرٌ قطعي بضرورة الدين لا يجحده إلا المكابر والعاتي المتبع للأهواء والتواق إلى البدع والابتداع، إذ جعل مثوى بدنه الشريف منذ اللحظة الأولى لدفنه وقبره في غرفة خاصة به وبناء جدران الغرفة الشريفة كهيئة أضلاع الضريح المبني على قبور أهل بيته عليهم السلام، ومن ذلك يعلم أُن عمارة قبره وأهل بيته سنة قطعية في الدين، لا تجحد إلا بغرض طمس هذا المعلم ومحاربة الركن الثاني في الدين وهو الشهادة الثانية.

سيرة المسلمين في قبور الانبياء:

وكذا سيرة المسلمين إتجاه قبور الأنبياء في الشام ومنها قبر النبي إبراهيم الخليل عليه السلام فإن سيرتهم عندما فتحوا الشام إلى يومنا هذا قائمةٌ على تشييدها والمحافظة عليها، ومنها قبرُ اسماعيل عليه السلام في بيت الله الحرام في الحجر وكذا قبر أمه هاجر مع أن الذي دفن هاجر في الحجر هو اسماعيل وهو الذي بنى الحجر صوناً لقبرها عن المشي عليه من قِبل الطائفين.

والذي تشير إليه جملة من الروايات لدى الفريقين تدل على هذا المضمون وهي كالتالي:

روى الكليني: عن محمد بن يحي، عن أحمد بن محمد، عن حسين بن سعيد،

عن فضـالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شئ من البيت؟ فقال لا ولا قلامـة ظفر ولكن إسماعيل دفن أُمه فيه فكره أن توطأ، فحجر عليه حجراً وفيه قبور أنبياء)[١].

بعض أصحابنا، عن ابن جمهور، عن ابيه، عن محمد بن سنان، عـن المفضل ابن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحجر بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر أسماعيل[٢].

بل قد ورد بأن هناك سبعين نبياً مدفونين حول الكعبة كما في أبواب الطواف من الوسائل تشير إلى هذه الشعيرة والسيرة القائمة لدى المسلمين فمنها:

(الكافي: العدة، عن سهل، عن محمد بن عبد الحميد، عن يحي بن عمرو، عن ابن سـنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دفن مابين الركن اليماني والحجر الأسـود سبعون نبياً، أماتهم الله جوعـاً وضـراً)[٣].

كما روى القرطبي في تفسيره قال ابن عباس: في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر إسماعيل وقـبر شعيب (عليـهما السلام)، فقبر إسماعـيل في الحجر، وقبر شعيب مقابل الحجر الأسود وقال عبد الله بن ضمرة السلولي: مـا بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسـعين نبـياً جاؤوا حجـاجاً فقبروا هنالك (صلوات الله عليهم أجمعين»[٤].

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: (اول من طاف بالبيت الملائكـة وإن ما بين الحجر إلى الركـن اليـماني لقبور من قبور الأنبياء كان النبي إذا آذاه قومه خرج هو من بين أظهرهم فعبـد الله فيها حتى يموت)[٥].

وروى الهيثمي في مجـمع الزوائد عن ابن عبـاس قال: (أول من طاف بالبيـت

(١) الكافي ج٤: كتاب الحج، باب حج ابراهيم واسماعيل وبنائهما.
(٢) الكافي ج٤: كتاب الحج، باب حج ابراهيم واسماعيل وبنائهما.
(٣) الكافي ج٤: كتاب الحج - باب حج الأنبياء.
(٤) تفسير القرطبي ج٢: تفسير قوله تعالى: ربنا وأجعلنا مسلمين لك.
(٥) المعجم الكبير للطبراني ج١١، باب سعيد بن جبير عن ابن عباس.

الملائكة وأن بين الحجر إلى الركن اليماني لقبورٍ من قبور الأنبياء كان النبي أذا آذاه قومه خرج من بين أظهرهم يعبد الله فيها حتى يموت)[(١)].

شعيرية قبور الانبياء في المسجد الحرام:

وهذه السنة من الأنبياء في دفنهم عند بيت الله الحرام دليلٌ صريح على رجحان وشعيرية التعبد عند قبور الأنبياء وعلى رجحانِ الطواف بها والأتيان بمختلف العبادات عندها، ومنها قبر ذي الكفل في العراق ودانيال في شوشتر والذي دفُن في عهد الخليفة الثاني الذي ظهر جسده وجدد قبره بأشارة من أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

ومنها قبرُ عزير في العمارة جنوب العراق وكذا قبر زكريا في حلب ويحيى في الشام وشعيب في الأردن وشيث في لبنان وغيرها من قبور الأنبياء (عليهم أفضل الصلاة والسلام) المشيدة في العراق والشام وفلسطين.

حفظ قبور الانبياء عن الاندراس بعمارتها:

وبعبارةٍ أخرى أن حفظ هذه القبور عن الأندراس والضياع والطمس لا يمكن إلا بتعاهدها أما بالبناء أو الزيارة وهذا ما يُعهد من أسلوب عمارتها وهو الملاحظ من تدوين الآثار في الكتب المؤلفة قرناً بعد قرن من مؤلفات علماء المسلمين.

الروضة عند قبره ﷺ مشعر عند المسلمين:

الدليل الثاني: وقولهُ ﷺ مستفيضاً (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) وفي لفظٍ آخر (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياضُ الجنة ومنبري على حوضي)[(٢)].

ولفظٌ آخر في مسند أحمد (قال ما بين هذه البيوت (يعني بيوته) إلى منبري روضة من رياض الجنة والمنبر على ترعة من ترع الجنة)[(٣)].

(١) مجمع الزوائد ج١، باب سبب النهي عن كثرة السؤال.

(٢) البخاري: باب الرقاق ج٧: ج٢: باب فضل الصلاة على المسجد، باب حرم المدينة.

(٣) مسند أحمد ج٤، حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.

روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور: وأخرج البيهقي عن محمد بن المكندر (قال رأيت جابر وهو يبكي عند قبر رسول الله ﷺ وهو يقول ههنا تسكب العبرات سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)[١].

وقد روي هذا الحديث المتواتر عدة منهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وجابر الأنصاري وعائشة و أم سلمة وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وسعد والزبير وعبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب في عمدة القارئ ويدل هذا الحديث المتواتر على تشعير قبر النبي ﷺ معلماً للعبادة وجعله من المشاعر الدائمة إلى يوم القيامة كما شعرَ النبي ﷺ عموم المدينة حرماً له.

ومعنى الحرمية هو التشعير والتقديس والتبرك والملجئ والملاذ فضلاً عن مسجده الشريف وعن ما بين قبره ومنبره.

والتشعير في الشريعة لا يقاس بالوقف إذ التشعير الذي يتم بيد الشارع في البقاع الخاصة أبدي إلى يوم القيامة ويضفي عليه هالة من التقديس والتعظيم ويكون مواطن للعبادة بغض النظر عن المسجدية كما هو الحال في إزدياد ثواب العبادة في سائر بقاع الحرم المكي وإن لم يكن من المسجد الحرام، نعم يتضاعف ثواب العبادة في المسجد الحرام كما تتضاعف في البقعة المكيَة المشرفة.

ويُنقل عن السمهودي في وفاء الوفاء حيث نقل أجماع بل ضرورة علماء المسلمين بأن تراب قبر الرسول ﷺ أعظم حرمة وشرفاً من الكعبة وهذا تراب القبر لا شخص النبي، بل نقل عن جملة منهم (من علماء المسلمين) أن عموم حرم المدينة المنورة أفضل من الكعبة المكرمة [٢]. والحاصل أن باب التشعير يختلف عن باب الوقف فمسجدية المسجد الحرام من باب المشاعر ولا تختص بالمسجدية كما في بقية المساجد، بل كما هو الحال في منى والمزدلفة من حيث تأبيد المشعرية. وقال الشوكاني في (نيل الأوطار) وقد استدل القائلون بأفضلية المدينة (على مكة) بأدلة منها حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) .

---

(١) الدر المنثور ج١: تفسير سورة البقرة الآية: ١٧.

(٢) وفاء الوفاء ج١: الفصل الأول في تفضيلها على غيرها من البلاد.

وهذا يدل أنهم استظهروا وفهموا من هذا الحديث المتواتر تشعير القبر الشريف مشعراً إلهياً يعظم عُلى حرمة الحرم المكي [(١)].

الروضة بين بيوته ﷺ شاملة لقبور ذريته الأطهار:

فائدةٌ: قد مر أن لفظ الحديث في مسند أحمد (ما بين هذه البيوت ـ يعني بيوته ﷺ ـ روضةٌ من رياض الجنة) مما يقتضي أن ما بين بيته إلى قبره الشريف روضة مٌن رياض الجنة وقد أُدرج في بيوته في أحاديث عديدة بيوت علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام ونظير ما رواه وأخرجه في ذيل قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾[(٢)].

وفي الدر المنثور للسيوطي قال أخرج ابن أبي حاتم عن المجاهد (في بيوتٍ أذن الله ان ترفع) قال هي بيوت النبي ﷺ وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ فقام إليه رجل فقال أي بيوت هذه يا رسول الله قال بيوت الأنبياء فقام إليه أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة قال نعم بل من أفاضلها [(٣)]. وغيرها من الروايات في هذا الصدد فضلاً عن الروايات الواردة في أهل البيت عليهم السلام في كون بيوت الأئمة (عليهم السلام) ومواضع قبورهم وبيوت النبي ﷺ روضة من رياض الجنة، وأنها قد شعرت للعبادة والزيارة والتوسل بهم لكونها مشاعر إلهية وهذا الوجه بهذا التعليل هو الوارد في الآية الكريمة و بالجمع دون المفرد وقد مر شرح ذلك في البحث الأول في هذه القاعدة من المبحث القرآني. وروي الكافي في مصحح عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة وصلاةٌ في مسجدي تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، قال جميل: قلت له: بيوت النبي ﷺ وبيت علي منها؟ (يعني هي أيضا من رياض الجنة من بيوت النبي ﷺ ولا تختص ببيوت ازواجه بل تشمل بيوت قرابته ﷺ الخاصة من

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني: باب حجج من قال بأفضل.
(٢) سورة النور، الآية: ٣٦.
(٣) الدر المنثور ج٥: سورة النور: ٣٦.

أصحاب الكساء كما بين المنبر والبيوت) قال: نعم وأفضل(١). فبيوت النبي شاملة لبيت علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين وأنها أفضل بيوت النبي ﷺ. فيظهر من ألفاظ الحديث المتعدد أن المراد من قوله ﷺ: (ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة) هو العموم بنحويه المجموعي والأستغراقي، أي تحديد البقعة الواقعة في البين المحددة بهذه الأطراف المذكورة في الحديث كما أن المراد كل من الأطراف في نفسه على روضة من رياض الجنة، فمع كون عنوان بيوته ﷺ شاملة بنحو العموم الأستغراقي لبيت علي وفاطمة وذريته يتم هذا المفاد.

وبعبارةٍ أخرى أن لورود الحديث في ألفاظ أخرى من تخصيص المنبر بكونه على ترعة من ترع الجنة أو على حوض أو على روضة من رياض الجنة كل ذلك يدل على أرادة أن كل طرف من أطراف التحديد هو على روضة من رياض الجنة فعنوان (بيوتي) عموم استغراقي، وأن عنوان (بيوتي) داخلة في حكم المغيى أي أن الروضة جزءٌ منها المنبر، وجزءٌ منها بيوت، وجزءٌ منها ما بينهما. وعنوان (البيوت) كما ورد في روايات الفريقين في ذيل قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ أنها بيوت الأنبياء والتي فيها بيوت سيد الأنبياء ﷺ حيث قال (أن بيت علي وفاطمة منها ومن أفاضلها) كما ذكره السيوطي في الدر المنثور في ذيل الآية أخرجه عن ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة. مما يعزز أن بيت عليٍّ وفاطمة نسبته إلى النبي ﷺ أتم من نسبة بيوت وغرفِ أزواجه إليه وأن اندراج بيت عليٍ وفاطمة في بيوته اندراج في الحقيقة لا في التنزيل (٢). وبالتالي يكون عموم بيوته شامل لقبور ذريته المطهرة بحسب المفاد الأولي للحديث، وقد ورد عنهم من طرقنا أن بقاع قبورهم من رياض الجنان وأنه يندب الصلاة والتعبد عندها ولا سيما عند الرأس الشريف، و من ثم ورد في النصوص المستفيضة عنهم في الأذن للدخول في زيارة مشاهدهم المبنية على قبورهم (اللهم أني وقفت على بابٍ من بيوت نبيك) وقد روي عنهم قول النبي ﷺ (إلا إن باب فاطمة بابي وبيتها بيتي فمن هتكه هتك حجاب الله)(٣) كما يستفاد من هذا الحديث الحث العظيم

(١) الكافي ج٤: باب المنبر والروضة ومقام النبي.

(٢) بالتنزيل وذلك لأن علاقة القربى لا تنقطع بخلاف علاقة الزوجية فإنها بالأعتبار.

(٣) غاية المرام ج٢: الباب الحادي والعشرون، الباب التاسع والعشرون.

على زيارة قبره و أنها من العبادات الكبرى وعلى اتخاذ الموضع مقاماً لعبادة الله سبحانه وتعالى.

وهذا الحديث المتواتر القطعي صدوراً ومضموناً متطابقاً مع قطعي الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1].

فكيف بمقام محمد ﷺ وهو أعظم حرمةً من النبي إبراهيم عليه السلام، وكيف بجسده الطاهر مع أن مقام إبراهيم ليس مثوى لجسد إبراهيم عليه السلام وإنما هو حجر لامس قدم إبراهيم عليه السلام، فمفاد هذا الحديث الشريف القطعي متطابق مع قطعي ضرورة المسلمين واتخاذهم مقام إبراهيم مُصلى ومنه يستفاد أن عمارة قبره الشريف والصلاة عند قبره والدعاء والأذكار والتبرك بها بالمسح وغيرها من أبواب العبادة لله سبحانه وتعالى. وقد شعرت المدينة من قِبل الرسول مضافا إلى تشعيرالقبر، كما في كلام السمهودي حيث يقول: كما شعر الحرم المكي من قِبل نبي الله آدم وإبراهيم، شعر الحرم المدني من قِبل الرسول ﷺ وكما شعر المسجد الحرام والكعبة كذلك شعر المسجد النبوي والقبر الشريف من قِبل سيد الأنبياء[2].

فقد روي في باب حرم المدينة: عن أنس عن النبي ﷺ قال: المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث و من أحدث

فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[3].

وروي أحمد في مسنده حديث أبى مالك الأشجعي (رضي الله عنه) عن رافع بن خديج: قال قال رسول الله ﷺ انه ذكر مكة قال إن إبراهيم حرم مكة واني أحرم ما بين لا بتيها (يُريد المدينة)[4].

ولا يخفى على اللبيب أن تشعير قبر الرسول والمدينة يعظم خطراً ويعلوا شاناً على تشعير إبراهيم الخليل عليه السلام ومن ثم ورد أن مسجد النبي ازدادت حرمتة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٢) وفاء الوفاء ج١: الفصل الثاني في حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتخصيص.

(٣) صحيح البخاري ج٢: باب حرم المدينة: ٢٢٠.

(٤) مسند احمد ج٤: حديث أبي مالك الأشجعي، البخاري ج٤ كتاب بدء الخلق.

بالنبي ﷺ وباهل بيته ﷺ ومن ذلك يعلم أن جحد هذا المشهد العظيم بائقة من بوائق الدين.

ثم إن مفاد هذا الحديث (ما بين قبري ومنبري) قطعيٌ كما علمتَ فكيف يتشبثون بهذه الاستظهارات المتظنية، مضافاً إلى أن هذا الحديث القطعي الوارد في قبره الشريف وكذلك الحديث المستفيض في زيارة قبر والدته الشريفة أي تشريع سنه زيارة قبور أهل بيته أخص من عموم الروايات التي يتكلف تظنيها والخاص مقدمٌ على العام، مضافاً إلى أنه لو بُني على التوهم للتعارض فإن عمارة قبره وقبور أهل بيته مطابق للكتاب كما مر في (البحث القرآني) ومطابق لضرورة الدين من الشهادة الثانية والثالثة.

فائدة في حدود الروضة:

أن الملاحظ في أكثر الروايات الواردة عند الفريقين سواء عندنا أو عندهم وهو ورود لفظ الحديث النبوي بصيغة (ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة). وحيث أن بيوت النبي (صلى الله علية وآله) منها غرفُ أزواجه وهي متوزعة بين جهة القبلة للقبر الشريف والذي هو ممرٌ للزائرين حالياً وبين خلف القبلة وهي الدكة التي تقع بعد انتهاء بيت علي وفاطمة من جهة الشمال (أي الملتصقة بشباك الضريح من الخلف) وفي تلك الدكة تقع غرفة سودة بنت زمعة وفيها محراب النبي ﷺ عند تهجده وصلاته في الليل أي مما يكون قبلة محرابه بيت علي وفاطمة.

وعلى ضوء ذلك يكون بيت عليَ وفاطمة يقع وسطاً متوسطاً ما بين بيوت النبي إذ كان له ﷺ ما يقرب من تسع غُرف متوزعة بين الأمام والخلف، وأما الغرفة التي دُفن فيها ﷺ فتلك هي الغُرفة التي كانت مشتركه بينه وبين أبنته فاطمة (سلام الله عليها) وهى الغرفة التي أقام فيها النبي وفاطمة في المدينة قبل زواجها ﷺ بعلي وِكانت فاطمة قد منعت عائشة أن تفتح نافذة في غرفتها تلك كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج.

كما ورد في روايات الفريقين أيضاً أن بيت علي وفاطمة هي من بيوته ﷺ ومن بيوت الأنبياء كما روى ذلك السيوطي في الدر المنثور في ذيل قوله تعالى: (في بُيوتٍ

أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه) ورُوي ذلك من طرقنا أيضاً فعن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة عليها السلام أفضل أو في الروضة؟ قال: في بيت فاطمة عليها السلام[١].

وعن جميل بن دراج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة عليها السلام مثل الصلاة في الروضة؟ قال: وأفضل[٢].

وعلى ضوء ذلك ورد بأنها من أفاضلها وأن الصلاة فيها أفضل من الروضة، وعلى ضوء هذا التعميم لحدود الروضة يتبين أن الروضة الشريفة هي أوسع من التحديد المرسوم في كتب الفريقين والظاهر منهم انهم اقتصروا على التحديد المستفاد من لفظ الحديث الوارد بصيغة (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة).

بينما مقتضى مفاد صيغة الحديث الأكثر وروداً هو أتساع الروضة طولاً إلى ما بعد شباك الضريح وإلى حد نهاية الدكة المتصلة به، ويعضد هذا الاستظهار ما ورد في صحيح علي بن جعفر من أن الصلاة في بيت علي وفاطمة أفضل من الروضة، وهو بمعنى أفضل مواضع الروضة لأن البيوت من الروضة والغاية داخلة في المغيى، ويشير إلى هذا المفاد ما رواه السيوطي في الدر المنثور في ذيل قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ وان بيت علي وفاطمة من أفاضلها[٣].

ويعضد ذلك من أن الجواد عليه السلام كان يكثر من الصلاة عند الأسطوانة التي هي بحذاء بيت فاطمة عليها السلام وعلى ضوء ذلك يستفاد من عموم وشمول قوله ﷺ (بيوتي) وشموله لقبور الأئمة للعترة المطهرة من ذريته كقبر الحسن المجتبى عليه السلام في البقيع وقبر أمير المؤمنين عليه السلام والحسين والكاظم والرضا والجواد والعسكريين من أئمة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) بعد ما ورد من بيانه ﷺ أن البيوت التي إذن الله أن ترفع أنها بيوت الأنبياء وهو بيوته ﷺ وأن منها بيوت علي وفاطمة وذريته.

---

(١) الكافي ج٤: ٥٥٦. ح ١٣.
(٢) الكافي ج٤: ٥٥٦. ح ١٤.
(٣) الدر المنثور ج٥: سورة النور.

منها: ما في صحيحة الحسين بن ثوير عن ابي عبد الله عليه السلام الواردة في اداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات والبس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافيا فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله [(١)]. ولاحظ ما ورد في الوسائل من طرق مستفيضة ان حرم الحسين روضة من رياض الجنة [(٢)]

وفي صحيح ابي هاشم الجعفري قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: إن بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنة، من دخلها كان آمنا يوم القيامة من النار[(٣)]

كذلك ما ورد في قدسية ارض كربلاء عن أبي عامر واعظ أهل الحجاز عن أبي عبد الله عليه السلام ان النبي ﷺ قال يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقربا منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غدا في الجنة، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه فأبشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي [(٤)].

كذلك ما رواه الشيخ الطوسي في زيارة الامير عليه السلام وفضل الكوفة، فعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قلت له: أي البقاع أفضل بعد حرم الله

---

(١) الوسائل ج١٤: باب ٦٢ من أبواب المزار.

(٢) الوسائل ج١٤: باب ٦٧ من أبواب المزار.

(٣) الوسائل ج١٤: باب ٨٢ من أبواب المزار ح: ١٣.

(٤) تهذيب الأحكام ج٦: ٢٢، ح٥٥، الوهابيون والبيوت المرفوعة للسنقري: ٨٦ نقلاً عن شفا السقام للسبكي، المزار للمفيد: ٢٢٨/ ١٢.

وحرم رسول الله ﷺ، فقال: الكوفة، يا أبا بكر هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه، وفيها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين[١].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لو كان يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لأعدوا له الزاد والرواحل من مكان بعيد، إن صلاة فريضة فيه تعدل حجة، وصلاة نافلة تعدل عمرة[٢]. وغير ذلك من الروايات المروية بسند صحيح.

كما وردت لدينا النصوص المستفيضة في آداب الزيارة للأئمة من ذريته ﷺ الدالة على ان بقاع قبورهم من حرم الله تعالى وحرم رسوله، وانها من بيوت النبي ﷺ وكيفية الاستيذان قبل الدخول إلى مشاهدهم المشرفة كما في النصوص التالية: (اللهم أني وقفت على باب بيت من بيوت نبيك وآل نبيك (عليه وعليهم السلام) وقد منعت الناس الدخول إلى بيوته إلا بإذن نبيك)[٣]. فجعلت قبورهم بيوتا من بيوت النبي ﷺ ولأجل ذلك وما مر من الروايات ذهب الشريف المرتضى وأبن الجنيد وبعض من تأخر كالعلامة الشيخ حسين العصفور إلى عموم رجحان الإتمام في السفر عند كل قبورهم b لا خصوص المواطن الأربعة. بتقريب أن الإتمام في الأربعة علَل بمضاعفة الثواب للصلاة وهذه العلة موجودة في بقية بقاعهم عليهم السلام.

سن النبي ﷺ إقامة المأتم عند قبور أهل بيته:

الدليل الثالث: وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة قال: (زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وبكى من حوله فقال رسول الله ﷺ استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في ان أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت)[٤].

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ج٦: ٣٥ ح ٥٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البحار ج ٩٧: كيفية الأستيذان وزيارة النبي.

(٤) مسند أحمد ج٢: مسند أبي هريرة، حديث بريدة الأسلمي ج٥.

وروي مسلم في صحيحه في باب استئذان النبي ﷺ ربه عُز وجل لزيارة أمه: (زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله) فقال استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت) [١].

وروى الحاكم في المستدرك قال زار النبي ﷺ قبر أمه في الف مقنع فما رؤى أكثر باكيا من ذلك اليوم. هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين [٢].

أقول: يظهر من أحاديث زيارة النبي لقبر أمه (سلام الله عليها) وحشرنا الله في زمرتها (المتواتر)، أن النبي ﷺ أقام مآتماً عند قبر أمه وأقام مجلس عزاء في مقام مصاب فقد والدته الشريفة، وأنه سَنَ سُنة عظيمة في مشهدٍ عام من المسلمين كي تكون مبدأ ومنطلقاً لهم في أقامة المآتم ومجالس العزاء على مصائب أهل بيته عند قبورهم. والطريف في هذا الحديث المتواتر عندهم أن الذي قام بعملية البكاء هو شخص النبي ﷺ فبكى من حوله وأبكى.قال النووي في شرح مسلم بعد ذكره لهذا الحديث: ورواه النسائي عن قتيبة عن محمد بن عبيد ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد وهؤلاء كلهم ثقات فهو حديث صحيحٌ بلا شك قوله (فبكى وأبكى من حوله)[٣].

سن النبي ﷺ الدعاء والعبادة عند قبور أهل بيته عليهم السلام:

وفي مجمع الزوائد للهيثمي روى ابن عباس أن النبي ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن يستسندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلا ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه وبكى هؤلاء لبكائه وذكر أنه رواه الطبراني في الكبير [٤].

ويظهر من لفظ هذا الحديث ان النبي ﷺ سنَ الدعاء والمناجات عند قبور اهل

---

(١) صحيح مسلم، باب أستئذان النبي ربه عز وجل لزيارة أمه.
(٢) المستدرك ج٢: زيارة النبي قبر أمه.
(٣) شرح مسلم ج٧: باب استئذان النبي ربه في زيارة قبر أمه.
(٤) مجمع الزوائد ج١: باب في أهل الجاهلية.

بيته كما ان اشتداد بكائه سنة منه ﷺ في أقامة الجزع عند قبور أهل بيته، وقد روي هذا الحديث المتواتر بألفاظ مختلفة ما يظهر منها تكرار زيارة النبي ﷺ لقبر أمه وإقامة العزاء والدعاء في عدة مرات.

جملة من سنن النبي ﷺ في زيارة قبر والدته عليها السلام:

ويستفاد من هذا الحديث (ثم بكي فاشتد بكاوءه وبكى من حوله) المتواترة جملة من الأمور منها:

١ ـ رجحان شد الرحال والسفر لزيارة قبور أهل البيت عليهم السلام حيث تكرر سفره لزيارة قبر أمه.

٢ ـ سنة أقامة المآتم والعزاء على أهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ تشـعير قبور أهل بيته كمواطن للعبادة والمناجاة ومواطن لإقامة المآتم والحزن والعزاء عليهم، ورجحان البكاء والإبكاء على مصائب أهل بيته، وأن هذه سنة عظيمة قد تكررت منه ﷺ، وقد استقصى العلامة الأميني في كتابه (سنتنا وسيرتنا) سنة النبي ﷺ وسيرته اثني عشر مجلساً أقامها سيـد الأنبياء وقام برثاء أبنه الحسين سيد الشهداء وذكر لكل مأتم جملة وافرة من المصادر عند العامة.

ثم ان الذي ذكر (زيارة النبي لقبر أمه) صاحب كتاب الاستذكار للقرطبي وشـعب الأيمان للبيهقي وعمدة القارئ[١].

وفي فتح الباري لابن حجر ذكر في لفظ: (حتى جلس إلى قبر فناجاه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه فقال إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي) [٢].

وفي رواية الطبري من هذا الوجه لما قدم مكة أتى رسم قبر (ناقصٌ) عن عطية لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر[٣] وللطبراني من طريق عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس نحو حديث ابن

---

(١) الاستذكار ج١: ١٨٧، شعب الإيمان ج٧: ١٥، عمدة القارئ ج٨: ٧٠.

(٢) فتح الباري ج٨: ٣٩٠.

(٣) جامع البيان ج١١: ٥٨ في ذيل قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

مســعود وفيه لما هبط ثنية عسفان فهذه طرق يعضد بعضها بعضا، وذُكر أنه زار قــبر أمه بعد رجوعــه من تــبوك [١].

وقال العيني في عمدة القارئ وكان الشارع ﷺ يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول فيقول: السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار، وكان أبو بكر وعمر وعثمان (رض)، يفعلـون ذلك وزار الشــارع قــبر أمه، يوم الفــتح في ألف مقنــع ذكــره ابن أبي الــدنيا، وذكره ابن أبي شيبة عــن علــي وابن مسعود وأنس (رض)، وكانت فاطـمة عليها السلام عنها تزور قبر حمـزة (رض) كل جمعة، وكان عمر (رض) يزور قــبر أبيه فيـقف عليه ويدعـو له، وكانت عائشة (رض)، تزور قبر أخيها عبد الرحمن وقبره بمكة [٢].

٤ ـ ويستفاد من هذا الحديث المتواتر أن النبي ﷺ سنَ الســفر إلى زيارة قــبور أهل بيته، وأن ما رووه من أنه لا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة بأن عموم النفي هذا مخصـوصٌ بذلك مع ان النـفي كما قد عرفت محمول على الفضيلة عند أكثر علماء أهل السنة.

نعم روى الصدوق في الصحيح عن ياسر الخادم قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام لا تشد الرحال إلى شئ من القبـور الا إلى قـبورنا ألا وإنـي مقتـول بالسـم ظلما ومدفـون في موضـع غـربة فمن شد رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر له ذنوبه [٣].

وقال النووي في شرح مسلم و الصحيح عند أصحابنا وهو الذي اخــتاره إمام الــحرمين والمحـققون أنه لا يحرم ولا يكره، وقالوا والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة والله أعلم [٤].

وهذا مضــافاً إلى جملـة من الأجوبة الســابقة والآتـية أنه ورد مستفـيضاً عــن

---

(١) مجمع الزوائد ج١ : ١١٧، الدر المنثور ج٣ : ٢٨٣، المعجم الكبير للطبراني ج١١ : ٢٩٦.
(٢) عمدة القارئ ج٨ : ٧٠.
(٣) عيون أخبار الرضا ج١ : ٢٨٥.
(٤) شرح مسلم ج٩ : باب سفر المرأة مع المحرم إلى الحج وغيره.

الفريقين أنه من حج ولم يزرني فقد جفاني بل هناك ألفاظ أخرى للحديث الشريف مفادها كما هو ظاهر توقيتٌ معلوم لأحد مواسم زيارته فهذا المفاد يبطل الاستدلال بظاهر حديث لا تشد.

هذا وروايات أهل البيت عليهم السلام متواترة في كون زيارة وعمارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته من معالم وشعائر الدين الكبرى، فقد عقد صاحب الوسائل (٩٦) باباً واخرج في مجموعها مئات الأحاديث، هذا فضلاً عمَا أورده صاحب البحار في أبواب المزار، والميرزا النوري في مستدرك الوسائل عن الأصول المروية عن اصحابنا في ذلك وغيرهم من أساطين المحدثين وابواب احكام المساجد وغيرها من الابواب في كتب الحديث، فالأمرُ بالغ حد التواتر من الدرجة الكبيرة جداً ومن ثم التواتر قائمٌ في شعائر ومعالم أهل البيت عليهم السلام، حتى أن الحث ورد منهم على زيارة قبورهم وعمارتها في ظرف الخوف على النفس مما يشير إلى مدى ركنية هذه الشعيرة في الدين، وهي سيرة مأخوذة يداً بيد قائمة عند شيعة أهل البيت عليهم السلام منذ القرن الأول والثاني للهجري.

الدليل الرابع: ما رواه ابن ماجة عن ابن أبي مليكة عن عائشة أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور[١].

والرواية في الأصل كما رواها الغزالي في أحياء العلوم: عن ابن أبي مليكة، قال: (أقبلت عائشة يوماً من المقابر، فقلت: يا أم المؤمنين من أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن فقلت: أليس كان رسول الله نهى عنها؟ قالت: نعم، ثم أمر بها) [٢].

وفي هذه الرواية دلالة على أن أذنه ﷺ عامٌ للنساء في مرتكز الرواة واستظهارهم.

وروى ابن ماجه عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القُبور فزوروها. فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة)[٣].

---

(١) سنن ابن ماجة ج١: باب ما جاء في زيارة القبور.

(٢) أحياء العلوم ج٤: باب زيارة القبور، السنن الكبرى ج٤: باب ما يقول اذا دخل المقبرة، نيل الاوطار للشوكاني ج٤: الدليل على تحريم اتباع الجنائز.

(٣) سنن ابن ماجة ج٢: باب ما جاء في زيارة قبور المشركين.

وكذلك رواه ابن داوود في سننه عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة)[١].

توقيته ﷺ الحج بزيارة قبره:

الدليل الخامس: ومن الأدلة ما روي مستفيضاً في قوله ﷺ: (من حج ولم يزرني فقد جفاني ومن زارني وجبت له شفاعتي)[٢].

وهذا التوقيت وإن لم يكن حصرياً ولكنه أحد مواقيت زيارته بفعل الحج.

وفي بعض ألفاظ الحديث (من زارني بعد موتي فكأنما زارني حياً)[٣] وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: من زار قبري وجبت له شفاعتي، رواه البزاز [٤].

وعن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: (من جاءني زائراً لا يعلم له حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة)[٥].

ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه حفص بن أبي داود القارئ وثقه أحمد، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي)، رواه الطبراني في الصغير والاوسط وفيه عائشة بنت يونس، ثم ذكر باب (وضع الوجه على قبر سيدنا رسول الله ﷺ)[٦].

وروى الهندي في كنز العمال عنه ﷺ: (من حج وقصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان)[٧].

وظاهر الحديث تمحض القصد لزيارته وهو يدحض ما ابتدعته الوهابية من حصر قصد السفر إلى المدينة المنورة أنه لا بد أن يكون بقصد مسجده النبوي لا بقصد

---

(١) سنن أبي داود ج٢: باب المحرم يموت كيف يصنع به.

(٢) الدر المنثور ج١: تفسير سورة البقرة

(٣) كنز العمال ج٥: زيارة قبر النبي من الأكمال.

(٤) مجمع الزوائد: ج٤، باب زيارة سيدنا رسول الله

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق: باب قوله لا تجعل قبري وثناً.

(٧) كنز العمال ج٥: باب زيارة قبر النبي من الأكمال.

قبره الشريف ولا بقصد زيارته ﷺ بانين ذلك على ما تخيلوا في استظهاره من حديث (لا تشد الرحال).

ثم أن الحديث الشريف يفيد تكثير الثواب لزيارته ﷺ مضاعفاً على الحج، ولا يتوهم في معناه سد باب الحج وهوانه والعياذ بالله بل هو تأكيدٌ لأهميتهِ وولاية الرسول ﷺ وضرورة ضم زيارته.

الحج وزيارة قبر النبي واهل بيته من دون التفريط بكل منهما:

نعم الحث على كل منهما الزيارة و الحج وإن الولاية ركنٌ من أركان الدين كالحج والصلاة والصيام والزكاة بل هي أعظم الأركان لكن أعظمية الولاية لا يعني التفريط ببقية الأركان كما هو الحال في الصلاة أنها عمود الدين وهي أهم من الزكاة والحج والصيام لكن لا يعني ذلك التفريط بما دونها، كما أن الحفاظ على الحج والصوم لا يعني أنكار أعظمية الصلاة فضلاً عما هو أعظم من الصلاة وهو الولاية لله وللرسول ولأهل بيته، ومثله ما ورد من الحث الشديد على زيارة قبور أهل البيت لثوابٍ مضاعف وأنه ليس في ذلك تغريرٌ بترك الحج كما يتوهمهُ السلفية والوهابية، كيف وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا ولوا أجمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وأن الله ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي ولو أجمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وان الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج ولو أجمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله (عز وجل): ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

فوالله ما نزلت إلا فيكم ولا عنى بها غيركم[2].

إلا أن أقامة الحج من قِبل المسلمين والمؤمنين واجبٌ كفائي بغض النظر عن الاستطاعة.

بل ورد عنهم عليهم السلام إنه يجب على الوالي أن يبذل من بيت المال لإقامة الحج فعن أبي عبد الله عليه السلام: قال: لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يجبرهم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٢.

(٢) الكافي: ج٢: ٤٥.

على ذلك وعلى المقام عنده ولو تركوا زيارة النبي ﷺ لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، فإن لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: لو عطل الناس الحج لوجب على الإمام أن يجبرهم على الحج إن شاؤوا، وإن أبوا فإن هذا البيت إنما وضع للحج [٢].

كذلك ورد عنهم عليهم السلام أن الجوار بالسكنى والإقامة عند بيت الله الحرام والمدينة المنورة وبقية المدن التي فيها قبور أهل البيت عليهم السلام هو من الجهاد، فيستفاد من كل ذلك أن اللازم والواجب هو إقامة وعمارة معالم الدين وأركانه أجمع لا بعضها على حساب البعض الآخر ولا الاكتفاء ببعضها دون البعض فقد ورد عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن عليه السلام أيهما أفضل المقام بمكة أو بالمدينة؟

فقال: أي شيء تقول أنت؟.

قال: فقلت: وما قولي مع قولك؟!

قال: إن قولك يرد إلى قولي.

قال: فقلت له: أما أنا فأزعم أن المقام بالمدينة أفضل من الإقامة بمكة، فقال: أما لئن قلت ذلك لقد قال ابو عبد الله عليه السلام ذلك يوم فطر وجاء إلى رسول الله فسلم عليه، ثم قال: لقد فضلنا الناس اليوم بسلامنا على رسول الله ﷺ[٣].

وعن داود أبن أبي صالح قال (أقبل مروان يوما فوجد رجلاً واضعا وجهه على القبر فقال أتدري ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال نعم جئت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم آت حجراً. وجاء بلفظ (لم أر الحجر)[٤] .

---

(١) الكافي ج٤: ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الوسائل ج١٤: ٣٤٧، الباب ٩، باب استحباب الإقامة بالمدينة وكثرة العبادة فيها.

(٤) مسند أحمد ج٥: حديث ابي أيوب الانصاري، مجمع الزوائد ج٤: باب قوله لا تجعل قبري وثناً، تاريخ ابن عساكر ج٥٧ باب مروان بن الحكم.

وهو بتمامه في كتاب الخلافة، رواه أحمد وداود ابن أبي صالح قال الذهبي لم يرو عنه غير الوليد ابن الكثير وروى عنه الكثير بن زيد كما في المسند ولم يضعفه أحد.

أقول: وفي هذه الأحاديث وغيرها الدالة على الحث على زيارته ﷺ بنحو مستفيض رد على حشوية السلفيين الذين استظهروا حرمة شد الرحال لغير المساجد الثلاثة.

وفي تحفة الأحوذي قال واختلف في شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة قبور الصالحين أحياءاً وأمواتا وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك لها والصلاة فيها إلى أن قال والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها: (أن المراد الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فإنه جائزٌ، وقع في رواية لأحمد بلفظ لا ينبغي للمطي أن تعمل وهو ظاهر في غير التحريم)[١].

ويدعم هذا الاستظهار ما ورد عن أبي هريرة بألفاظ أخرى نحو (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة) ونحو: (إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد) أخرجه البخاري باللفظ الأول[٢]، ومسلم باللفظ الأخر من طريق ثانٍ عنه [٣]. وأخرجه من الطريق الأول أصحاب السنن وغيرهم [٤].

ورواه البزاز هذا النحويين من ألفاظ الحديث حيث يعزز أن الحديث مسوقٌ إلى بيان أهمية وفضيلة المساجد الثلاثة، وما يعزز هذا الاستظهار أيضاً ما ورد في الأحاديث المستفيضة عند الفريقين من عظم الثواب في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

---

(١) صحيح البخاري ج٢: باب فضل الصلاة في المسجد.

(٢) باب بيان ان المسجد الذي اسس على التقوى.

(٣) صحيح مسلم ج٤: باب سفر المرأة مع محرم، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث، أرواء الغليل ج٣ محمد ناصر الالباني باب النهي عن شد الرحال، ج٤ باب تفضيل الصلاة في مسجده أحكام الجنائز باب صيغة سلام عند الدخول / المعجم الصغير للطبراني ج١: باب من أسمه سلمه، والمعجم الاوسط ج٢، ج٤، ج٥ والمعجم الكبير ج٢٢ باب من يكنى ابو نجيح، مجمع الزوائد ج٤، باب قوله لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة.

(٤) مجمع الزوائد ج٤ باب قوله لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة.

مسجد الكوفة أعظم من بيت المقدس:

مع إنه ورد في أحاديث أهل البيت أن الصلاة في مسجد الكوفة أعظم ثواباً من الصلاة في بيت المقدس بل في روايات أهل البيت أن الإتمام في السفر لعظم الثواب فيها وهي (الحرم المكي والمدني ومسجد الكوفة والحائر الحسيني في كربلاء)[١].

وقد تقدم إن قوله ﷺ في حديث الفريقين: (ما بين قبري وبيوتي روضة من رياض الجنة) شاملٌ لبيت علي وفاطمة وذريته، فبيوته شامله لقبره وقبور أهل بيته المطهرين ومِن ثُم ورد عنهم عليهم السلام كثرة فضيلة الصلاة عند قبورهم، فهناك فرقٌ في الاستظهار بين ما ذهب إليه جمهور علماء السنة وبين ما ذهب إليه السلفية (الوهابية)، حيث حمل المشهور الحديث (لا تشد الرحال) على النفي للكمال البالغ ولشدة الرجحان، بينما حمل الوهابية الحديث على النهي التحريمي مما يشير إلى أن المسلك الحشوي في استظهار الحديث هو سبب الأزمة في هذا الفهم العاطل حيث يقتصرون في الاستظهار الجمود على لفظ الحديث من بعض طرقه دون بقية الطرق ومن دون الالتفات إلى جملة من القرائن في البين وهذا طامةٌ كبرى في منهج الاستظهار في الأدلة وإلا فهذا التعبير مستعمل بكثرة في موارد نظير (لا حلم كالصبر) وغيرها من الموارد المتعددة.

عمارة قبره ﷺ بقاء للشهادة الثانية:

وهذا مضافاً إلى اعتضاد هذه الأحاديث بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾[٣].

حيث دلت الآيتان على أن المجيء بحضرة النبي ﷺ حثٌ أكيدٌ منه تعالى على ذلك الموطن لكي يتحقق فيه استجابة التوبة والغفران.

وبعبارة أخرى أن الحث في القرآن الكريم والسنة المتواترة والمستفيضة

---

(١) الوسائل الباب ٢٥ من صلاة المسافر.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٥.

لزيارته ﷺ يستلزم جعل قبره معلماً ومشعراً كي لا تضيع هذه السنة الإلهية بل كي يبقى ذكره الشريف وذكره اساس الدين وحقيقة الشهادة بالرسالة ومِن ثم يعلم أن عمارة قبره الشريف معلمٌ عظيم لبقاء ذكر الدين في أجيال البشر والعالمين إلى يوم القيامة.

طمس قبره ﷺ إماته لذكره ﷺ:

فالدعوة إلى طمس قبره الشريف هي دعوة إلى طمس الدين والشريعة الخاتمة كما هو غرض اليهود والنصارى، ومن ذلك يظهر النظر والإشكال في استظهارهم طمس قبور الأنبياء والمرسلين السابقين مما روى من قوله ﷺ: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، وفي لفظٍ آخر (قاتل الله اليهود). فإن عمارة قبور الأنبياء والمرسلين تخليدا لذكراهم وقد أكد القرآن الكريم على ذكرهم وإبقاء ذكراهم ليكونوا قدوةً للبشر ومنابع للنور، فكيف يدعو الدين إلى طمس قبورهم، فلا محالة إلا أن يكون الحديث الشريف بمعنى النكير على ما فعله اليهود والنصارى من تأليه النبي عيسى وعزير، أو إنهم طمسوا قبور الأنبياء واتخذوا الصلاة والسجود عليها مما يؤدي إلى طمس معلميتها وتسويتها مع الأرض.

وروى في البخاري عن محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، اخبرنا ابوبكر بن عياش، عن سفيان التمار أنه حدثه أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنماً [(١)].

روى أحمد في مسنده (حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، قال سمعتُ سليمان الشيباني، قال سمعتُ الشُعبي، قال أخبرني مَن مر مع رسول الله ﷺ على قبرٍ منبوذٍ فأمهُم وصفوا خلفه فقلتُ يا أبا عمرو من حدثك قال ابن عباس)[(٢)].

كذلك في صحيح ابن حبان بسنده عن ابن عباس قال أتى رسول الله ﷺ على قبرٍ منبوذ فصلى عليه وصلينا معه[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري ج٢: باب ما جاء في عذاب القبر.

(٢) مسند احمد ج١: مسند عبد الله بن عباس، صحيح البخاري ج١: باب في الجنائز، المعجم الكبيرللطبراني ج١٢: باب الشجي عن ابن عباس.

(٣) صحيح ابن حبان ج٧: باب إباحة الصلاة على قبر مدفون.

قال أبو حاتم وفي هذا الخبر بيانٌ واضح أن صلاة المصطفى ﷺ على القبر إنما كان على قبرٍ منبوذ، ومنبوذ ناحية فدلتك هذه اللفظة بأن الصلاة على القبر جائزٌ أذا كان جديداً في ناحيةٍ لم تنبش، أو في وسط قبور لم تنبش، وأما القبور التي نبشت وقلب ترابها نجسٌ فلا تجوز الصلاة على النجاسة إلا أن يقوم الإنسان على شئٍ نظيف ثم يصلي على قبرٍ المنبوش دون المنبوذ الذي لم ينبش [١].

وهذه الروايات تعزز أن المعنى المراد من النهي عن جعل القبور مساجد هو تجنيب موطن الصلاة من موارد التلوث والقذارة والتحري عن الأماكن النظيفة للصلاة.

الدليل السادس: ما ورد من متفرقات الروايات الدالة على الحياة البرزخية لأهل القبور منها ما رواه مسلم في مسنده عن أبي هريرة عنه ﷺ: «أن امرأةً سوداء كانت تقوم في المسجد ـ أوشاباً ـ ففقدَها رسُولُ الله ﷺ، فسأل عنها ـ أو عنه ـ فقالوا مات قال «أفلا كنتم آذنتموني» قال فكأنهم صغروا أمرها ـ أو أمرهُ ـ فقال دُلوني على قبره فدلوهُ فصلى عليه أو عليها ثم قال: (إن هذه القُبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله ﷻ ينورها لهم بصلاتي عليهم)[٢].

كما أشار ابن حبان إلى ذلك وعقب على هذه الرواية وقال: (أن بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على أن ذلك من خصائصه ﷺ حيث ينكر هذه الخاصية لرسُول الله مع أنها ظاهرة في المطلوب ولها دلالة واضحة على الحياة البرزخية[٣].

وروى عن النبي ﷺ أنه قال (آنس ما يكون الميت إذا زاره من كان يحبه في الدار الدنيا[٤].

وورد في وفاء الوفاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام[٥].

---

(١) صحيح ابن حبان ج٧: باب إباحة الصلاة على قبر المدفون.

(٢) صحيح مسلم ج٣: باب القيام للجنازة، مسند أحمد ج٢: مسند ابي هريرة.

(٣) فتح الباري ج٣: باب الميت يسمع خفق النعال.

(٤) السيرة النبوية للشامي ج١١: ٣٨٢.

(٥) وفاء الوفاء ج٤: ١٣٥.

ومنها: أن النبي ﷺ أمر في معركة بدر بأن تلقى أجساد المشركين في بئر (قليب) ثم خاطبهم قائلا: (فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم. قال فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، فقال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. قال قتادة أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما)[١].

فهذا التعجب والاعتراض من بعض الصحابة لجهلهم بالحياة البرزخية لأصحاب القبور فرد النبي ﷺ بأنه (ما أنتم بأسمع).

ومفاد هذا الحديث يطابق ما ورد من مخاطبة النبي شعيب عليه السلام لقومه بعد هلاكهم في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾[٢].

كذلك ما ورد على لسان صالح في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٣].

* * *

(١) البخاري ج٥: باب قتل أبي جهل وباب قصة غزوة بدر.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩١ ـ ٩٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٨ ـ ٧٩.

الملحق

هدم القبور الطاهرة

هذا الملحق ليس من أفادات الشيخ الأستاذ
وإنما ذكرته زيادة في توضيح الحال



فتوى هدم القبور الطاهرة:

ذكرت أحدى الجرائد[١] الصادرة آنذاك على سؤال نصه هذا:

غادر مكة في شهر رمضان الماضي الشيخ عبد الله بن بليهد، قاضي قضاة الوهابيين في الحجاز، قاصداً المدينة المنورة، وقد تلقّت جريدة أم القرى من مكاتبها في المدينة أن الشيخ أبن بليهد أجتمع بعلماء المدينة وباحثهم في أمور كثيرة، ثم وجه إليهم السؤال الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، ما قول علماء المدينة المنورة ـ زادهم الله فهماً وعلماً ـ في البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟

واذا كان غير جائز، بل ممنوعٌ منهيٌ عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟

وإذا كان في البناء مسبّلة ـ كالبقيع ـ وهو مانع من الأنتفاع بالمقدار المبنيّ عليه، فهل هو غصب يجب رفعه، لِما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم، أم لا؟ وما يفعله الجُهّال عند هذه الضرائح، مِن التمسّح بها، ودعائها مع الله، والتقرب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السُرُج عليها، هل هو جائز أم لا؟

وما يُفعل عند حجرة النبي ﷺ، من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها وتقبيلها والتمسّح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف، من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة، هل هو مشروع، أم لا؟.

أفتونا مأجورين، وبيّنوا لنا الأدلة المستند إليها، لا زلتم ملجأ للمستفيدين.

---

(١) هي جريدة أم القرى، العدد ٦٩، بتاريخ ١٧ شوال ١٣٤٤ هـ. أي بعد هدم قبور البقيع بتسعة أيام.

وهذا نصّ الجواب:

أما البناء على القبور، فهو ممنوع إجماعاً؛ لصحّة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه؛ مستندين على ذلك بحديث علي عليه السلام عنه أنه قال لأبي الهيّاج: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيتهؤ رواه مسلم[١].

وأما اتخاذ القبور مساجد، والصلاة فيها، فممنوع مطلقاً، وإيقاد السُرُج عليه ممنوع أيضاً؛ لحديث ابن عباس: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرُجؤ. رواه أهل السُنن.

وأما ما يفعله الجُهّال عند الضرائح، من التمسح بها، والتقرب إليها الذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع الله، فهو حرامٌ، ممنوع شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجه إلى حجرة النبي ﷺ عند الدعاء، فالأولى منعه، كما هو معروف من فقرات كتب المذهب؛ ولأن أفضل الجهات جهة القبلة. وأما الطواف بها والتمسح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

وأما ما يُفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو مُحدثٌ. هذا ما وصل إليه علمنا السقيم.

ويلي ذلك توقيع ١٥ عالماً.

وقد علّقت جريدة أم القرى على هذه الفتوى بمقالة أفتتاحية قائلة: (إنّ الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين رضي الناس أم كرهوا). أنتهى[٢].

وهنا ينقل الشيخ البلاغي مقالة صادرة في بعض الجرائد المصرية حيث يقول: وأطلعت أيضاً على مقالة في بعض الجرائد المصرية[٣].

---

(١) صحيح مسلم ج٢: ٦٦٦. ح٩٣ / ٩٦٩.

(٢) موسوعة العلامة البلاغي ج٦: ٣١٩.

(٣) هي جريدة المقطم في عددها الصادر ٢٢ شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

وهذا نصّها:

تغلب الوهابيون على الحجاز، فأوفدت حكومة أيران وفداً ـ على رأسه حضرات أصحاب السعادة: ميرزا غفار خان جلال السلطنة، وزيرها المفوض في مصر، وميرزا حبيب الله خان هويدا عين الملك، قنصلها الجنرال بالشام ـ إلى الحجاز؛ ليتبيّنوا وجه الحقيقة فيما أُذيع على العالم الأسلامي أجمع من فضائع الوهابيين في البلاد المقدسة، وأتم هذا الوفد الرسمي مهمته، ورفع تقريره إلى حكومته.

ولما تجدد نشر الإشاعات بأن الوهابيين هم هم.

وأن التطور الذي غشي العالم أجمع لم يصلح من فساد تطرفهم شيئاً.

وأنهم هدموا القباب والمزارات المباركة المنبثة في أرجاء ذلك الوادي المقدس. وأنهم ضيقوا الحرية المذهبية الإسلامية، نشراً لمذهبهم، وتوسيعاً لنطاق نحلتهم، في الوقت الذي تقوم فيه جميع حكومات العالم على رعاية الحريات المذهبية.

أصدرت أمرها بوقف التصريح بالسفر للحجاز، حمايةً لرعاياها، وحفظاً لهم من قصدِ بلادٍ لم يعرف تماماً كُنه الحكم فيها.

وعادت فأوفدت سعادة ميرزا حبيب الله خان هويدا، قنصلها الجنرال في الشام ثانيةً، للتحقق من مبلغ صدق تلك الإشاعات، فإذا بها صحيحة في جملتها !

لم تمنع الحكومة الإيرانية رعاياها من السفر إلى الحجاز؛ لأن حكومته وهابية فحسب، ولكن الإيرانيين ألفوا في الحجّ والزيارة شؤوناً يعتقدون أنها من مستلزمات أداء ذلك الركن، ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهابيين، كزيارة مشاهد أهل البيت، والأستمداد من نفحاتهم وزيارة مسجد منسوب للإمام علي عليه السلام.

وقد قضى الوهابي على تلك الآثار جملةً، وقضى رجاله ـ وكل فرد منهم حكومة قائمة ـ على الحرية المذهبية.

ومن قرأ الفاتحة على مشهد من المشاهد جلد.

ومن دخن سيجارة أو نرجيلةً، أهين وضرب وزُج في السجن في الوقت الذي تحصّل فيه إدارة الجمارك الحجازية رسوماً على واردات البلاد من الدخان والتمباك.

ومن أستنجد بالرسول المجتبى (صلوات الله وسلامه) بقوله: (يا رسول الله) عُدَّ مشركاً. ومن أقسم بالنبيّ أو بآله، عُدَّ خارجاً عن سياج الملّة.

وما حادثة السيد أحمد الشريف السنوسي[١] ـ وهو علم من أعلام المسلمين المجاهدين ـ ببعيدة، إذ كان وقوفه وقراءته الفاتحة على ضريح السيدة خديجة (رضوان الله عليها) سبباً كافياً في نظر الوهابيين لإخراجه من الحجاز.

كل هذا حاصل في الحجاز لا ينكره أحد، ولا يستطيع الوهابي ولا دعاته ولا جنوده أن يكذّبوه.

انتهى ما أردنا نقله من تلك الجريدة [٢].

فكانت بعض الدول تستنكر ما فعلته الحكومة الوهابية، وأن زيـــارة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ من المعتقدات الحقة المسلّمة بين المسلمين وكما تقول الجريدة ـ ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهابيين كزيارة مشاهد أهل البيت، والأستمداد من نفحاتهم ـ بينما يرى الوهابية ذلك من الكفر والضلالة وقد أستنكرت ذلك هذه الجريدة التي تصدر من مقربة من جامع الأزهر.

هدم القبور:

لقد أنهالت معاول الجهل والعصبية على العتبات والمراقد المقدسة في المدينة المنورة والتي كان يؤمها المسلمون ليروا من خلالها معالم تأريخهم وآثار سلفهم الصالح... وليؤدوا أمامهم مراسيم التحية والإجـلال لرسول الإسلام العظيم النبي محمد ولآل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وبمبررات واهية ودعاوي زائفة، قام الجهلة المتعصبون بهدم الأضرحة المباركة

---

(١) هو السيد احمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي (١٢٨٤ ـ ١٣٥١هـ) ولد وتفقّه في (الجغبوب) من أعمال ليبيا، قاتل الأيطاليين في حربهم مع الدولة العثمانية سنة ١٣٣٩هـ دُعي إلى اسلامبول بعد عقد الصلح بين أيطاليا والعثمانيين، ثم رحل منها إلى الحجاز، كان من أنبل الناس جلالة قدر وسراوة حال ورجاحة عقل، وكان على علم غزير، وقد صنّف في أوقات فراغه كتباً عديدة. أنظر الأعلام للزركلي ١: ١٣٥.

(٢) موسوعة العلامة البلاغي ج٦: ٣١٩.

والبيوت المشرفة، التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه ضمن مقبرة البقيع وسائر أنحاء المدينة والحجاز بشكل عام.

ولقد فوجيء المسلمون في العالم بذلك الأعتداء الأثيم الذي أستهدف تاريخهم ومقدساتهم وتراثهم من قبل فئة محدودة لا يصح لها أبداً مهما كانت مبرراتها أن تفرض رأيها في قضية وموضوع يرتبط بكل المسلمين.

ولكن أولئك القائمين بجريمة هدم المقدسات استبدوا برأيهم، وخالفوا إجماع الأمة، وجرحوا مشاعرها، ورفضوا أي دعوة للحوار والنقاش حول الموضوع، كما لم يبالوا بصرخات الأعتراض والغضب التي عمت أجواء المسلمين[١].

فأول ما بدئوا بمدينة رسول الله ﷺ ثم باقي أرض الحجاز حتى أمتدت أيديهم إلى خارجها، ومن هنا سوف نبدأ بعرض ما فعلوه في المدينة المنورة، ثم مكة المكرمة ثم باقي البقاع.

أ ـ المدينة المنورة:

١ ـ قبر النبي ﷺ:

كانت هناك مجموعة من المجوهرات الثمينة على قبر النبي ﷺ، وهذه المجوهرات كانت تهدى إلى قبر النبي منذ وفاته وإلى يوم الثامن من شهر شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

فقد ذكر السمهودي تحت عنوان حكم معاليق المسجد النبوي) قال:

«أما حكم هذه المعاليق ونحوها من تحلية الصندوق المتقدم ذكره ـ وهو الصندوق الذي في الحجرة الشريفة ـ والقائم الذي بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتحليتها، وقد تكلم السبكي في حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التي حول الحجرة الشريفة، وألف في ذلك كتاباً سماه (تنزل السكينة على قناديل المدينة)...»[٢].

---

(١) يوم البقيع للأميني: ٦.

(٢) وفاء الوفاء ج٢: ١٤٥.

وقد ذكـر السمهودي ما شاهده من القناديل الذهبية والفضية التي لا يمكن أحصاء ثمنها.

ثم ينقل عن السبكي حكمها فيقول: «وأما القناديل التي فيها والصفائح التي عليها فلا يصرف منها شيء، بل تبقى على حالها، وقول عمر (لقد هممت أن لا أدع فيها صُفراً ولا بيضاء) محتمـــل للنوعين أي الذهب والفضة...»[١].

ثم قال: وقد سئلت عن جواز بيعها لعمارة المسجد النبوي، فأنكرته وأستقبحته، وكيف يبلغ ملوك الأرض أنا بعنا قناديل نبينا لعمارة حرمه ونحن نفديه بأنفسنا فضلاً عن أموالنا؟ وما برحت الملوك يفتخرون بعمارته.

ماذا يقول بورخارت:

كان جون لويس بورخارت الرحالة السويسري حج إلى مكة بعدما أعلن أسلامه، وقد زار المدينة المنورة وبعد أن يصف بورخارت سائر أجزاء الحرم والضريح المطهر، وما يوجد حوله من القبور الأخرى يقول: إن نفائس الحجاز كانت تحفظ في السابق حول هذه القبور إما معلقة بحبال من حرير يمتد في داخل المبنى، أو مودعة في صناديق خاصة موضوعة على الأرض.

ثم يتطرق إلى ذكر حصار الوهابيين للمدينة، وإلى أن يقول: أن شيئاً كثيراً من هذه النفائس، ولا سيما الأوعية الذهب منها، أستولى عليها رؤساء البلدة بحجة توزيعها على الفقراء لكنهم تقاسموها فيما بينهم بعد ذلك. وحينما دخل الأمير سعود الوهابي إلى المدينة وأستولى عليها دخل الحجرة النبوية نفسها ووصل إلى ما وراء الستائر فوضع يده على جميع النفائس التي وجدها هناك. وقد باع قسماً منها إلى شريف مكة وحمل الباقي إلى الدرعية معه. ومن الأعلاق النفيسة التي أخذها، وهي أغلى من أي شيء آخر، النجمة البراقة المتلألئه بالماس واللؤلؤ التي كانت معلقة فوق القبر المقدس مباشرة، وقد كانت تسمى (الكوكب الدري) وقد كانت تودع في هذا المكان جميع أنواع الأوعية والأواني الثمينة المطعمة بالجواهر، والأقراط، والأساور، والقلائد، وسائر

---

(١) المصدر السابق: ١٤٦.

النفائس التي كانت تهدى من جميع أنحاء الأمبراطورية العثمانية ويأتي بها الحجاج في أثناء زيارتهم للمدينة، ولا شك أن ذلك كله كان يؤلف مجموعة ذات قيمة غير يسيرة، لكنها لا تكاد تقدر بثمن[١].

ولا يعتقد بورخارت بأن الزينة التي وجدها في جهة الروضة وحول الضريح المطهر تناسب المقام المقدس. ولذلك يرى بأن أي كنيسة من الكنائس الكاثوليكية في أوربا تبدو أفخم وأجمل عند المقارنة، وإن المسلمين غير ميالين إلى التضحية بأموالهم في هذا الشأن مثل ما يفعله الكاثوليك، وحتى البروتستانت من النصارى[٢].

ولم يكتفوا بذلك بل دخلوا الوهابية مدينة كربلاء مغتنمين فرصة غياب جل الأهلين في النجف لزيارة الغدير ثم دخلها جيش الوهابية يوم ١٨ ذي الحجة عنوة وأعمل في أهلها السيف فقتل منهم ما بين أربعة الآف إلى خمسة آلاف وقتل الشيوخ والأطفال والنساء ولم ينج منهم إلا من تمكن من الهرب أو أختبأ في مخبأ ونهب البلد ونهب الحضرة الشريفة وأخذ جميع ما فيها من فرش وقناديل وغيرها وهدم القبر الشريف وأقتلع الشباك الذي عليه وربط خيله في الصحن المطهر ودق القهوة وعملها في الحضرة الشريفة ونهب من ذخائر المشهد الحسيني الشيء الكثير ثم كر راجعاً إلى بلاده[٣].

مقبرة البقيع:

روي أبن سعد والحاكم النيسابوري بأسناده عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يرتاد لأصحابه مقبرة يدفنون فيها[٤]، فكان قد جاء نواحي المدينة وأطرافها، قال: ثم قال: (أُمرت بهذا الموضع). وكان يقال بقيع الخبخبة، وكان أكثر نباته الغرقد، . . فكان أول من قبر هناك عثمان أبن مظعون، فوضع رسول الله ﷺ حجراً عند رأسه وقال: (هذا قبر فرطنا) وكان إذا مات المهاجر بعده، قيل يا

(١) موسوعة العتبات المقدسة ج٣: ٢٤٧.
(٢) المصدر السابق: ٢٥٠.
(٣) آل أبي طالب ج٤: ٢٩٩.
(٤) الشرح الكبير ج٢: ٣٨٩، المستدرك على الصحيحين ج٣: ١٨٩.

رسول الله، أين ندفنه؟ فيقول: (عند فرطنا عثمان بن مظعون)[١].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون، ثم أتبعه إبراهيم أبن رسول الله ﷺ)[٢].

النبي ﷺ يستغفر لأهل البقيع:

روي في صحيح مسلم والنسائي عن عائشة قالت: لما كان ليلتي التي رسول الله ﷺ فيها عندي أنفلت فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أني قد رقدت، فأخذ أزاره رويداً، وأنتعل رويداً، وفتح الباب، فخرج ثم أجافه رويداً، وجعلت درعي في رأسي، وأختمرت، وتقنعت إزاري، ثم أنطلقت على أثره حتى جاء البقيع فأقام، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم أنحرف فأنحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرته، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن أضطجعت، فدخل فقال: مالك يا عائش حشياً رابية قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته، قال: فأنتِ السواد الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم، فلهزني في صدري لهزة أوجعني، ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، قال: نعم، قال: فإن جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأخفيته منك، . . . فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قال: قلت كيف أقول لهم يا رسول الله؟. قال: قولي السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين[٣].

وغير ذلك من الأحاديث المروية من الفريقين. وقد ذكر السمهودي مواقع القبور والقبب وهذا مما يعني أن القبب والقبور كانت عامرة ومشيدة في زمانه حيث كانت سنة وفاته في (٩١١هـ) وذكر الحافظ الذهبي في ترجمة العباس عم النبي: «ودفن بالبقيع وعلى قبره اليوم قبة عظيمة من بناء خلفاء آل العباس»[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى ج٣: ٣٩٧. المستدرك على الصحيحين ج٣: ١٩٠، سير أعلام النبلاء ج١: ١٥٥، تاريخ الطبري ج٢: ١٧٧.

(٢) معجم البلدان ج٤: ٤٧١.

(٣) وفاء الوفاء، ج٣: ٧٧.

(٤) سير أعلام النبلاء، الترجمة١١، العباس عم النبي، ٢/ ٩٧.

روى صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج في ملأ من الناس من أصحابه كل عشية خميس إلى بقيع المدنيين»[١].

وروى أبن حجر عن محمد بن هيصم عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أشرف على وسط البقيع، فصلى فيه[٢].

وأخيراً فعلوها:

وبعد كل هذه الأحاديث النبوية قامت هذه الفئة الضالة بهدم هذه البقاع الطاهرة والتي كانت عامرة ومشيدة بالقباب العالية، يقول الرحالة ريتشارد بورتون: «وقبل أن نترك البقيع وقفنا وقفتنا الحادية عشرة عند القبة العباسية أو قبة العباس عم النبي، وهي أكبر وأجمل جميع القبب الأخرى...

وتوجد في القسم الشرقي قبور الحسن بن علي سبط النبي، والإمام زين العابدين بن الحسين، وأبنه محمد الباقر، ثم أبنه الإمام جعفر الصادق، وهؤلاء جميعاً من نسـل النبي وقد دفنوا في نفس المرقد الذي دفن فيه العباس»[٣].

ويصف أبن بطوطة قبة الإمام الحسن عليه السلام فيقول: «هي قبة ذاهبة في الهواء بديعة الأحكام»[٤].

ويقول رتر عند زيارته المدينة سنة (١٩٢٥) أي بعد أن أحتل الوهابيون المدينة:

... وحينما دخلت إلى البقيع وجدت منظره كأنه منظر بلد قد خُربت عن آخرها. فلم يكن في أنحاء المقبرة كلها ما يمكن أن يرى أو يشاهد، سوى أحجار مبعثرة وأكوام صغيرة من التراب لا حدود لها.

ثم يقول: فقد هدمت واختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدل على قبور آل البيت النبوي في السابق...[٥].

---

(١) كامل الزيارات: ٥٢٩، مستند الشيعة ج٣: ٣٢٠.

(٢) الإصابة ٧: ٣٦٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ج٨: ٢٧٣.

(٤) رحلة ابن بطوطة.

(٥) موسوعة العتبات المقدسة ج٣: ٣٢٩.

مشاهد مشاهير البقيع:

ونذكر الآن القبور التي هدمتها هذه الشرذمة:

١ ـ قبر الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ ـ قبر الإمام علي ابن الحسين عليه السلام.

٣ ـ قبر الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين عليه السلام.

٤ ـ قبر الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر عليه السلام.

٥ ـ عباس عم رسول الله ﷺ.

وكانوا كلهم في قبة واحدة والتي كانت من اكبر القباب في البقيع.

ويقول السمهودي: وعليهم قبة شامخة في الهواء.

وقال ابن النجار: وهي كبيرة عالية قديمة البناء وعليها بابان يفتح احدهما كل يوم[1].

٦ ـ فاطمة بنت أسد الهاشمية.

وهي أم الإمام علي عليه السلام. ومربية رسول الله ﷺ عن جابر بن عبد الله قال:

بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ آتاه آت وقال: يا رسول الله، أن أم علي وجعفر وعقيل قد ماتت فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى أمي، فقمنا وكأن على رؤوس من معه الطير، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال: إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها، فلما خرجوا بها جعل رسول الله ﷺ مرة يحمل، ومرة يتقدم، ومرة يتأخر حتى انتهينا إلى القبر فتمعك في اللحد ثم خرج فقال: أدخلوها باسم الله وعلى أسم الله، فلما أن دفنوها قام قائما فقال: جزاك الله من أم وربيبة خيراً، فنعم الأم ونعم الربيبة كنت لي، قال: فقلنا له أو قيل له، يا رسول الله ﷺ لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط، قال: ما هما؟.

---

(١) وفاء الوفاء ج٣: ١٠٠.

قلنا: نزعك قميصك وتمعكك في اللحد، قال ﷺ: أما قميصي لا أريد أن تمسها النار أبداً إنشاء الله تعالى، وأما تمعكي في اللحد فأردت أن يوسع الله عليها في قبرها[١].

ليت رسول الله ﷺ حاضر اليوم ليرى حال قبر أمه وربيبته عليها السلام، فقد هتكوا حرمته رجال مروان ابن الحكم اليوم. وضيعوا علامته على محبيها ومحبي ولدها علي عليه السلام.

٧ ـ بنات رسول الله ﷺ، أو ربائبه.

أ ـ زينب

ب ـ رقية

ج ـ أم كلثوم

٨ ـ زوجات رسول الله ﷺ. وهن:

ـ أم سلمة.

ـ حفصة.

ـ ريحانة بنت زيد.

ـ زينب بنت جحش.

ـ زينب بنت خزيمة.

ـ صفية بنت حيي.

ـ عائشة بنت أبي بكر.

ـ مارية القبطية.

٩ ـ عمات رسول الله ﷺ.

ـ صفية بنت عبد المطلب.

ـ عاتكة بنت عبد المطلب.

---

(١) وفاء الوفاء ج٣: ٨٧.

١٠ ـ عقيل بن أبي طالب.

١١ ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

١٢ ـ أم البنين:

وهي فاطمة الكلابية، زوجة الإمام علي عليه السلام، وأم العباس بن علي عليه السلام.

١٣ ـ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.

مات وهو صغير، وحزن عليه رسول الله ﷺ. كثيراً وهو ثاني من دفن في البقيع بعد عثمان بن مظعون وأمه مارية القبطية.

يقول السمهودي: مشهد سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله ﷺ. وقبره على نعت قبر الحسن والعباس عليهما السلام، وهو ملصق إلى جدار المشهد القبلي، وفي هذا الجدار شباك[1].

وهذا يعني أن قبر سيدنا إبراهيم بن رسول الله ﷺ كان يشبه قبور أئمة

البقيع عليهم السلام من ناحية القبة والبناء حيث يقول: (على نعت قبر الحسن والعباس) بل هناك شباك كما يقول وهذا يدل على أن قبورهم كانت مشيدة.

١٤ ـ حليمة السعدية ـ وهي مرضعة رسول الله ﷺ.

١٥ ـ أبو سعيد الخدري

١٦ ـ محمد بن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

١٧ ـ عثمان بن مظعون:

وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر قال: كان عثمان بن مظعون أول من مات من المهاجرين، فقالوا: يا رسول الله أين ندفنه؟، قال ﷺ: ندفنه بالبقيع.

قال: فلحد له رسول الله ﷺ وفضل حجر من حجارة لحده، فحمله رسول الله ﷺ فوضعه عند رجليه، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مر على ذلك الحجر فأمر به فرمى به، وقال: والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بني أمية

(١) وفاء الوفاء ج٣: ١٠١.

فقالوا: بئس ما صنعت، عمدت إلى حجر وضعه النبي ﷺ فرميت به، بئس ما عملت، فمر به فليرد، فقال: أما والله إذ رميت به فلا يرد[(١)].

وفي رواية أخرى عن ابن شهاب وغيره أن عثمان (بن عفان) منع من البقيع، فدفن في حش كوكب، وكان عثمان بن مظعون أول من دفن بالبقيع، فجعل رسول الله ﷺ أسفل مهراس علامة على قبره ليدفن الناس حوله، وقال: لأجعلنك للمتقين إماماً، فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة في ملكه ادخل الحش في البقيع، وحمل المهراس وجعله على قبر عثمان، وقال: عثمان وعثمان. .[(٢)].

من هنا حصل الخلط بين القبرين والى الآن هذه الشبهة موجودة، وعلى ضوء هذا ـ وهذا هو المعروف ـ إن القبر الذي ينسب اليوم إلى عثمان بن عفان هو في الحقيقة قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

١٨ ـ شهداء الحرة:

استشهد هؤلاء في سنة (٦٣ هـ) في معركة الحرة بأمر من يزيد بن معاوية وعلى يد مسلم بن عقبة، عندما هجم على مدينة رسول الله ﷺ، وقتل حوالي سبعة آلاف نفر من أهل المدينة وكلهم من المهاجرين والأنصار والسادات وشيعة رسول الله ﷺ. وانتهك حرمة النساء، واحرق الحرث والنسل، ومكان قبورهم في بقعة خاصة من شهداء احد وسط المقبرة.

١٩ ـ سعد بن معاذ الاشهلي رضي الله عنه.

وقد صلى عليه ودفنه رسول الإنسانية محمد ﷺ.

٢٠ ـ مالك بن انس الاصبحي: (تلميذ الإمام الصادق عليه السلام وإمام المالكية) عليه قبة صغيرة وإلى جانبه في المشرق والشام قبة لطيفة أيضاً. . ويقال إن بها نافعاً مولى أبن عمر[(٣)].

---

(١) وفاء الوفاء ج٣: ٨٤.

(٢) المصدر السابق: ٩٩.

(٣) أعيان الشيعة: ج٣: ٣١٦.

٢١ ـ عبد الله بن مسعود.

٢٢ ـ أسعد بن زرارة: أول من دفن في البقيع من الأنصار.

٢٣ ـ مالك بن نويرة.

٢٤ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري.

٢٥ ـ زيد بن أرقم.

وغير ذلك من الصحابة الأجلاء لرسول الله ﷺ ك ـ (حسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وزيد بن حارثة).

وكذلك دفن في البقيع أكثر أولاد الأئمة المعصومين عليهم السلام كأبناء الإمام الباقر عليه السلام وسكينة وفاطمة (بنتا الإمام الحسين عليه السلام) وأبناء الإمام السجاد عليه السلام وكذلك شهربانوا أم الإمام السجاد وغيرهم.

إسماعيل أبن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

توفي سنة ١٣٣ ه ـ في حياة أبيه الإمام الصادق عليه السلام بعشرين سنة.

قال السيد الأمين: قبره الآن خارج البقيع، بينهما الطريق: بجانب سور المدينة المنورة، ولعله كان داخلاً فيه قبل جعل هذا الطريق، وهو مشيد عليه قبة عظيمة هدمها الوهابيون في هذا العصر[١].

ويقول السمهودي: مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، وهو كبير يقابل مشهد العباس في المغرب، وهو ركن سور المدينة اليوم من القبلة والمشرق، بني قبل السور فأتصل السور به، فصار بابه من داخل المدينة، قال المطري: بناه بعض العبيديين من ملوك مصر[٢].

وقال الشيخ المدني: وكان يقع (قبر إسماعيل) في الوسط بين الحرم النبوي والبقيع.

(١) وفاء الوفاء ج٣، ١٠٣.
(٢) التاريخ الأمين: ٣٤٢.

وأنا شاهدت هذا القبر قبل طمسه وهدمه[١].

ومن خلال هذا يتضح أن قبر إسماعيل أبن الإمام الصادق عليه السلام كان مشيداً وعليه قبة ويزار، ولكن يد الضلال نبشت القبر سنة (١٤٢٧هـ) خلال التوسعة الأخيرة للمسجد النبوي، وهناك جماعة من المؤمنين شاهدوا نقل جثمانه الطاهر إلى البقيع وكان الجسد الشريف طرياً ولم يبلَ، ودفنوه شرق شهداء الحرة، ولكن الوهابية أزالت العلامة والأثر، كما هو دأبهم. واليوم موجود في مكان القبر القديم صندوق (كشك) أو صندوقين يباع فيها المصحف الشريف.

علي أبن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

وهو أبن الإمام الصادق عليه السلام ويلقب بالعريضي نسبة إلى العريض وهي قرية تقع على بُعد أربعة أميال من المدينة، مات أبوه وهو طفل، وأخذ العلم عن أخيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

«كان علي بن جعفر عليه السلام سيداً جليل القدر، عظيم الشأن، شديد الورع، عالماً كبيراً، راوية للحديث، كثير الفضل، أدرك الإمام الجواد عليه السلام بل يقول صاحب (عمدة الطالب): أدرك الهادي عليه السلام وتوفي في أيامه، لزم موسى أخاه عليه السلام وأخذ عنه معالم الدين ومن بركاته (مسائل علي بن جعفر) الذي بين أيدينا، ونقلها العلامة المجلسي (عليه الرحمة) في المجلد الرابع من (البحار). وأجمالاً فجلالة شأن هذا الرجل الكبير أعظم من أن يتسع لها المقام وقد أثنى عليه علماء الرجال ثناءاً بليغاً.

وذكر الشيخ الكشي أنه لما عزم الطبيب على فصد الإمام محمد الجواد عليه السلام وأقترب بالمبضع منه تقدم علي بن جعفر فقال للطبيب: ابدأ بفصدي كي لا تؤلمه حدة المبضع ولما نهض الجواد عليه السلام ليخرج قدم له علي بن جعفر نعليه فوضعهما أمام قدميه في حين انه كان شيخاً محترماً وكان الجواد عليه السلام ما يزال حدثاً.

ويروي الشيخ الكليني عن محمد بن الحسن بن عمار انه قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد عليهما السلام جالساً وكنت أقمت عنده عشر سنين أكتب عنه وما سمع من أخيه

(١) منتهى الآمال ج٢: ٢١٤.

(يعني أبا الحسن) إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد مسجد رسول الله ﷺ فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يديه وعظمه.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم اجلس رحمك الله فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم؟ فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال: اسكتوا إذا كان الله عز وجل ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهل هذه الشيبة و أهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه أنكر فضله؟ نعوذ بالله مما تقولون بل أنا له عبد»[1].

قال النمازي: من أصحاب أبيه وأخيه الكاظم والرضا والجواد والهادي (صلوات الله عليهم)، جليل القدر عظيم الشأن ثقة بالاتفاق. له كتاب المناسك والمسائل، وكتاب المسائل معروف مشهور روي عنه في الوسائل والبحار وغيرهما.

وبالجملة سكن العريض فنسب ولده إليها. ونقل المامقاني قصته مع مولانا الجواد عليه السلام الدالة على حسنه وكماله وجلالته، وعمره أزيد من مائة وعشرين سنة[2].

وعن علي بن محمد عن موسى بن جعفر بن وهب. عن علي بن جعفر قال: كنت حاضراً أبا ألحسن عليه السلام لما توفي ابنه محمد فقال للحسن: يا بني أحدث لله شكرا فقد أحدث فيك أمراً [3].

وهذا ما يدلل على انه أدرك الإمام علي الهادي عليه السلام:

وان قصته مع الإمام الجواد عليه السلام يدل على عظمة إيمانه، وتقواه، وكذلك يدلل على أن أمر الإمامة أمر وحياني وأمر الهي وسماوي، وليست قضية الإمامة هي أمر تشهي أو تزعم أو ترأس أو انتخاب، فلو كان هكذا لنازع في الأمر كما نازع هابيل قابيل، أو جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام.

فموقفه هذا ـ أي علي ابن جعفر ـ في ذروة الإيمان ويمثل مدرسة تربوية على

(١) مستدركات علم الرجال ج٥: ٣١٩. رقم ٩٧٧٠.
(٢) الكافي ج١: ٣٢٦.
(٣) إن الآتي من مطار المدينة المنورة بأتجاه الحرم على يمين الطريق يشاهد منطقة العريض.

الإيمان في تاريخ مذهب التشيع ومذهب أهل البيت عليهم السلام وهو يشابه موقف أبي الفضل العباس عليه السلام مع أخيه الإمام ألحسين عليه السلام في التبعية والطاعة.

والمهم إن علي بن جعفر عليه السلام توفي في منطقة العريض وهي قرية على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة[١] ومات بهـا، وعليه بها قبة عظيمة (عليه وعلى آبائه ألصلاة والسلام)[٢].

قال المحدث النوري: الحق أن قبره بالعريض، كما هو معروف عند أهل المدينة، وقد نزلنا فيه في بعض أسفارنا، وعليه قبة عالية[٣].

كان قبره سابقاً يزار من بعض المؤمنين وكان في مسجد قديم، وكان مدفون معه ابنه أو حفيده، وفي سنة (١٤٢٣ هـ) امتدت اليد العدوانية بهدم المسجد وقبره الطاهر، بل نبشوا القبر الشريف ونقلوا الجثمان الطاهر إلى البقيع ودفن بالقرب من الجدار المطل على قبور الأئمة الأطهار وذلك حسب ما نقل أحد ألثقاة من أهل المدينة.

وكان احد المؤمنين القاطنين في المدينة المنورة من ضمن طاقم العمل وذكر إن الجسد الشريف لم يبلَ وذكر أن اليوم الذي نقل فيه الجسد الشريف إلى البقيع، كأنما هو يوم من حياة الإمام الصادق عليه السلام حيث جدد التشييع مجددا.

آمنة بنت وهب:

توفيت آمنة بنت وهب رضي الله عنها في الابواء[٤] بين مكة والمدينة عند عودتها إلى مكة ومعها ولدها رسول الله صلى الله عليه وآله وعمره الشريف ست سنين، وكانت قاصدة المدينة لتقدم بولدها على أخواله بني النجار، وقيل لتزور قبر زوجها عبد الله ومعها ولـدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) هامش تهذيب التهذيب ج٧: ٢٥٨.

(٢) مستدرك الوسائل ج٣: ٦٢٦.

(٣) الأبواء: سميت الأبواء لتبوء السيول بها، وقيل الأبواء جبل على يمين آرة، ويمين الطريق إلى مكة من المدينة، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل. قال السكري: الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة. معجم البلدان ج١: ٧٩.

(٤) الفايق في غريب الحديث للزمخشري ج١: ١٧٧.

وروي أن قريشاً لما خرجت في غزوة احد فنزلوا الابواء، قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان ابن حرب: لـو نجثم قبر أمنة أم محمد فانه بالابواء [١].

وفي رواية أخرى، أضافت هند، فان أسر ﷺ منكم احد فديتم كل إنسان بأرب من أرابها،أي جزء من أجزاءها [٢].

فما هو الفرق بين الأمس واليوم، فقد نبش أتباع هند قبور أولاد الإئمة عليهم السلام وأولاد رسول الله ﷺ، بل وهدموا اليوم قبر آمنة أم محمد ﷺ كي تفرح أمهم هند وتكتمل المؤامرة.

والمهم أن ألابواء كانت مدينة أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث ولد فيها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وكان للإمام الصادق عليه السلام بستان، وكانت مضيفاً لائمة أهل البيت عليهم السلام، بل حتى جملة من الفقهاء ورواة الإئمة كانت لديهم مأوى ومسكن، والبعض منهم توفـــي ودفن فيهـا.

وتقع ألابواء بين جدة في الخط السريع إلى المدينة المنورة، وتوجد فيها سلسلة جبال متوسطة الارتفاع تحيط بها، وفوق احد هذه الجبال ـ وهو جبل ترابي وليس صخرياً ـ يقع قبر السيدة أمنة بنت وهب رضي الله عنها. ومجموعة من الفقهاء والرواة.

فقد حاولوا نسف القبر، فهيئوا أبناء هند جرافة كبيرة وأخفوا كل القبور الموجودة هناك. وقد تشرف عدة من طلبة العلوم الدينية بزيارتها في يومٍ ما بين الطلوعين حيث كانت هيئة الامر بالمنكر والنهي عن المعروف نائمة مع الشياطين.

وقد كان احد التجار وهو من اهل السنة يقيم احتفالا سنويا بمناسبة مولد النبي ﷺ عند قبرها رضي الله عنها.

فقد جاء انه ﷺ لما مر بالابواء في عمرة الحديبية قـــال: ان الله أذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر آمه، فأتاه وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائــه ﷺ.

فان النبي ﷺ زار قبر أمه آمنة بل وأصلحهُ ونحن: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ

(١) السيرة الحلبية ج٢: ٢١٨.

(٢) حياة النبي وسيرته ج١: ٤٥.

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. نتبع رسول الله ﷺ في أفعاله وأقواله، وأكيد أن النبي ﷺ يفرح بزيارة أمه وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كيف لا نزورها ونقدسها وهي التي أنجبت أطهر وأعظم رجل في العالم كله من آدم إلى يوم القيامة، كيف لا نزورها وهي أمُ من يقول الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، كيف لا وهو أبو الزهراء عليها السلام، كيف لا نزورها وهي أم أخ علي إمام المتقين عليه السلام، فهل من المعقول ان امرأة أنجبت هكذا رجل يجرف قبرها ويخفى لانها أم لرسول الله ﷺ، فما هو الفرق اذن بين هند آكلة الاكباد وهؤلاء. فاذا كانوا يدينون بالشهادتين، فكــذلك هند ومعاوية، وكذلك ابن ملجم، وكذلك الحجاج، وغيرهم أكثر مما تعد، فكلهم يشهدون بالشهادتين؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عبد الله بن عبد المطلب:

يعد ضريح عبد الله بن عبد المطلب ـ والد الرسول الاعظم ﷺ ـ من الاثار المهمة والمعروفة في المدينة المنورة، التي تقع خارج البقيع حتى عام (١٩٧٦ م)، فتمت ازالته عند توسيع المسجد النبوي.

ويقع وفق ما جاء في بعض الكتب، في سوق (الطوال) في امتداد باب السلام، وكان الشارع الذي عليه المشهد بشارع (العينية) فهــو قريب من مسجــد الغمامة، والمسافة بينهما (١٠٠ م) تقريبا في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد [١].

حيث روي ان عبد المطلب بعث ابنه عبد الله في ميرة إلى الشام، وعند رجوعه ووصوله إلى المدينه سائت صحته، فخلفه رفاقه وانطلقوا إلى مكة، ومات في مرضه ذاك، ودفن جسده الطاهر في دار النابغة الجعدي [٢]، وهو من بني النجار أخوال النبي ﷺ.

إن طمس آثار أباء النبي ﷺ هو طمس لذكره ﷺ وبالتالي هو طمس لآثار النبوة.

وقد ورد في الروايات ان رسول الله ﷺ ذهب في احدى الليالي إلى قبر

(١) معالم المدينة المنورة: ١٢.
(٢) منتهى الآمال ج١: ٢٢.

أبيه وصلّى عنده ركعتين لله، وراح يناديه، فإذا بالقبر ينشق فجأة، وعبد الله جالس فيه يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّك نبي الله ورسوله).

فسأله من وليّك يا أبه؟ فأجابه متسائلاً: ومن وليّك يا بني؟ قال: إنه لعليٌ وليّك، قال: أشهد أن علياً وليّي؛ ثمّ إنه لمّا عاد إلى بستانه، دنا من قبر أمه، وفعل نحو ما فعل عند قبر أبيه.

يقول العلامة المجلسي (رضوان الله عليه): يظهر من هذه الرواية أنهما كليهما آمنا بالشهادتين، وأن إرجاعهما كان لكي يكمل إيمانهما بالإقرار بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، عم الرسول الاكرم ﷺ، استشهد في وقعة احد، واستشهد معه سبعون مسلما، وكان ذلك اليوم يوم تمحيص، اغتاله وحشي بحربة بتحريض من هند لعنها الله، ولما استشهد مثلت به هند بنت عتبه ام معاويه وجدة يزيد (لعنه الله)، فأستخرجت كبده وأكلت منه. وقطعت أذنيه وجعلتهما قلادة في عنقها، وقطعت يديه ورجليه ومذاكيره، ويروى انها اعطت وحشيا عهدا لئن قتل محمدا ﷺ أو علياً عليه السلام أو حمزة عليه السلام لتعطيه رضاه [2].

وقد وقف النبي ﷺ على جسد عمه الحمزة وقال: لن اصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفا أغيظ الي من هذا، ثم قال: جائني جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوب في اهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله، وأمر به النبي ﷺ فسجي ببرده ثم صلى عليه فكبر عليه سبعاً ودفنه [3].

ولما جاء قاتل الحمزة إلى النبي ـ يعني لما أسلم ـ قال له رسول الله ﷺ: أنت قتلت حمزة؟.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مراقد المعارف ج١: ٢١٦.
(٣) وفاء الوفاء ج

فقال: قد كان من الامر ما بلغك.

قال الرسول ﷺ: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني[(١)]؟.

وفي روايه ان رسول الله ﷺ قال له: أوحشي؟ قال: نعم. قال ﷺ: أخبرني كيف قتلت عمي؟.

فأخبره، فبكى وقال: غيب وجهك عني. وهو أول من جلد في ألخمر [(٢)].

وعن ابي جعفر أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تزور قبر حمزة رضي الله عنه ترممه وتصلحه، وقد تعلمته بحجر، وفي روايه أخرى كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة وتصلي وتبكي عنده[(٣)].

وروى يحيى انه لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير فقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[(٤)].

اللّهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء، فأتوهم وسلموا عليهم، فلن يسلم عليهم أحد ما قامت السموات والأرض إلا ردوا عليه، ثم وقف موقفاً آخر فقال: هؤلاء أصحابي الذين أشهد لهم يوم القيامة، فقال أبو بكر: فما نحن بأصحابك؟ فقال: بلى، ولكن لا أدري كيف تكونون بعدي، إنهم خرجوا من الدنيا خماصاً[(٥)].

وذكر البيهقي، أن الواقدي قال: كانت فاطمة الخزاعية تقول: لقد رأيتني وغابت الشمس بقبور الشهداء ومعي أخت لي، فقلت لها: تعالي نسلم على قبر حمزة فوقفنا على قبره، فقلنا: السلام عليك يا عم رسول الله ﷺ، فسمعنا كلاماً رُدّ علينا، وعليكم السلام ورحمة الله.

---

(١) المصدر السابق: ١١٣.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢: ٢٥.

(٣) وفاء الوفاء ج٣: ١١١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٥) وفاء الوفاء ج٣: ١١٠.

وعن العطاف عن خالته: فسمعت رد السلام، وقالوا: والله إنّا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضاً[١].

وهذه الروايات رواها صاحب الوفاء بأسانيد صحيحة عندهم، وهذا إنما يدل على أن شرعية زيارة القبور، وأنهم يسمعون ويردون السلام وقد ثبت في الصحيح أن فاطمة الزهراء ﷺ كانت في حياة أبيها الرسول ﷺ تزور قبر عمها حمزة فلو كانت هناك حرمة أو شرك كما يعبرون لنهاها رسول الله ﷺ... بل إنه قال ﷺ: «من زارني ولم يزر قبر عمي حمزة فقد جفانيۏ.

إذن لماذا يمنعونا من التقرب إليهم وإلى رسول الله ﷺ، فهم يريدون أن يبعدونا عنهم، ويبعدوهم عنا بكل الطرق والوسائل، ولكن الله ورسوله ﷺ وأهل بيته يعلمون علم اليقين أن قبورهم في قلوبنا فلا يستطيعون الظلمة من أعدائهم أن يمحوها.

موقع قبر حمزة ﷺ:

يقع قبر حمزة وبقية الشهداء، في مقبرة بالقرب من جبل أحد، يقع هــذا الجبل بالقرب من المدينة المنورة وعلى بعد (٤كم) منها.

يقول السمهودي: وعليه قبة عالية حسنة متقنة وبابه مصفح كله بالحديد، بنته أم الخليفة الناصر لدين الله وذلك في سنة تسعين وخمسمائة... وقريب منه مسجد يذكر أنه موضع قتله.

ثم يقول: وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبني مجصص بالقصة لا خشب عليه وفي أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[٢]، هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ﷺ ومصلى النبي ﷺ[٣].

واليوم قبره عبارة عن أرض جرداء مسورة في وسطه قبران ظـاهران محددان الشرقي منهما ينسب لحمزة والغربي لمصعب بن عمير وعبد الله بن جحش أبن عمة

---

(١) المصدر السابق: ١١٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨.
(٣) وفاء الوفاء ج٣: ١٠٤.

النبي وأخي زوجته، ومن خلفهما مجموعة قبور محددة تدل على قبور جمع من الشهداء.

محمد النفس الزكية:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط أبن علي بن أبي طالب عليه السلام. ولد سنة مائة، وأستشهد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة.

قتل أيام أبي جعفر المنصور. ومشهده شرقي جبل سلع، وعليه بناء كبير بالحجارة السود، وقصدوا أن يبنوا عليه قبة فلم يتفق، وهو داخل مسجد كبير مهجور[١].

ومرقده بضواحي مدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في الموضع الذي أستشهد فيه ويعرف: (بأحجار الزيت)[٢]، وقيل نقل جسده إلى البقيع وأقبر فيه[٣].

وهناك قبور كثيرة لصحابة النبي صلى الله عليه وآله، ولأبناء الأئمة عليهم السلام في البقيع وفي المدينة قد طمست بيد هذه الشرذمة التي أبتليت بهم هذه الأمة.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام ـ مضموناً ـ أن كثيراً من معالم رسول الله طمست فلم يبقوا لها أثراً.

فماذا يقول الإمام الصادق عليه السلام في مثل هذا فإن خطبها أعظم وأكثر قساوة.

إن الإنسان فيه جنبة حسية وجنبة بشرية، فالذي يشده إلى الدين هو المعالم الجغرافية، ولذلك جعل الله عز وجل له بيتاً مع أن هذا البيت ليس معناه أن الله عز وجل جسم وهذا بيته، وإنما جعل هذه المعالم مشاعر شعرها عز وجل لأجل أن تلصق البشر حساً بالباري تعالى.

من المدينة إلى مكة:

توجد في مدينة مكة المكرمة معالم كثيرة لا تعد ولا تحصى، فإنها أي مكة بلد

(١) وفاء الوفاء ج٣: ١٠٥.

(٢) أحجار الزيت موضع بالمدينة قريب من الزوراء وهو.. وهو موضع الأستسقاء.. وقال العمراني: أحجار الزيت موضع بالمدينة داخلها. معجم البلدان ج١: ١٣٣.

(٣) مراقد المعارف ج٢: ٢٤٠.

أباء وأجداد النبي ﷺ وكانت فيها ولادته، وبداية دعوته إلى الإسلام، وموضع مهبط الوحي.

مولد النبي ﷺ:

ولد النبي ﷺ في دار آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ وتقع الدار في فم شعب أبي طالب بالقرب من المسجد الحرام، مقابل باب السلام. وهو الشعب الذي كان يسكنه بنو هاشم وفيه حاصرتهم قريش عند بعثته ﷺ وبني فوقه مسجد ثم هدم، ثم بنيت في المكان نفسه ـ مكان ولادته ـ عمارة جعلت مقراً لمكتبة مكة سنة (١٣٧١ هـ)، يقول أبن جبير في رحلته:

«ومن مشاهدها الكريمة أيضاً مولد النبي ﷺ والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مست جسمه الطاهرة، بني عليها مسجد لم يُر أحفل بناء منه، أكثره

ذهبٌ منزلٌ به، والموضع المقدس الذي سقط فيه ﷺ ساعة الولادة السعيدة المباركة التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين، محفوف بالفضة، فيا لها من تربة شرفها الله بأن جعلها مسقط أطهر الأجسام ومولد خير الأنام. يفتح هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافة متبركين به في شهر ربيع الأول ويوم الأثنين منه... وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها وهو يوم مشهور بمكة دائماً»[١].

ويقول بورخارت: إنه وجـد العمال يعيدون بناء المبنى الذي كان مشيداً فوقه، وقد وجد حفرة صغيرة في الوسط قيل له إنها البقعة التي كانت أم النبي جالسة فيها حينما جاءها المخاض فولدته.

دار السيدة خديجة عليها السلام:

وهو من أطهر المنازل بعد منزل مولد النبي ﷺ، وفيه نزل القرآن الكريم، فكان نزول الوحي فيه مراراً، وفيه تم زواج رسول الله ﷺ من خديجة عليها السلام، وفيه ولدت السيدة خديجة فاطمة الزهراء عليها السلام، وفيه بات أمير المؤمنين عليه السلام في مكان رسول الله ﷺ عندما أراد الأعداء الهجوم على رسول الله ﷺ وقتله. وفيه أيضاً توفيت السيدة خديجة عليها السلام.

(١) موسوعة العتبات المقدسة ج٢: ١١٦.

ويقول أبن جبير: وعلى مقربة من دار خديجة (رضوان الله عليها)... وفي الزقاق الذي يلي الدار المكرمة فيه مصطبة فيها متكأ يقصد الناس إليها ويصلون فيها ويتمسحون بأركانها لأن في موضعها كان موضع قعود النبي ﷺ[١].

وتقع دار خديجة عليها السلام حالياً بالقرب من الصفا والمروة في الساحة التي أصبحت موقف لحافلات نقل الركاب، وليس لها أثر اليوم.

وفي نفس المكان دار أبي طالب عليه السلام الذي تربى وترعرع فيها رسول الله ﷺ والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[٢].

وفي هذه المنطقة تقع الكثير من دور بني هاشم وبني عبد المطلب. ودار الأرقم بن الأرقم.

مقبرة جنة المعلاة:

وتسمى بمقبرة الحجون، لوجود جبل الحجون المشرف على هذه المقبرة، وتسمى مقبرة أبي طالب، وجنة المعلى.

وتقع هذه المقبرة في الشمال الشرقي من مدينة مكة المكرمة بين طريقين، شارع المسجد الحرام، وشارع الحجون بالقرب من جبل الحجون، وجسر المعابدة.

والذي تم دفنهم في هذه المقبرة هم:

١ ـ قصي بن كلاب الجد الأكبر للنبي ﷺ وهو أول من دفن في هذه المقبرة. ودفن معه أولاده الأربعة.

٢ ـ عبد المطلب بن هاشم.

٣ ـ أبو طالب بن عبد المطلب. أبو الإمام علي عليه السلام.

وهما اللذان كفلا النبي ﷺ بعد وفاة أبيه وبعد وفاة أمه، وحزن ﷺ حزناً كثيراً على عمه أبي طالب عليه السلام.

٤ ـ خديجة بنت خويلد.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) دليل الحاج: ٤٤.

زوجة رسول الله ﷺ الأولى، ولم يتزوج ﷺ عليها إلا بعد وفاتها، وهي أم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأول نساء هذه الأمة إسلاماً كما يقول الإمام الحسين عليه السلام، وقد بشرها رسول الله ﷺ بأن لها بيتاً في الجنة [١].

قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب [٢] فيه ولا نصب» [٣][٤].

وروت عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من الثناء عليها والإستغفار لها، فذكرها يوماً فأحتملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله تعالى من كبيرة السن. فرأيته غضب غضباً أسقطت في خلدي، وقلت في نفسي: اللهم إنك إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد إلى ذكرها بسوء.

فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وآوتني إذ رفض الناس، ورزقت منها الولد وحُرمتيه مني. قالت: فغدا وراح علي بها ـ أي بهذه المقالة ـ شهراً» [٥].

وكان رسول الله ﷺ لا يفارق قبرها إلى أن هاجر من مكة، وكان على قبرها قبة.

وقد ذكر بورخارت في رحلته أن الوهابيين قد هدموا القبة التي كانت مشيدة على قبر (ستنا خديجة) ولم يعد بناؤه، مع أن الحجاج وسائر الناس كان من المعتاد أن يزوروه بأنتظام، لا سيما في أيام الجمع صباحاً. ويقع هذا القبر في المقبرة الموجودة في محلة (المعلا) وهو محاط بجدار مربع ليس فيه ما يلفت النظر سوى حجر حفرت عليه آية الكرسي بخط كوفي [٦].

هذا هو حال قبور أعز الخلق لرسول الله ﷺ بعد وفاته، فإن هذه الشرذمة أكملت تلك المؤامرة التي شنها مشركو قريش وبنو أمية على أهل بيت النبي ﷺ. ماذا يقولون

---

(١) أم المؤمنين خديجة: ٢٣.

(٢) الصخب: الصوت والضجيج.

(٣) النصب: التعب.

(٤) بحار الأنوار ج١٦: ٧، الحديث: ١٢، تاريخ اليعقوبي ج٢: ٣٢.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ج١: ٢٣٨.

(٦) موسوعة العتبات المقدسة ج٢: ٢٧٧.

لرسول الله ﷺ يوم القيامة؟! أنحن الذين طمسنا آثارك يا رسول الله ﷺ أم يقولون دعونـا إلى التوحيد فهتكنا قبوركم وطمسنا آثاركم؟!

٥ ـ القاسم والطيب أبنا رسول الله ﷺ.

وأمهم السيدة خديجة عليها السلام.

٦ ـ سمية أم عمار وهي الشهيدة الأولى في الإسلام، وأبنها عبد الله بن ياسر، أخو عمار. وغيرهم كثير.

وقال رفعت باشا في مرآة الحرمين: قد زرنا هذه المقابر وقت مرورنا بها، ويحيط بالمقبرة سور قديم مَبْن بالحجارة وبها قبور كثيرة من الصحابة، وبالشق الأيسر قبة شاهقة على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين (رضوان الله تعالى عليها) وبه أيضاً جملة من القباب قيل لنا: إنها على مقابر عبد مناف وعبد المطلب بن هاشم أجداد النبي ﷺ وكذلك قبة على قبر عمه أبي طالب.

وتحظى منطقة الحجون ـ إضافة إلى ما لها من أهمية بسبب عظمة الشخصيات المدفونة فيها ـ بقداسة خاصة لدى المسلمين ولا سيما أهل السُنة، وذلك لأن النبي ﷺ حينما عاد من المدينة ودخل مكة، دخلها من هذه المنطقة وسكن فيها[1].

أمنا حواء:

هناك قبر للسيدة حواء عليها السلام يقع في جدة، وكانت هناك عادة عند الحجيج من المسلمين ومن المؤمنين الذين يأتون عن طريق جدة البحري يزورونه، وكان هذا القبر مشيداً، واليوم طمس ولا أثر له.

النبي يسع عليه السلام:

هناك قبر في المنطقة الشرقية ينسب للنبي يسع عليه السلام، وكان مؤمنو الأحساء والقطيف لا يتركون زيارته، وقد جدد بناءه أحد وكلاء المراجع الدينية، ويقول أحد أساتذتنا: وقد زرته عدة مرات في السنين السابقة.

وأيضاً ـ كعادتهم ـ أمتدت يدهم إلى ذلك القبر وهدموه.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ج٣: ٢٢٠.

وبطبيعة الحال هناك مساجد كثيرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة هدمت وطمست آثارها والهدم مستمر إلى يومنا هذا وبدون أنقطاع ولم نشر إليها للأختصار.

وقد أعترف أحد المختصين برعاية الأثار الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، أنه في السنوات القديمة أكثر من ثلاثمائة معلم للإسلام ولنبي الإسلام طمسها الوهابية. وربما الآن وصلت إلى أكثر من خمسمائة معلم والله العالم.

هاشم بن عبد مناف عليه السلام:

وهو جد رسول الله ﷺ ـ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ـ مات بفلسطين في غزة في بعض أسفاره وكان عمره خمساً وعشرين سنة، ويقال عشرون[١].

ومرقده في مدينة غزة معروف ظاهر، ويقال لها غزة هاشم لوفاته بها.

ويقول الحموي[٢] عند مادة (غزة) حيث يقول:

وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ وبها قبره ولذلك يقال لها (غزة هاشم)، قال أبو نؤاس:

أصبحن قد فوزن من أرض فطرس وهن عن البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزة هاشم وبالغرما من حاجهن شقور

والوهابيون ـ كعادتهم ـ أرادوا أن يهدموه، وقبل أربع أو خمس سنين أحدثوا هناك تفجيراً، وإلى سنين عديدة كان السادة الإشراف يندون بالسلفية والوهابية بالذكرى السنوية لتفجير القبر الطاهر إعظاماً بجد النبي ﷺ الذي هو صاحب القبر.

ومن الأمور المهمة أن غزة إلى ما قبل أربعين سنة تسمى غزة هاشم، وإلى الآن هذا الأسم ـ غزة هاشم[٣] ـ مثبت في السجلات الحكومية والأدارية. وقيل أن الأشراف الذين هم في فلسطين سواء كانوا في غزة أو الضفة الغربية أعترضوا أعتراضاً شديداً على هذا التغيير، أي تغيير الأسم من غزة هاشم إلى غزة بمفردها.

---

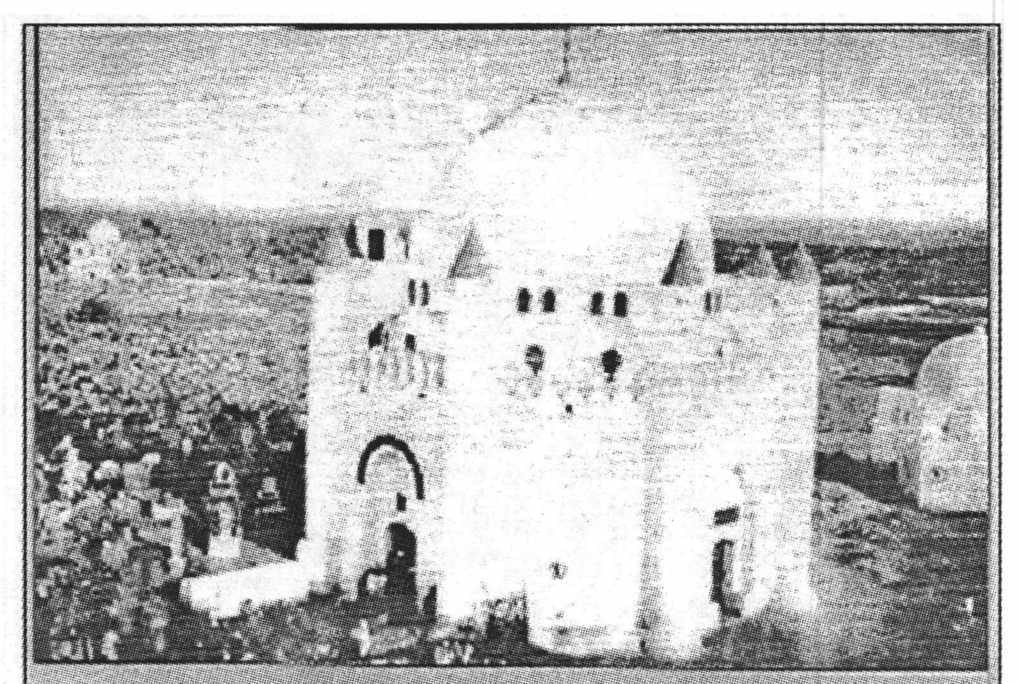
(١) مراقد المعارف ج٢: ٣٥٤.

(٢) معجم البلدان ج٥: ٣١٦.

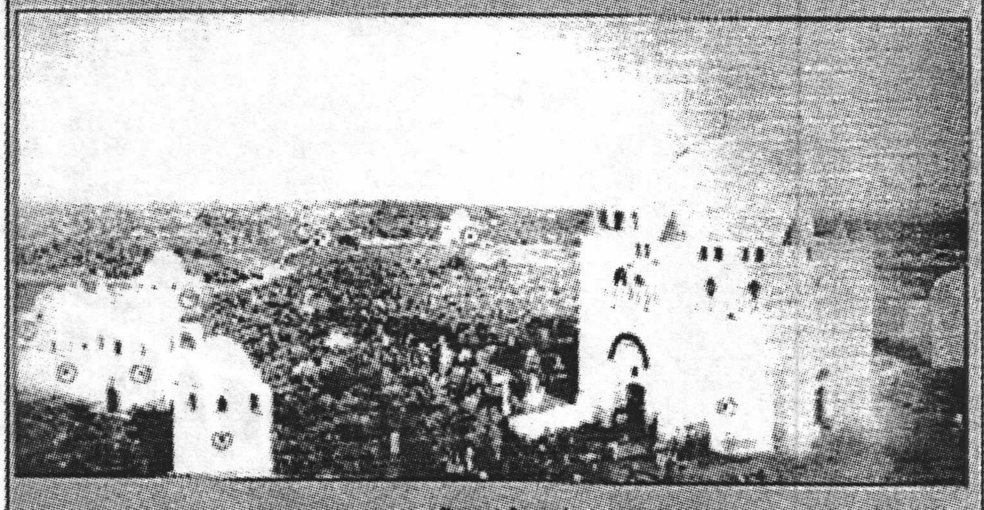
(٣) وقد شاهدت يوماً ما من عام (٢٠٠٩) في أحدى القنوات الفضائية العربية عندما دخلت (باخرة شريان الحياة) لكسر حصار غزة سيارة مكتوب عليها «غزة هاشم».

مُلحق الصور

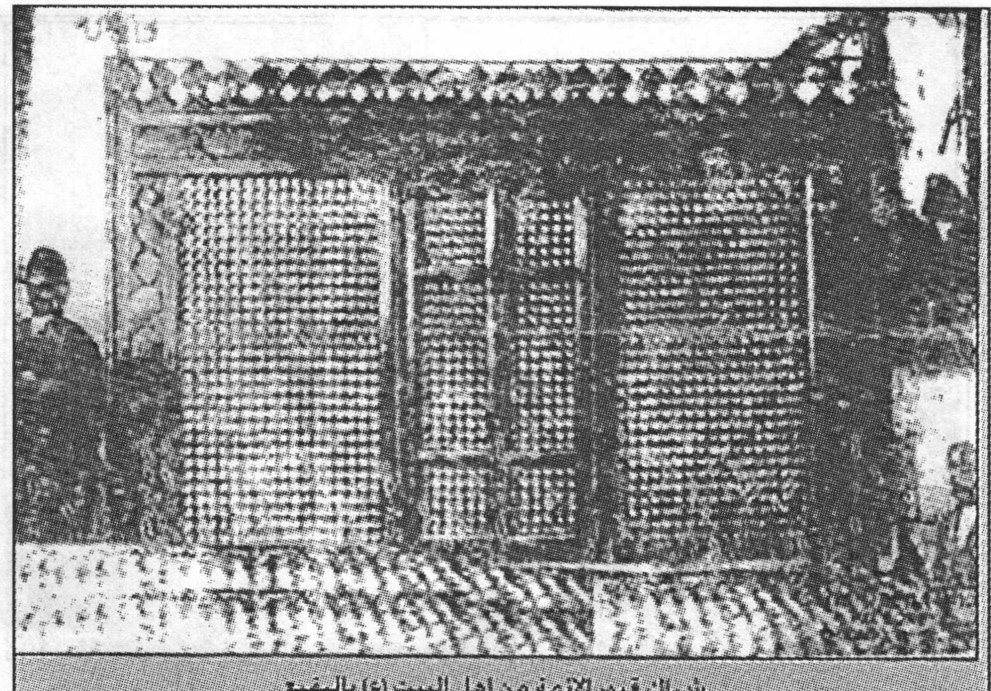




قبة أئمة البقيع قبل هدمها من قبل الوهابيين سنة ١٣٤٤ هـ.



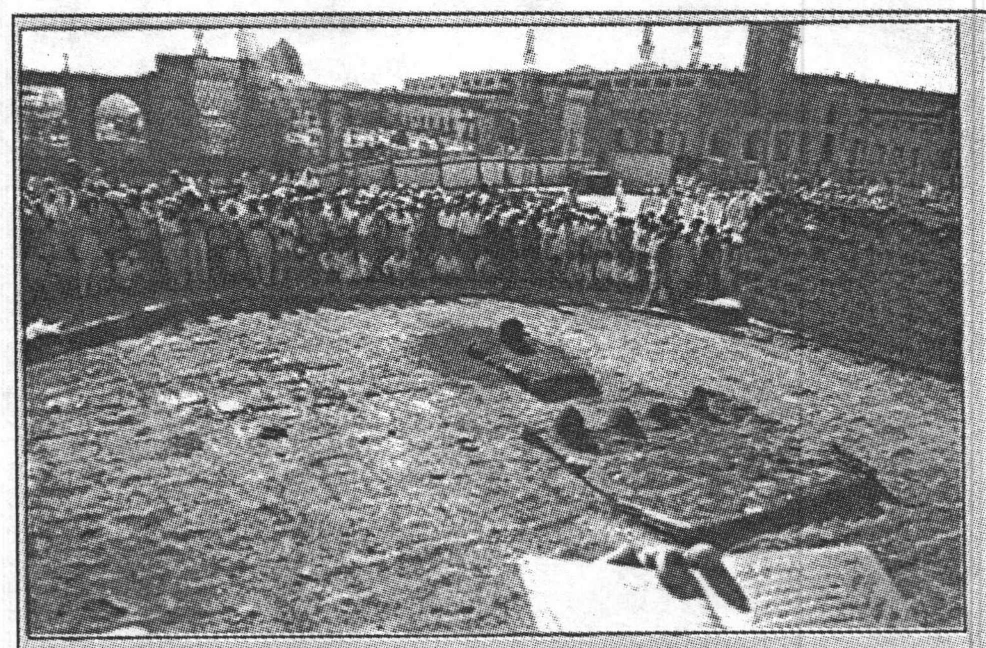
قباب مقابر البقيع



شباك قبور الائمة من اهل البيت (ع) بالبقيع



بقيع الغرقد منظر عام من جانب المسجد النبوي (ص)



قبور آل بيت رسول الله (ص) بعد هدم قبتهم بيد الجماعة السلفية

قبور بنات رسول الله (ص) زينب و أم كلثوم و رقيه بالبقيع

قبر عبدالله بن جعفر الطيار و قبر عقيل بن ابي طالب



قبر ابراهيم ابن رسول الله (ص) بالبقيع



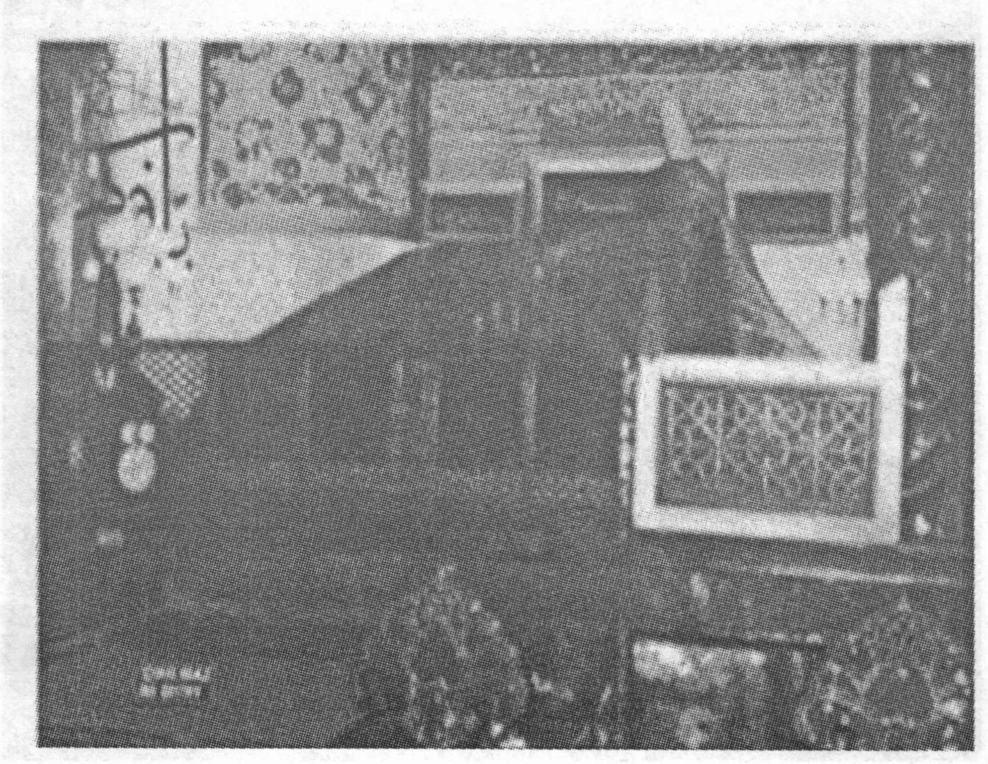
بور عمتي النبي(ص)«عاتكه وصفيه» و ام البنين «فاطمة الكلابية زوجة الامام علي بن ابي طالب (ع)»

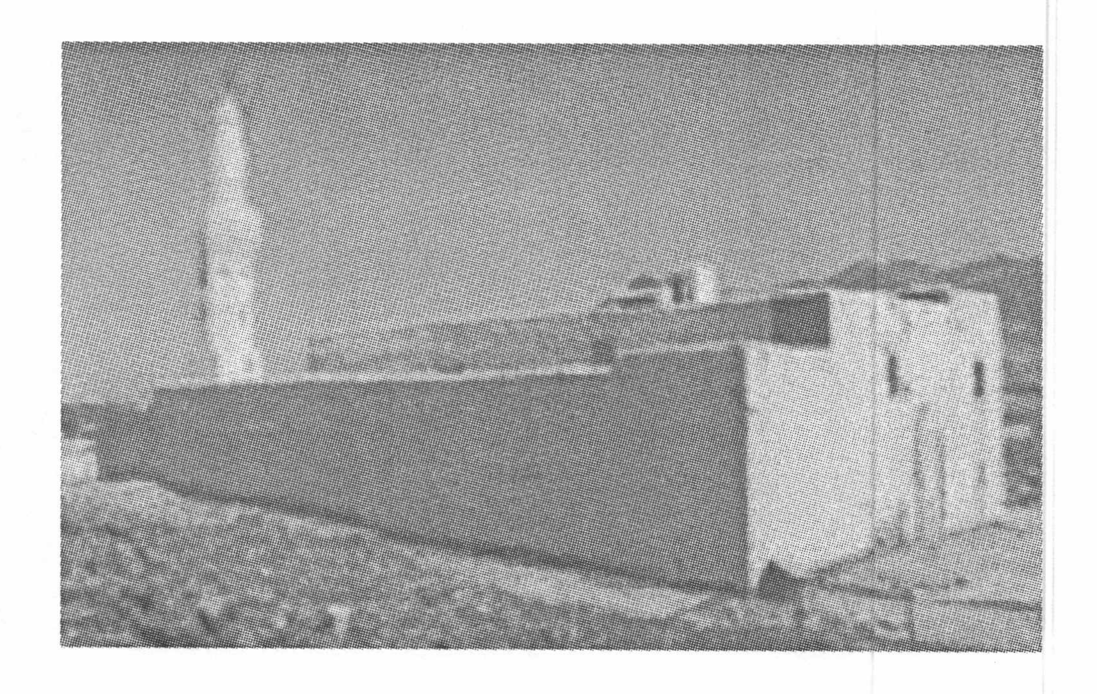


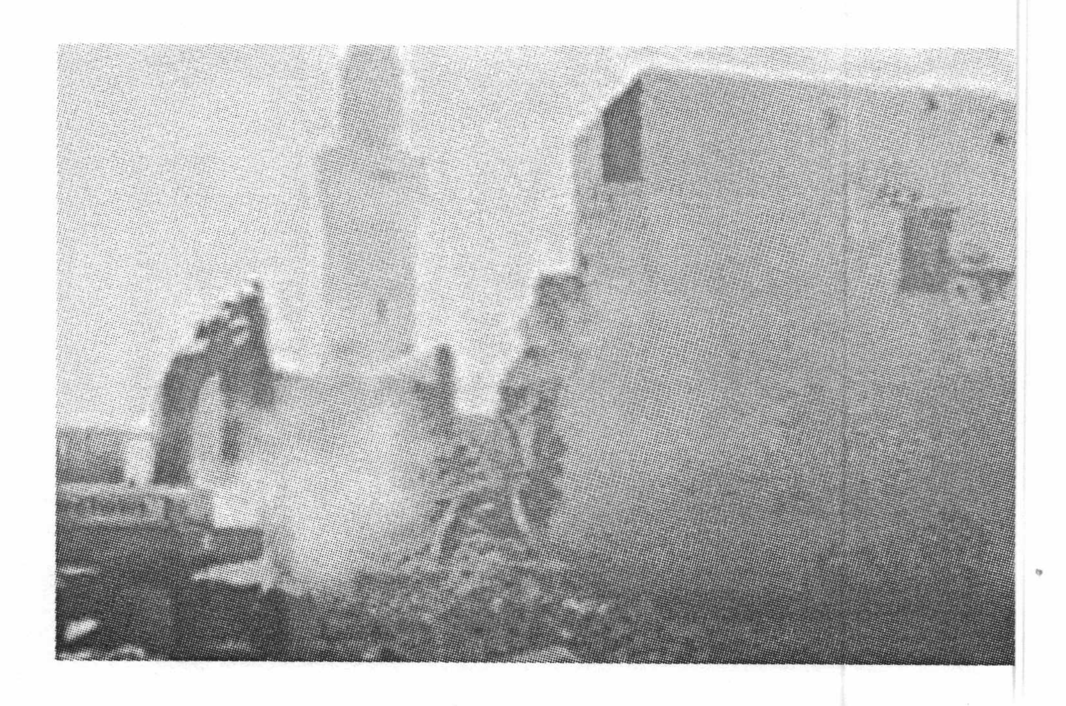
قبر حليمة السعدية مرضعة النبي (ص)

مرقد الامام علي بن جعفر العريضي
** فقيه أهل البيت (ع) **
قبل الهدم في المدينة المنورة

مسجد علي العريضي







المصادر

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي.
٣ ـ المبسوط، الشيخ الطوسي محمد بن الحسن.
٤ ـ المختلف، العلامة الحلي.
٥ ـ تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي.
٦ ـ فقه السنة، السيد سابق.
٧ ـ وفاء الوفاء، الشيخ السمهودي.
٨ ـ حاشية رد المختار، لأبن عابدين.
٩ ـ أصول الكافي، للشيخ الكليني.
١٠ ـ شرح نهج البلاغة، لأبن أبي الحديد.
١١ ـ قصص الأنبياء، للراوندي.
١٢ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي.
١٣ ـ تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عباش السمرقندي.
١٤ ـ الحج / فضائله وأحكامه، مؤسسة البلاغ.
١٥ ـ نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروس الحويزي.
١٦ ـ تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي.
١٧ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عباض.
١٨ ـ كامل الزيارت، ابن قولويه.

١٩ ـ منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي.

٢٠ ـ الإمام علي (ع)، الشيخ الهمداني.

٢١ ـ الإحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.

٢٢ ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي.

٢٣ ـ الدر المنثور، جلال الدين السيوطي.

٢٤ ـ مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي.

٢٥ ـ المعجم الأوسط، للطبراني سليمان بن أحمد.

٢٦ ـ فيض القدير في شرح الجامع الصغير، للمناوي.

٢٧ ـ كنز العمال، المتقي الهندي.

٢٨ ـ أرواء الغليل، محمد ناصر الألباني.

٢٩ ـ مجمع الزوائد، الهيثمي.

٣٠ ـ المصنف، ابن أبي شبيه الكوفي.

٣١ ـ تفسير الصافي، الفيض الكاشاني.

٣٢ ـ علل الشرائع، الشيخ الصدوق.

٣٣ ـ حجية السنة، الشيخ عبد الغني عبد الخالق.

٣٤ ـ أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي.

٣٥ ـ كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن الحسين الصدوق.

٣٦ ـ المناقب، ابن شهر آشوب.

٣٧ ـ منع تدوين الحديث علي الشهرستاني.

٣٨ ـ ذخائر العقبى، الطبرسي.

٣٩ ـ الفتوحات المكية، ابن عربي.

٤٠ ـ غاية المرام وحجة الخصام، للسيد هاشم البحراني.

٤١ ـ المناقب، ابن المغازلي.

٤٢ ـ الصراط المستقيم.

٤٣ ـ تفسير السلمي، للسلمي.

٤٤ ـ تفسير الثعلبي.

٤٥ ـ تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

٤٦ ـ تفسير القرطبي.

٤٧ ـ سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي.

٤٨ ـ الكشاف للزمخشري محمود بن عمر بن محمد.

٤٩ ـ روح المعاني، الآلوسي محمود البغدادي.

٥٠ ـ شواهد التنزيل، الحسكاني.

٥١ ـ المزار، الشيخ المفيد.

٥٢ ـ الوهابيين والبيوت المرفوعة، السنقري.

٥٣ ـ شفا السقام، الشيخ السبكي.

٥٤ ـ السيرة الحلبية علي بن برهان الدين الحلبي.

٥٥ ـ تفسير اللآلوسي.

٥٦ ـ تاريخ دمشق، علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر.

٥٧ ـ البداية والنهاية، لأبن الأثير.

٥٨ ـ الشهادة الثالثة، الشيخ علي الشكري تقريراً لأبحاث الشيخ محمد السند.

٥٩ ـ المراسم العلوية، سلار بن عبد العزيز.

٦٠ ـ الإمامة الألهية، تقرير لأبحاث آية الله الشيخ محمد السند.

٦١ ـ السقيفة وفدك، أبو بكر الجواهري البغدادي.

٦٢ ـ سيرة سيد النبيين، الشيخ جعفر السبحاني.

٦٣ ـ صحيح البخاري محمد بن إسماعيل.

٦٤ ـ الهداية الكبرى، الحسنى بن حمدان الخصيبي.

٦٥ ـ الآمالي، الشيخ الصدوق.

٦٦ ـ روضة الواعظين، النيسابوري.

٦٧ ـ عقد الدرر، الشافعي، يوسف بن يحيى بن علي المقدس.

٦٨ ـ مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي.

٦٩ ـ الغدير، الشيخ الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي.

٧٠ ـ وسائل الشيعة، الحر العاملي.

٧١ ـ عوالم الإنسان ومنازله، إعداد وتحقيق إبراهيم البغدادي، حوار مع سماحة آية الله الشيخ محمد السند.

٧٢ ـ بحار الأنوار، العلامة المجلسي.

٧٣ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشري.

٧٤ ـ صحيح النسائي.

٧٥ ـ المستدرك، على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.

٧٦ ـ مسند أحمد، بن حنبل الشيباني.

٧٧ ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي.

٧٨ ـ شرح صحيح مسلم، النووي.

٧٩ ـ منهاج السنة، ابن تيمية.

٨٠ ـ تحفة الآخوذي المباركفوري.

٨١ ـ سنن ابن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني.

٨٢ ـ نيل الأوطار، الشوكاني.

٨٣ ـ سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني.

٨٤ ـ سنن الترمذي.

٨٥ ـ ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة.

٨٦ ـ السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي.

٨٧ ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري.

٨٨ ـ الموطأ، الإمام مالك.

٨٩ ـ مجمع الزوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر.

٩٠ ـ منهاج السنة، ابن تيمية.

٩١ ـ صحيح ابن حبان، علي بن بلبان الفارسي.

٩٢ ـ الأستذكار، ابن عبد البر.

٩٣ ـ شعب الإيمان.

٩٤ ـ جامع البيان.

٩٥ ـ عيون آخبار الرضا، الشيخ الصدوق.

٩٦ ـ أحياء العلوم، للغزالي.

٩٧ ـ تاريخ ابن عساكر.

٩٨ ـ السيرة النبوية، للشامي.

٩٩ ـ موسوعة العلامة البلاغي.

١٠٠ ـ الأعلام خير الدين الزركلي.

١٠١ ـ يوم البقيع للأميني.

١٠٢ ـ موسوعة العتبات المقدسة.

١٠٣ ـ آل أبي طالب، السيد محسن الأمين العاملي.

١٠٤ ـ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي.

١٠٥ ـ معجم البلدان.

١٠٦ ـ تاريخ الطبري.

١٠٧ ـ الأصابة في تمييز الصحابة.

١٠٨ ـ متنسد الشيعة، الشيخ النراقي.

١٠٩ ـ دائرة المعلارف الإسلامية الشيعية.

١١٠ ـ رحلة ابن بطوطة.

١١١ ـ التأريخ الأمين.

١١٢ ـ مستدركات علم الرجال، الشيخ النمازي.

١١٣ ـ هامش تهذيب التذيب.

١١٤ ـ مستدرك الوسائل، الميرزا النوري.

١١٥ ـ الفايق في غريب الحديث، الزمخشري.

١١٦ ـ معالم المدينة المنورة.

١١٧ ـ حياة النبي وسيرته.

١١٨ ـ مراقد المعارف.

١١٩ ـ الكامل في التأريخ، عز الدين أبي الحسن علي المعروف بابن الأثير.

١٢٠ ـ أم المؤمنين خديجة، باقر شريف القرشي.

١٢١ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب الكاتب.

١٢٢ ـ تاريخ الإسلام، الذهبي.

١٢٣ ـ سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني.

١٢٤ ـ التوحيد، الشيخ الصدوق.

١٢٥ ـ المحاسن، البرقي، أحمد بن محمد بن خالد.

١٢٦ ـ المقنع، الشيخ الصدوق.

١٢٧ ـ النهاية، الشيخ الطوسي.

١٢٨ ـ روضة الواعظين، الفتال النيسابوري.

١٢٩ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني.

١٣٠ ـ فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني.

١٣١ ـ الكافي في الفقه، أبو الصلاح الحلبي.

١٣٢ ـ كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء.



فهرس المحتويات

الفصل الأول
البحث القرآني العقلي: الأدلة العامة

الفصل الثاني
البحث القرآني الأدلة الخاصة

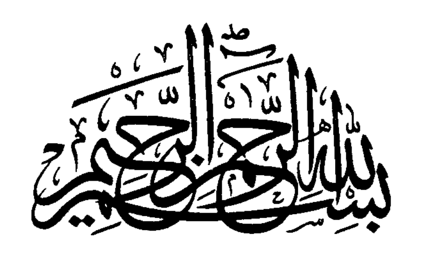
الفصل الثالث

البحث الروائي أدلة القول بحرمة بناء القبور وعمارتها

الفصل الرابع
أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)

الملحق
هدم القبور الطاهرة هذا الملحق ليس
من أفادات الشيخ الأستاذ وإنما ذكرته زيادة في توضيح الحال

مُلحق الصور


بسم الله الرحمن الرحيم